الخير الكثير

شرح النظم الحبير

في علوم القرءان وأصول التفسير

(النظم الحبير)

لناظمه الشيخ الدكتور: سعود بن إبراهيم الشريم

و الشرح (الخير الكثير)

للشيخ الدكتور: وليد بن إدريس المنيسي

Islamic University of Minnesota

الجامعة الإسلامية بمنيسوتا

حقوق الطبع محفوظة لكل مسلم يرغب في طباعتها
للتوزيع المجاني

الناشر

دار الجامعة الإسلامية بولاية مينيسوتا للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٦ مـ

مقدمة الشارح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد:

فإن القرآن العظيم هو منبع العلوم والمعارف، وعلوم القرآن هي أجل العلوم، لتعلقها بأجل معلوم وهو كتاب الله تعالى، وقد كتب أهل العلم قديما وحديثا كتبا مطولة ومختصرة ومنظومة ومنثورة في علوم القرآن، ومن أحسن من نظم علوم القرآن نظما مختصرا من غير إخلال فضيلة الشيخ الدكتور سعود الشريم إمام الحرم المكي الشريف حفظه الله تعالى، سماه (**النظم الحبير في علوم القرآن وأصول التفسير**) والحبير فعيل بمعنى مفعول من تحبير الشيء بمعنى تزيينه وتجميله وتحسينه، وهو اسم على مسمى فقد حبّره ناظمه أحسن تحبير، فأقبل الطلاب على حفظه ودراسته، ووجدت الحاجة ماسة لوضع شرح موجز عليه، فشرحته بأسلوب سهل ميسر يدور مع أبياته فحللت ألفاظه ورتبت مراده، حتّى يسهل على القارئ فهم هذا النظم المبارك، وسميت هذا المؤلّف:

(الخير الكثير شرح النظم الحبير في علوم القرآن وأصول التفسير).

فأسأل الله تعالى أن يكتب للنظم وشرحه القبول والبركة وبالله التوفيق.

الشارح:

وليد بن إدريس المنيسي

نبذة عن مؤلف النظم الحبير في علوم القرءان وأصول التفسير:

هو الشيخ **سعود بن إبراهيم بن محمد آل شريم**، من قبيلة قحطان، ولد بمدينة الرياض عام ستة وثمانين وثلاثمائة وألف للهجرة، ودرس في الرياض، والتحق بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وحصل على درجة الماجستير من تلك الجامعة في المعهد العالي للقضاء، ثم بعد ذلك حصل على درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى بمكة

شيوخه:

- الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالى-، فقد كان يحضر دروسه بعد صلاة الفجر في الجامع الكبير بالرياض.
- الشيخ عبد الله بن جبرين -رحمه الله تعالى-، حضر دروسه في شرح كتاب منار السبيل، وفي شرح الاعتصام للشاطبي ولمعة الاعتقاد وكتاب التوحيد وغير ذلك.
- الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل -رحمه الله تعالى-، وهو أحد تلاميذ الشيخ عبد الله بن ناصر السعدي.
- الشيخ عبد الرحمن البراك -حفظه الله تعالى-، قرأ عليه الطحاوية والتدمرية.

- الشيخ عبد العزيز الراجحي -حفظه الله تعالى-، قرأ عليه شرح الطحاوية.
- الشيخ عبد الله بن غديان -رحمه الله تعالى-، قرأ عليه القواعد الفقهية وكتاب الفروق للقرافي.
- الشيخ صالح بن فوزان الفوزان -حفظه الله تعالى-، درس عليه فقه البيوع.

وعُيِّن سنة ١٤١٢ هـ إماما وخطيبا بالمسجد الحرام، وفي سنة ١٤١٣ هـ عُيِّن قاضيا بالمحكمة الكبرى بمكة، ولا يزال -حفظه الله-إماما وخطيبا في المسجد الحرام، وقاضيا في المحكمة الكبرى بمكة المكرمة.

له مؤلفات عديدة منها:

- كتاب كيفية ثبوت النسب.
- كتاب المهدي المنتظر عند أهل السنة والجماعة.
- كتاب أصول الفقه سؤال وجواب.
- كتاب التحفة المكية شرح حائية ابن أبي داود في العقيدة.
- وله حاشية على لامية ابن القيم، ومؤلفات أخرى.
- النظم الحبير في علوم القرءان وأصول التفسير. وقد اخترنا منظومته هذه لما فيها من سلاسة أسلوبها، وشمولها لأبواب علوم القرآن مع جمال الألفاظ وحسن الترتيب.

الخير الكثير
شرح النظم الحبير في علوم القرءان وأصول التفسير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

افتتح المؤلف نظمه بقوله: **(بسم الله)** أي: أبتدئ مستعينًا بالله سبحانه وتعالى، و(الله) عَلَم على ذاته ﷻ، وهو اسمٌ جليلٌ من أسمائه ﷻ، ومعنى **(الله)**: المألوه، أي: المعبود، فأصل كلمة (الله): الإله، ثم نُقلت الهمزة فصارت: اَلِلَاهُ، ثم أدغمت اللام في اللام وغُلِّظت فصارت (الله)، ومعناها: المعبود ﷻ.

(الرحمن الرحيم): وهما اسمان مشتقان من الرحمة، و**(الرحمن)** على وزن (فعلان) اسم يفيد اتصاف الله بالرحمة العامة للمخلوقات، أو **يفيد** الوصف الذاتي لرب العالمين سبحانه وتعالى بالرحمة.

و**(الرحيم)** على وزن (فعيل) أي: الذي يرحم غيره، اسم يفيد اتصاف الله بالرحمة الخاصة بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣].

أو يفيد اتصاف الله بالرحمة المتعدية إلى المخلوقين.

فافتتح نظمه بالبسملة اقتداءً بكتاب الله تعالى، حيث افتتحه الله ﷻ بالبسملة، واقتداءً بكتب رسول الله ﷺ حيث افتتحها النبي ﷺ بالبسملة، فكان إذا كتب

كتاباً إلى ملك من الملوك هكذا يقول: (بسم الله الرحمن الرحيم)، من محمد رسول الله ﷺ إلى هرقل عظيم الروم، أو إلى كسرى عظيم الفرس

الحمدُ لِلْمُصَوِّرِ الكَرِيمِ الخالِقِ الْمُهَيمِنِ العظيمِ
ثُمَّ الصَّلاةُ والسَّلامُ سَرْمَدا علىٰ النَّبِيِّ (القرشي) أَحْمَدَا
وآلِهِ وَصَحبِهِ والتَّابِعِيْ وَقارِئٍ وكاتِبٍ وَسامِعِ
ومَنْ على طَريقِهِم يَسيرُ نِعمَ الطَّريقُ إِثْرَهُ الْمَسيرُ

افتتح بعد البسملة بالحمد، اقتداء بالقرآن الكريم، فالقرآن الكريم في أوله البسملة ثم الحمد، ولذلك جرت عادة المؤلفين أن يفتتحوا كتبهم بعد البسملة بالحمد اقتداءً بكتاب الله، والافتتاح بالحمد اقتداء بخطب رسول الله ﷺ، حيث كان يفتتح الكتب بالبسملة والخطب بالحمد.

ومقدمة الكتاب هي خطبة بين يدي الكتاب فيها تعريف بمضمون الكتاب؛ فلذلك افتتحوا خطبة الكتاب (مقدمته) بالحمد بعد أن افتتحوه بالبسملة،

فأثنى على الله ﷻ بخمس صفات من صفاته الكريمة - سبحانه وتعالى-:

الحمدُ للمُصَوِّرِ الكريمِ الخالقِ المهيمنِ العظيمِ

والثناء على الله ﷻ بأسمائه الحسنى من هدي النبي ﷺ ومن هدي الأنبياء قبله، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف:١٨٠].

ثُمَّ الصَّلاةُ والسَّلامُ سَرْمَدَا عَلَى النَّبيِّ القُرَشِيِّ أَحْمَدَا

(سَرْمَدَا): أي (دائما)، و(الصَّلاةُ) من الله تعالى: الثناء عليه في الملأ الأعلى،

كما جاء في صحيح البخاري عن أبي العالية التابعي-رحمه الله-قال: «**الصلاة على الله الثناء عليه في الملأ الأعلى**».

والتفسير الآخر أنَّ الصلاة من الله هي الرحمة، ولا تعارض، بل يكون ذلك من باب اختلاف التنوع، فالله تعالى يصلي على النبي ﷺ فيرحمه ويثني عليه في الملأ الأعلى، و(السَّلامُ) أي يسلمه من كل سوء ومن كل مكروه. و(أَحْمَدَا): اسم رسول الله ﷺ.، والألف للإطلاق.

وَ آلِهِ وَ صَحْبِهِ وَالتَّابِعِ وَ قَارِئٍ وَ كَاتِبٍ وَ سَامِعِ

أي والصلاة والسلام كذلك على (آلِهِ)، وآل النبي ﷺ أحيانا تأتي بمعنى: أزواجه وقرابته المؤمنين به، وأحيانا تأتي بمعنى: أتباع النبي ﷺ فتشمل عموم المسلمين، ففي هذا المقام ما دمنا في غير سياق الحديث عن أحكام فقهية تتعلق بمصارف الزكاة والفيء ونحو ذلك، فتكون الصلاة على آل النبي ﷺ شاملة أزواجه وشاملة قرابته المؤمنين به، وشاملة آله بمعنى: أتباعه ﷺ فتشمل عموم المسلمين.

قوله: (وَصَحْبِهِ) أي: أصحاب النبي ﷺ، فيصلي ويسلم على أصحاب النبي ﷺ، و(الصحب) جمع: صاحب، وهو من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على ذلك، أو لقيه النبي ﷺ مؤمنًا به، ولو كان ضريراً، فتحقق اللقيا إمّا بأن يرى النبي ﷺ، أو يراه النبي ﷺ، وأن يكون مؤمنًا به وقت لقائه بالنبي ﷺ، وأن يموت على الإيمان، فهذا هو الصحابي.

وقوله: (وَالتَّابِعِ)، التابعي هو من لقي رجلاً من أصحاب النبي ﷺ، وكان

مسلماً، فهؤلاء هم التابعون، و يطلق هذا المصطلح على كل من جاء بعد الصحابة من أمة النبي ﷺ، والتسمية الدقيقة أن يقال: التابعون، ثم تابعو التابعين، ثم تابعو تابعي التابعين، وهكذا. لكن اختصاراً فكل هؤلاء يقال عنهم: التابعون، من باب قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠] فالذين اتبعوهم بإحسان: هم كلُّ من سار على طريقتهم إلى يوم الدين.

وقوله: (وَقَارِئٍ وَكَاتِبٍ وَسَامِعِ)، فالناظم يصلي ويسلم أيضاً على من قرأ كتابه، وعلى من كتب هذا الكتاب (أي نفسه)، وعلى من سمع هذا الكتاب من المستمعين، والصلاة والسلام على غير الأنبياء لا حرج فيها إذا كانت مقرونة بالصلاة والسلام عليهم، فلم يقل: صلى الله وسلم على من سمع هذا الكتاب، وإنما قرنهم بالأنبياء، فقال: ثم الصلاة والسلام على النبي ﷺ، ثم عطف عليه فقال:

وَ آلِهِ وَ صَحْبِهِ وَالتَّابِعِ وَ قَارِئٍ وَ كَاتِبٍ وَ سَامِعِ

ولا حرج في الصلاة على غير الأنبياء حال كونهم معطوفين عليهم ومقرونين بهم في الذكر.

وَمَنْ عَلَى طَرِيقِهِمْ يَسِيرُ نِعْمَ الطَّرِيقُ إِثْرَهُ المَسِيرُ

فالناظم يصلي ويسلم أيضاً على من يسير على طريقهم. ويقتفي آثار النبي ﷺ وآله وصحبه وتابعيهم، فنعم الطريق المسير على إثر هؤلاء، والسير على نهجهم وعلى طريقتهم.

وخُــذ عُلومــاً لِلفَــتَىٰ مُهِمَّــهْ وكُــن حَريصــاً ســاعِياً بِهِمَّــهْ
عِلــمُ القُــرانِ أَشرَفُ العُلــومِ فَهــاكَ حَــدَّ جُملَــةِ المَوســومِ

(الفتى) هنا لا يقصد بها الغلام الصغير، وإنما تأتي من الفتوة، بمعنى: الشهامة والمروءة وكمال الأخلاق، فالإنسان إذا كان كريم الشمائل، نبيل الأخلاق يقال عنه الفتى. فهنا يقول: إن هذه علوم مهمة للفتى. **(وَكُنْ حَرِيصًا سَاعِيًا بِهِمَّهْ)** فيوصي أن يكون الإنسان حريصاً عاليَ الهمة، يكون **(حَرِيصًا)**: عنده اهتمام وعناية، فلا يتلقى هذه العلوم بعدم المبالاة وعدم الاكتراث، وإنما عليه أن يكون مهتماً بها وحريصاً عليها وتكون همته عاليةً في طلبها، وأن يكون عنده نشاط وعلو همة وأن يكون بعيداً عن التكاسل.

وبعد أن بين أن علم القرءان أشرف العلوم قال **فَهَاكَ**: اسم فعل أمر، معناه: خذ،، والحد التعريف و**المَوْسُومِ** بمعنى: الموصوف أو المسمى.

أي خذ التعريف الإجمالي أو المعنى الإجمالي للعلم الموصوف أو المسمَّى بعلوم القرآن. وجرت عادة العلماء عند الحديث عن مادة أو علم من العلوم، أن يذكروا مبادئ هذا العلم أو ما تيسر منها، ومبادئ كل علم عشرة، كما قال الشيخ محمد الصبان:

إن مبـادي كل علـم عشـرة الحـد و الموضـوع ثـم الثمـرة
نسـبته و فضلـه و الواضـع والاسـم الاستمداد حكم الشارع
مسـائلٌ والبعض بالبعـض اكتفى ومـن درى الجميـع حـاز الشـرفا

وهذه المبادئ كالأساسيات التي ينبغي أن تعرف عن كل علم من العلوم، فإذا أردت أن تدرس علماً جديداً من العلوم فعليك أن تعرف:

- حده: والحد هو التعريف.
- والموضوع: عن أي شيء يتكلم هذا العلم، وفي أي شيء يبحث.
- والثمرة: هي الفائدة التي ستعود عليك من دراسته.
- ونسبته: علاقة هذا العلم بغيره من العلوم. فبعض العلوم تكون جزءا من علم آخر أكبر منها، فعليك أن تعرف موقع هذا العلم على خريطة العلوم الإسلامية والعربية، هل هو من علوم اللغة العربية أو هو من علوم الفقه أو هو من علوم القرآن أو هو من علوم الحديث؟ فتعرف نسبته وعلاقته بغيره من العلوم.

– وفضله: فبعض العلوم ترد فيها فضائل وأحاديث فيها ثواب معين لمن درس هذا العلم بخصوصه، وبعضها لا نص خاص في فضله ولكنه داخل في عموم فضل العلم وأهله.

- والواضع: هو أول من ألف في هذا العلم أو وضع أسسه وقواعده.
- الاسم: اسم هذا العلم فبعض العلوم يكون لها أكثر من اسم، فينبغي أن تعرف الأسماء التي تطلق على هذا العلم، حتى إذا سمعت شخصاً يذكر عنه أنه عالم في العلم الفلاني، قد تكون أنت عارفاً بهذا العلم، لكن لا تعرف أن هذا الاسم يطلق على هذا العلم الذي أنت تعرفه، فلا بد أن تعرف الأسماء التي تطلق على العلم الذي تدرسه.

❁ والاستمداد: أي مادة العلم يقتبسها من أين تقتبس، فالنهر يستمد ماءه من بحيرات أو من أو من مياه مطر تنحدر من الجبال والمرتفعات ونحو ذلك، فكذلك كل علم علينا أن نعرف مصدر استمداد مادته.

❁ حكم الشارع: أي حكم الشرع في دراسة هذا العلم، هل هو واجب على الأعيان أم فرض كفاية أم مستحب.

❁ والمسائل: المسائل التي تبحث في هذا العلم.

مسائلٌ والبعض بالبعض اكتفى ومن درى الجميع حاز الشرفا

تعريف علوم القرآن:

العلوم: جمع (علم)، فعلوم القرآن مركب إضافي من جزأين، وهو المضاف والمضاف إليه، حتى نستطيع أن نفهم المعنى الإجمالي، فعلينا أن نفهم معنى (علم) ومعنى (القرآن)، ثم نربط العلم بالقرآن.

العلم هو: ضد الجهل أو نقيض الجهل.

ومعناه في اللغة: الفهم والمعرفة.

ومعناه في الاصطلاح هو إدراك الشيء على حقيقته، ومن معاني العلم أيضاً كمصطلح أنّه: **مجموعة من المسائل والأصول الكلية تجمعها جهة واحدة.**

فمثلا إذا قلنا علم التفسير، علم الفلك، علم الرياضيات، فهو مجموعة من المسائل والأصول الكلية تجمعها جهة واحدة فتسمى علم كذا وتنسب إلى مادة ذلك العلم

وَهْيَ: عِبــارَةٌ تُفيــدُ السَّــائِلا وتَبحَــثُ الــنُّزولا والمَســائِلا
وهٰكَــذا الأَحــوالُ في القُــرْآنِ وكَيــفَ ذا الأَداءُ بِاللِّسَــانِ
والنُّطــقُ والكِتابَــةُ الْمُــرادُ والجَمــعُ والتَّرتيــبُ ثُــمَّ زادُوا

معنى قوله: **وَهْيَ عِبَارَةٌ تُفِيدُ السَّائِلَ.** أي علوم القرآن عبارة تفيد السائل؛ لأن العلم من معانيه: الفهم والمعرفة والإدراك. و**السَّائِلَ**: هو الطالب للعلم أو المال، فالسائل تأتي بمعنى سائل العلم وسائل المال، وكلاهما فسر به قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ [الضُّحى:١٠]. إما سائل المال الذي يطلب مالا أو سائل العلم الذي يطلب جوابا.

ف **السَّائِلَ** هنا: طالب للعلم تفيده هذه ال (**عِبَارَة**) التي هي: علوم القرآن تفيده أي تفيده مسائل هذا العلم وتعرفه أنها متعلقة بالقرآن

أما القرآن:

فالمعنى اللغوي لكلمة القرآن: متوقف على أصل اشتقاقه، فمن علم الصرف، كلمة (قرآن):

- قيل: القرآن **مشتق من: (قرى يقري قريا)** بمعنى: ضمَّه.

وقد قيل: (صاح هل سمعت براعٍ ردَّ في.....الضرع ما قرى من حلاب)، ومعنى (ما قرى من حلاب): ما جمع وضمّ.

- و يأتي **من (قرأ يقرأ قراءة)** بمعنى: التلاوة.

- وقيل **من (قرن يقرن)**؛ لأنه قُرنت سوره وآياته بعضها ببعض، فلذلك قيل هو

قرآن على وزن (فعلان) من قرأ أو من قرى، فهو إما مأخوذ من القراءة أو الضم والجمع لأنه جمع الأشياء، أي جمع السور والآيات أو من القرن لأنه قرن السور بعضها ببعض.

أما المعنى الاصطلاحي أو الشرعي للقرآن: فهو كلام الله تعالى المنزل على رسوله محمد ﷺ المتعبد بتلاوته.

فكلام الله تعالى المنزل: تمييزا للقرآن عن كلام الله تعالى الذي لم ينزل على البشر في الأرض كالذي كلم الله به ملائكته، فتكليم الله تعالى لملائكته ليس قرآنا، و ليس مما نزل على محمد ﷺ.

وقلنا: **على رسوله محمد** ﷺ فالكلام الذي أنزله الله تعالى على عيسى أو على موسى أو غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، فهو كلام الله المنزل على أنبياء آخرين غير محمد ﷺ، فليس هو من القرآن.

وقلنا: **المتعبد بتلاوته**، فيخرج به الحديث القدسي؛ لأن الحديث القدسي كلام الله تعالى المنزل على محمد ﷺ، لكن لا يتعبد بتلاوته.

فعلوم القرآن: بضم كلمة (علوم) إلى كلمة (قرآن) فيصبح المراد هنا بعلوم القرآن أنه: علم يضم أبحاثًا أو مباحث كلية تتصل بالقرآن الكريم.

و في تعريف آخر: علوم القرآن هي مباحث أي أبحاث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وجمعه وقراءاته وناسخه ومنسوخه ومكيِّه ومدنيِّه، ونحو ذلك.

فالمباحث: هي الأبحاث التي تتناول القرآن الكريم من هذه الجهات:

- من جهة نزوله: كيفية نزول القرآن الكريم، والمراحل التي مر بها نزول

القرآن الكريم.

- ومن جهة جمع القرآن وكيفية جمعه في المصاحف.

- وكذا قراءات القرآن الكريم.

- والناسخ والمنسوخ.

- والمكي والمدني، ونحو ذلك.

فعلوم القرآن: هي: **عِبَارَةٌ** -أي عبارة علوم القرآن- **تُفِيدُ السَّائِلَ**.

وَتَبْحَثُ النُّزُولَ وَالْمَسَائِلَ، أي: تبحث نزول القرآن وتبحث في المسائل المتعلقة بذلك.

وَهَكَذَا الْأَحْوَالَ فِي الْقُرْآنِ: يبحث كذا في أحوال القرآن الكريم، أي من جهة الناسخ والمنسوخ، ومن جهة المكي والمدني، ومن جهة ما نزل في الحضر، وما نزل في السفر، وما يسمى الحضري والسفري والليلي والنهاري، وكل ما يتعلق بأحوال القرآن الكريم.

وَكَيْفَ ذَا الْأَدَاءُ بِاللِّسَانِ وَالنُّطْقُ وَالْكِتَابَةُ الْمُرَادُ: أي كيف نؤدي القرآن الكريم بألسنتنا، وهو ما يتعلق بقراءات القرآن الكريم، وتفسير الأحرف السبعة. والمراد بالأداء هنا النطق، والمراد بالكتابة: أي العلوم المتعلقة برسم القرآن الكريم، وكيف رسم القرآن الكريم في المصاحف، وكيف ينطق به ويتلى.

وَالْجَمْعُ وَالتَّرْتِيبُ ثم زادوا: أي من علوم القرآن ما يتعلق بجمع القرآن، وكيفية جمعه، والترتيب ما يتعلق بترتيب القرآن الكريم. ثم زادوا على ذلك أشياء أخرى

ذات صلة بالقرآن الكريم فأدخلوها في علومه كما سيأتي في كلام ابن العربي

فمن مبادئ علوم القرآن:

- موضوع علوم القرآن، فموضوع علوم القرآن هو **القرآن الكريم من حيث نزوله وجمعه ومكيه ومدنيه ورسمه وقصصه وأمثاله وناسخه ومنسوخه.**

أما ثمرة تعلم علوم القرآن الكريم: فمنها:

❁ المساعدة على فهم القرآن الكريم فهما صحيحا؛ لأن من علوم القرآن مثلا معرفة المكي والمدني والناسخ والمنسوخ، فكل هذا يساعد على فهم معاني الآيات الكريمة، إذا عرفت أن هذه السورة نزلت بمكة فهذا يساعدك على فهم الظروف التي تنطبق عليها هذه الآيات الكريمة وحال المخاطبين بهذه الآيات فهذا يساعد على فهمها. ومثلا إذا عرفت أن هذه الآية منسوخة وأنه لا يعمل بها أو أن هذه الآية ناسخة، فتكون مقدمة على الآية المنسوخة في العمل، فإذًا أول فائدة: أن علوم القرآن علم يساعد على فهم القرآن الكريم وتدبره.

❁ الدفاع عن القرآن الكريم ورد شبهات المغرضين حول القرآن الكريم: فإنه يلاحظ أن من المنافذ الكبيرة التي نفذ منها أعداء الإسلام للطعن في الإسلام ومهاجمة الإسلام هو عن طريق استغلال جهل المسلمين بعلوم القرآن، فتجد أن المستشرقين من أكثر من ألف كتبا في علوم القرآن، وذلك ليس حبا في القرآن ولا عناية بالقرآن وإنما من أجل تشكيك المسلمين في القرآن الكريم، فبدءوا يكتبون كتبا حول كيفية جمع القرآن الكريم، ولماذا تعددت قراءات القرآن الكريم، ويشككون الناس في دينهم ويحاولون أن يجدوا مطعنا يطعنون من خلاله في

القرآن الكريم من جهة النزول أو الجمع أو الترتيب والمكي والمدني وسمات القرآن المكي والمدني، ويستغلون جهل المسلمين بعلوم القرآن حتى يطعنوا في القرآن الكريم. فإذًا دراسة هذه العلوم تجعل المسلم محصنا ضد هذه الشبهات، ويستطيع بسهولة أن يدافع عن القرآن الكريم، ويجيب عن أي شبهة يثيرها أعداء الإسلام حول القرآن الكريم.

❁ تكسب المسلم تعظيما لكتاب الله تعالى وتعلقا به وتقديرا لجهود أمة الإسلام في العناية بكتاب ربها سبحانه وتعالى، أي إذا درست علوم القرآن ستكتشف أن كل علم من هذه العلوم الكثيرة جدا قد كتبت فيه كتبٌ وألفت فيه مؤلفات، وتخصص فيه علماء وأفنوا أعمارهم في الإحاطة بهذه الأمور كالمكي والمدني وأسباب نزول القرآن الكريم. ومن علوم القرآن بيان مبهمات القرآن، كل موضع في القرآن مثلا فيه (وقال رجل) فنتساءل: ما اسم هذا الرجل؟ أو (امرأة)، ما اسم هذه المرأة؟ أو (قرية)، ما اسم هذه القرية؟ فيبحثون في هذه المبهمات ويعينونها، ومن العلماء من عني بمشتركات القرآن ومن عني بتناسب سوره ومن عني بقراءات القرآن، ومن عني برسم القرآن الكريم، فالقرآن له رسم خاص ليس الرسم المعتاد الإملائي الذي تكتب به الكتب، وإنما له قواعد خاصة في رسمه وكتابته، يتخصص فيها أهلها ويتقنونها لضبط الكتابة حتى تكون مطابقة لكتابة الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم-للقرآن الكريم. فتعرف من خلال دراسة هذا العلم أو هذه المادة أن علماء الإسلام قد اعتنوا عناية كبيرة بهذا القرآن الكريم فتزداد تعظيما وتعلقا بهذا الكتاب.

- ومن جهة فضل علوم القرآن: ففضلها أنها داخلة في قول النبي ﷺ: «**خَيْرُكُمْ**

مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ». فهي من أسباب الخيرية، ومما يدخل في تعلم القرآن وتعليمه تعلم علوم القرآن وتعليم علوم القرآن؛ لأنها علوم خادمة للقرآن الكريم، وفضل العلم أو شرف العلم بشرف المعلوم، وهذه قاعدة من القواعد، فعلوم القرآن علم يتعلق بأشرف معلوم وهو القرآن الكريم الذي هو كلام الله تعالى فلذلك هو علم شريف لتعلقه بخير كلام وهو كلام الله ﷻ.

- واسم هذا العلم: علوم القرآن، ويسمى أيضا أصول التفسير أو قواعد التفسير، لذلك فالمؤلف هنا جمع بين هذين الاسمين في قوله: النظم الحبير في علوم القرآن وأصول التفسير، و(أصول التفسير) هي في حقيقتها اسم آخر لعلوم القرآن، وبعض كتب علوم القرآن كتبها مؤلفوها تحت هذا الاسم، أصول التفسير أو قواعد التفسير أو علوم التفسير، ومن العلماء من يجعل أصول التفسير أخص من علوم القرآن فهي قسم من علوم القرآن، وهو ما سلكه المؤلف هنا.

- وحكم تعلم علوم القرآن: أنه فرض من فروض الكفايات التي يجب أن يقوم بها طائفة من المسلمين، فإذا قام بها البعض سقط الإثم عن الباقين.

مَقالَ صاحِبِ الكِتابِ العَرَبِيْ العَالِمِ الشَّهيرِ بِ(ابنِ العَرَبِيْ)
عِلمُ القُرانِ أَربَعٌ مِئِينا خَمسُونَ مِن عُلومِهِ رُوِينا
سَبعُونَ أَلفًا عِدَّةُ الْمُوافِي وَسَبعَةٌ يَلُونَ مِنْ آلافِ
وَلْتَضْرِبِ الْمَجموعَ في أَربَعَةِ كَيْ تَستَبينَ جُملَةُ الْمُتْبَعَةِ

أما عدد علوم القرآن فذكر الناظم كلام القاضي أبي بكر بن العربي المالكي -رحمه الله تعالى -في كتاب له اسمه: قانون التأويل قال: «علوم القرآن خمسون

وأربعمائة وسبعة آلاف وسبعون ألف علم على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة» اهـ. أي هذا العدد مضروبـًا في أربعة فيكون عدد علوم القرآن عنده هو: (٣٠٩٨٠٠)وذلك لأن عدد كلمات القرآن عنده (٧٧٤٥٠) وكل كلمة تشتمل على أربعة علوم، وقد ذهب غيره إلى أن عدد كلمات القرآن (٧٧٤٣٩) كلمة.

فمن ضمن علوم القرآن: عد آي القرآن، وعد كلمات القرآن، وعدد حروف القرآن. فهو قال: إن عدد كلمات القرآن اضربها في أربعة تعلم عدد علوم القرآن، أي قال: إن كل كلمة من كلمات القرآن يستنبط منها أربعة علوم فيصير المجموع عدد علوم القرآن، وهذا معنى قول المؤلف كي تستبين جملة المتبعة أي لكي يتبين العدد الإجمالي لعلوم القرآن فكل كلمة يتبعها أربعة علوم.

قال: «إذ إن لكل كلمة ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا» فهذه أربعة أقسام لكل كلمة من الكلمات، فإذًا هذه علوم القرآن، فكل كلمة ظهرها علم، وبطنها علم، وحدها علم، ومطلعها علم.

ومسألة الظهر والبطن والحد والمطلع قد وردت فيها أحاديث ضعيفة وموضوعة، وفي بعضها: (لكل آية من آيات القرآن الكريم ظهر وبطن وحد ومطلع)، لكنها أحاديث كما ذكرنا بعضها ضعيف وبعضها موضوع، وهناك تفسيرات لها، منها:

قال ابن الأثير: «ظهره لفظه أو ما ظهر من تأويله أو تلاوته».

فإذن الظهر هنا له ثلاثة معان: إما أن يأتي بمعنى اللفظ، أو التلاوة، أو ما ظهر تفسيره، أي ما كان تفسيره ظاهرا.

والبطن: هو المعنى أو ما بطن تفسيره.

والحد: هو المنع، ومعناه لكل كلمة حدٌ، أي حد من حدود الله، أي ما منع الله عباده من تعديه، فكل كلمة هي حد من حدود الله، أي تمنع المسلم من تعدي شيء معين، تحد للمسلم حدا وتمنعه من تجاوزه أو تخطيه، بمعنى أنه فيها حكم من أحكام الله تعالى.

والمطلع: هو المصعد أو الموضع الذي يطلع عليه بالترقي.

فمطلع الظاهر: التمرن في فنون العربية، ومطلع الباطن: أن الإنسان يصفي نفسه ويعمل بمقتضى القرآن، أي تزكية النفس وتصفيتها والعمل بمقتضى القرآن الكريم ورياضة النفس، وقالوا: إن هناك مطلعا للظاهر ومطلعا للباطن، ومطلع الظاهر هو التمرن في فنون العربية حتى يستطيع أن يتقن الظاهر، ومطلع الباطن الكلمة هو تصفية النفس والرياضة والعمل بمقتضى ذلك. لكن في الحقيقة هذا الكلام فيه شيء من المبالغة أو التكلف؛ لأن كلمات القرآن الكريم تتكرر والقرآن الكريم فيه تكرار لغرض التذكير والإفادة، ثم إن الكلمة بمجردها لا يستنبط منها علم كامل، وإنما العلم يستنبط من ضم كلمات بعضها إلى بعض، أي يمكن أن نضم كلمات بعضها إلى بعض حتى نستخرج منها علما من علوم القرآن الكريم، لكن كون كل كلمة على حدة تخرج منها أربعة علوم فهذا فيه شيء من المبالغة.

ولذلك هناك أقوال أخرى لعلها الأقرب للصواب في مسألة عدد علوم القرآن:

فالإمام الشافعي -رحمه الله-ذكر في مجلس من مجالس هارون الرشيد أنّ علوم القرآن ثلاثة وستون نوعا، منها: الناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني،

وأسباب نزول القرآن، وهكذا، فمن الممكن أن نعد ثلاثة وستين نوعا من الأنواع الأساسية. وقال بعض العلماء ومنهم ابن العربي نفسه: «إن أم علوم القرآن أو أساس علوم القرآن ثلاثة: توحيد وتذكير وأحكام».

وابن جرير الطبري يقول: «توحيد وأخبار وديانات، وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن؛ لأنها تشتمل على التوحيد الذي هو أحد العلوم الثلاثة الرئيسية».

وأَوَّلُ العُهودِ في الظُّهورِ بِرابِعِ القُرونِ والعُصورِ
والْمَرزُبانُ سابِقًا يُداوي بِسِفرِهِ المَعروفِ باسمِ (الحاوي)
وبَعدَهُ أَبو الفَرَجْ والزَّركَشِي ثُمّ السُّيُوطِيْ صارَ كالْمُرَقِّشِ

أول عهد لتأليف كتب علوم القرآن كان **في القرن الرابع الهجري**. وأول من ألف في علوم القرآن: هو العالم الجليل **محمد بن خلف المرزبان**-رحمه الله- المتوفى سنة ٣٠٩ هـ، هو أول من سبق للتأليف في علوم القرآن الكريم واسم كتابه: (الحاوي في علوم القرآن). ومعنى (السِفْر): المؤلف أو الكتاب الضخم، فتأتي بمعنى الكتاب الكبير، وتجمع على: أسفار، وقد قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة:٥].

وبَعدَهُ أَبو الفَرَجْ والزَّركَشِي ثُمّ السُّيُوطِيْ صارَ كالْمُرَقِّشِ

يريد بأبي الفرج: **أبا الفرج ابن الجوزي**،و يشير إلى الكتاب الذي ألفه الإمام ابن الجوزي في علوم القرآن وسماه: (فنون الأفنان في علوم القرآن) وقد توفي الإمام ابن الجوزي سنة ٥٩٧ هـ.

وفي الحقيقة بين كتاب الحاوي للمرزبان وفنون الأفنان لابن الجوزي كتابٌ

آخر لعالم من علماء القرن الخامس الهجري اسمه **علي بن إبراهيم الحوفي**، وقد توفي هذا العالم رحمه الله سنة ٤٣٠ هـ، وله كتاب اسمه (البرهان في علوم القرآن)، وهذا الكتاب نصفه مخطوط في دار الكتب المصرية في خمسة عشر مجلدا

ثم بعد ابن الجوزي يأتي **الزركشي**، وهو **محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي** الشافعي المتوفى سنة ٧٩٤ هـ، وقد ألف كتابا اسمه (البرهان في علوم القرآن) أي بنفس الاسم.

ثم يشير إلى كتاب **السيوطي** الذي اسمه (الإتقان في علوم القرآن) والسيوطي متوفى سنة ٩١١هـ، وكتابه هذا

كالمرقِّش أي كالمزوق والمزخرف، حيث جمع كل ما كتب قبله وزاد عليه ورتبه أحسنَ ترتيبٍ في كتابه.

وهناك كتاب آخر أيضا مشهور أُلف في القرن السابق، وهو كتاب (مناهل العرفان في علوم القرآن) **للشيخ محمد بن عبد العظيم الزرقاني** المتوفى سنة ١٣٦٧ هـ، فهذه أبرز الجهود في الكتابة في علوم القرآن.

فائدة: علم التفسير يعتبر علما من علوم القرآن، ولكن نظرا لأهميته وكبر حجمه وكثرة ما ألف فيه وتنوع تخصصات المؤلفين فيه، فإن هذا العلم من علوم القرآن تضخم حتى صار علما مستقلا.

فنحن في علوم القرآن لا ندرس من خلالها تفسير القرآن وإنما ندرس أصول التفسير كتعريف التفسير ومناهج المفسرين وأنواع التفسير كالتفسير بالرأي والتفسير بالمأثور والتفسير الإشاري، ومدارس التفسير في عهد الصحابة

والتابعين، وبعض القواعد المتبعة في تفسير القرآن، والموقف من الإسرائيليات فهذا كله يندرج تحت علوم القرآن وأصول التفسير.

ومر أن علوم القرآن من ضمن أسمائه أصول التفسير، فعلوم القرآن كأنها مقدمة للتفسير وتعطي الإنسان القواعد الأساسية التي تكون مفاتيح يستعملها أثناء التفسير، لكن استقل هذا العلم من علوم القرآن وأصبح علما مستقلا، وهو: التفسير.

فَصلٌ في الوَحيِ

وَالوَحيُ في الأَصلِ؛ هُوَ: الإعلامُ ... وَهْوَ الخَفِيُّ هٰكَذا الإِلهامُ
وهٰكذا وَساوِسُ الشَّيطانِ ... مُوَسْوِساً بِها علىٰ الإِنسانِ
في الشَّرعِ إعلامُ الإِلهِ للنَّبِيْ ... بالدِّينِ فَهْوَ يَصطَفِي ويَجتَبِي
والوَحْيُ أَنواعٌ تُعَدُّ أَربَعَهْ ... فَهاكَها مَعدودَةً ومُتْبَعَهْ
فَالأَوَّلُ: الوَحيُ بِرُؤْياً صادِقَهْ ... تَقُولُهُ الصِّدِّيقَةُ الْمُصادِقَهْ
والثَّاني: إِلْهامُ الإِلٰهِ للنَّبِيْ ... دَليلُهُ: (وَأَجْمِلُوا في الطَّلَبِ)
وَالثَّالِثُ: التَّكليمُ مِن وَرَاءِ ... حِجابٍ اكِّدْهُ بِلا مِراءِ
دَليلُهُ مُثْبَتٌ بِالشُّورَىٰ ... كَيْلا يَضيعَ الحَقُّ أَو تَمُورا
والرَّابِعُ: التَّكليمُ للرَّسُولِ ... مِن صَوبِ جِبريلَ بِلا نُكولِ
فَتارَةً صَلصَلَةً كالجَرَسِ ... بِلا حِجابٍ مانِعٍ أَو حَرَسِ
أَو: أَنْ يُكَلِّمَ النَّبِيْ كِفاحاً ... جِبريلُ فافْهَمهُ تَنَلْ فَلاحا
وما مَضَىٰ رَواهُما الشَّيخانِ ... كُفِيتَ عَنْ زِيادَةِ البَيانِ

التعريف اللغوي للوحي:

- يأتي بمعنى الإعلام الخفي، أي إبلاغ أمر لآخر في خفاء.

- ويأتي بمعنى الإلهام، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص:٧].

وقد أخذ بعض العلماء من هذه الآية نبوة أم موسى، وهم العلماء الذين يرون جواز نبوة النساء واستدلوا بهذه الآية على نبوة أم موسى كابن حزم والقرطبي فالنبي: من أوحي إليه بشرع، فقالوا: طالما أوحي إليها إذًا فهي نبية.

لكن رد جمهور العلماء هذا القول؛ لأن الوحي له معانٍ لغوية، ومعرفتنا بمعاني الوحي اللغوية تجعلنا نرد هذا القول. لأن الوحي لا يلزم أن يكون وحي نبوةٍ من الله سبحانه وتعالى بإرسال الملك جبريل عليه السلام برسالة بحيث يصبح الإنسان نبيا بمقتضى هذا الوحي، وإنما هذا وحي بمعنى الإلهام، والوحي بمعنى الإلهام منه أيضا قول الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [النحل:٦٨].، فالإيحاء إلى أمِّ موسى هو مثل الإيحاء إلى النحل، بمعنى الإلهام.

- ويأتي الوحي بمعنى **وساوس الشيطان** كما في قول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام:١٢١].

فالوحي (لغةً) يأتي بمعنى الإعلام الخفي أي في خفاء، ويأتي بمعنى الإلهام، ويأتي بمعنى وساوس الشيطان، وكلٌّ إعلام في خفاء بما في ذلك وساوس الشياطين

وحديث شياطين الإنس للجن وشياطين الجن للإنس، فكلٌّ ذلك داخلٌ في الوحي بالمعنى اللغوي.

في الشرع إعلام الإله للنبي بالدين فهو يصطفي ويجتبي.

الوحي في الشرع هو: إعلام الإله للنبي بالدين. فالتعريف الشرعي للوحي هو إعلام الله سبحانه وتعالى لنبيٍّ من الأنبياء بالدين.

فهو يصطفي ويجتبي بهذا الوحي، أي بهذا الوحي يصبح هذا الموحَى إليه مصطفىً ومجتبىً، أي مختارا من قِبل الله سبحانه وتعالى، فيصبح نبيا من أنبياء الله مفضلا ومميزا على غيره بهذا الوحي.

ثم ذكر أنواع الوحي وكيفياته فذكر أنها أربعة

فالأولُ الوحيُّ برؤيا صادقهْ تقولُهُ الصِّدِّيقَةُ المُصَادِقَهْ

يشير بذلك إلى حديث عائشة الصديقة بنت الصديق ﵄: «**أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة**». وفي رواية: «**الرؤيا الصادقة في المنام**» وكان ذلك فترة ستة أشهر في أول الوحي، أول ما جاء الوحي إلى النبي ﷺ استمر ستة أشهر لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، أي تتحقق تماما مثلما رآها، فاستمر على ذلك ستة أشهر، ثم بدأ يأتيه الوحي بالوسائل الأخرى، ولذلك فإنَّ الرؤيا الصادقة جزء من الوحي، وأول ما بدئ به النبي ﷺ أنه استمر ستة أشهر تتابع عليه المرائي الصادقة التي تقع مثل فلق الصبح، تمهيدا وتوطئة لمجيء الوحي.

ولذلك قال النبي ﷺ: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**».

وذلك لأن فترة الرؤيا الصالحة كانت ستة أشهر، وفترة النبوة كانت ثلاثا وعشرين سنة، ونسبة ستة أشهر إلى ثلاث وعشرين سنة تساوي نسبة جزء إلى ستة وأربعين جزءا، أي ستة أشهر نصف إلى ثلاث وعشرين، يساوي واحدا إلى ستة وأربعين، فهذا من أنواع الوحي الذي هو الرؤيا الصادقة.

وهنا سؤال: هل هناك شيء من القرآن أوحي به إلى النبي ﷺ منامًا؟

الجواب: بعض العلماء قال: إن سورة الكوثر أوحي بها إلى النبي ﷺ منامًا، وذلك لأنه جاء في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان نائمًا وكانوا حوله، فاستيقظ النبي ﷺ متهلل الوجه، مستبشراً فسألوه، فقال: «**نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**». وقرأ النبي ﷺ سورة الكوثر، أنه أعطاه الله عز وجل نهر الكوثر.

فمن العلماء من فهم من الحديث أن سورة الكوثر أنزلت على النبي ﷺ منامًا، وعدَّ ذلك نوعا من أنواع علوم القرآن المنامي، أو الفراشي، أي ما أنزل من القرآن على النبي ﷺ في المنام أو وهو في فراشه ﷺ.

لكن الرأي الآخر فيه أن الذي أعطيه النبي ﷺ في المنام هو نهر الكوثر وليس السورة، أي أنه أعطي نهر الكوثر وليس القصد أن السورة أنزلت في المنام، فمن الممكن أن تكون السورة أنزلت في اليقظة، ولكن البشارة بها والبشارة بنهر الكوثر جاءت في المنام، ثم أنزلت السورة في اليقظة، فالحديث ليس قطعي الدلالة في أن السورة أنزلت في المنام، ولكن ظاهره كذلك.

والثـــاني إلهـــام الإله للنـــبي دليلـــه: وأجملـــوا في الطلـــب

هذه الحالة الثانية وهي الإلهام في الصدر وقد يكون بواسطة جبريل أو بدون

واسطته، فإن كان بواسطة جبريل فمعناه أن ينفث جبريل في رُوع النبي ﷺ الكلام نفثا.

و رُوع الإنسان (بضم الراء)، بمعنى: نفس الإنسان أو قلبه، وهذا غير الرَوْع (بفتح الراء) وهو الخوف الشديد، فيأتي الوحي فيُنفَث في رُوع النبي ﷺ نفثا هذه هي الصورة التي أشار إليها الناظم هنا كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، أَلَا فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ**». أي اطلبوا الرزق طلبا جميلا أي بطلب الرزق الحلال، وباتباع الوسائل الشرعية، فالرزق مقسوم من عند الله تعالى فاطلبوا الرزق طلبا جميلا، موافقا للشرع بلا انشغال به عن طاعة الله، وبلا سلوك لوسائل محرمة، بل اطلبوه طلبا جميلا بسلوك الوسائل المباحة.

فهذا النوع الثاني الذي هو الإلهام، ينفث في روعه نفثا أي يلهمه، فيجد نفسه قد ألهم معنىً من المعاني، في صدره ﷺ.

وقوله: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي**»، أي: كُلِف روح القدس وهو الملك جبريل عليه السلام، كُلِف من الله تعالى بأن يلهم النبي ﷺ، فالإلهام من الله تعالى للنبي ﷺ بواسطة الملك، لكن ليس عن طريق التكليم والسماع بالأذن، وإنما بإلقاءٍ مباشرٍ في قلبه، أي إلهاما للمعنى في القلب مباشرة، فيأتيه الملك وينفث في روعه، فينتقل المعنى الذي يريد الله تعالى أن يلهمه للنبي من صدر الملك إلى صدر النبي ﷺ.

وَالثَّالِـثُ: التَّكلِيـمُ مِـن وَرَاءِ حجـاب اكـده بـلا مـراء

بلا مراء أي بلا شك ولا جدال، فهذا هو النوع الثالث من الوحي أن يكلم

الله تعالى النبي ﷺ من وراء حجاب، ودليله مثبت في الشورى، أي في سورة الشورى في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾[الشورى:٥١]. وحيًا: هنا أي إلهامًا، أو أن يكلم الله تعالى البشر من وراء حجاب، أو أن يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء والرسول هو جبريل، فآية الشورى ذكر فيها ثلاثة أنواع: الإلهام في الصدر وقد يكون بواسطة جبريل أو بدون واسطته، أو من وراء حجاب أن يكلم الله تعالى النبي ﷺ من وراء حجاب مثلما ما كلم موسى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[النساء:١٦٤]. ومثلما نادى الله تعالى آدم وحواء ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾[الأعراف:٢٢]. فهذا تكليم مباشر بدون واسطة الملك، أو يرسل رسولا أي جبريل وهذا النوع الثالث والتكليم من وراء حجاب: إما أن يكون في اليقظة كما حصل في ليلة الإسراء والمعراج، عرج بالنبي ﷺ إلى السماوات العلى، وصعد بالنبي ﷺ فوق سدرة المنتهى فوق السماء السابعة، ثم كلمه الله ﷻ مباشرة، أي من وراء حجاب كما قال تعالى لما كلم موسى ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾[الأعراف:١٤٣]. أي في الدنيا، ففي الدنيا لا يستطيع البشر أن يرى الله تعالى، لكن في الآخرة ينعم الله تعالى على المؤمنين برؤيته سبحانه وتعالى، جعلنا الله وإياكم منهم.

فإما أن يكلم الله تعالى النبي ﷺ في اليقظة كما في ليلة الإسراء والمعراج حيث كلمه الله تعالى وفرض عليه خمس صلوات في اليوم والليلة، وإما في المنام، أن يكلمه الله تعالى أيضا من وراء حجاب في المنام، وهذا وقع للنبي ﷺ في حديث معاذ-رضي الله عنه-أن النبي ﷺ قال: «**رَأَيْتُ رَبِّي الْبَارِحَةَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفِي حَتَّى وَجَدتُّ بَرْدَ أَنَامِلِهُ فِي صَدْرِي فَقَالَ: أَتَدْرِي فِيمَا يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ**

الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: لَا يَارَبِّ، قَالَ: فِي الْكَفَّارَاتِ وَالدَّرَجَاتِ وَالْكَفَّارَاتُ هِيَ إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ، وَنَقْلُ الْخُطَا إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَالدَّرَجَاتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، فَهَذَا اخْتِصَامُ الْمَلَأِ الْأَعْلَى». نؤمن بذلك كما يليق بكمال الله تعالى.

ففي الحديث أن الملائكة يختصمون فيما بينهم: ما هي الكفارات، وما هي الدرجات؟ والله تعالى أطلع نبيه ﷺ على ما يختصم فيه الملأ الأعلى، وأخبره بوجه الصواب فيما اختصموا، وهذا اختصام آخر، غير الاختصام في سورة ص قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [ص:٦٩]. هناك اختصموا في خلق آدم عليه السلام، اختصمت الملائكة اختصاما بمعنى النقاش والجدال أي دار بينهم حوار وجدال في شأن خلق آدم عليه السلام.

والشاهد هنا أن النبي ﷺ رأى ربه سبحانه وتعالى في المنام، وكلمه الله تعالى مباشرة في المنام فهذه هي الرؤية المنامية، والمنام يعتبر حجابا من الحجب أنه في المنام، وهناك التكليم في اليقظة وهذا وقع ليلة المعراج، وبخصوص تكليم الله سبحانه وتعالى للنبي ﷺ في المنام، من الممكن أن يندرج مع الوحي برؤيا صادقة فيعتبر نوعا من أنواع الرؤيا، ويمكن أيضا أن يندرج في التكليم من وراء حجاب، لأن المنام بمثابة حجاب إذا اعتبرنا الرؤيا الصادقة المقصود بها فترة الستة أشهر الأولى التي كانت في بداية النبوة.

وهل أنزل شيء من القرآن على النبي ﷺ بهذه الكيفية من كيفيات الوحي بالتكليم مباشرة بدون واسطة جبريل عليه السلام؟

الجواب: أنه مما أوحاه الله تعالى إلى النبي ﷺ ليلة المعراج مباشرة من وراء حجاب خواتيم سورة البقرة، قال ابن مسعود: (فأعطي رسول الله ﷺ الصلوات الخمس وأعطي خواتيم سورة البقرة)، فخواتيم سورة البقرة أعطيها النبي ﷺ من الله تعالى مباشرة بدون واسطة الملك، وهذا من الفضائل، فآخر آيتين في سورة البقرة هي من تكليم الله تعالى لرسوله ﷺ مباشرة بدون واسطة الملك من وراء حجاب. وقيل: بعض سورة الضحى كذلك، فبعض العلماء قالوا: إن جزءا من سورة الضحى أيضا أعطاه الله تعالى للنبي ﷺ مباشرة بدون واسطة الملك، أي كلم الله تعالى النبي ﷺ مباشرة بهذه الآيات من سورة الضحى، وجاء ذلك في حديث رواه ابن أبي حاتم عن عدي بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «**سَأَلْتُ رَبِّي مَسْأَلَةً وَدِدتُّ أَنِّي لَمْ أَكُنْ سَأَلْتُهُ، قُلْتُ: أَيْ رَبِّ اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَكَلَّمْتَ مُوسَى تَكْلِيما، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَلَمْ أَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَيْتُ، وَضَالًّا فَهَدَيْتُ، وَعَائِلًا فَأَغْنَيْتُ، وَشَرَحْتُ لَكَ صَدْرَكَ، وَحَطَطتُّ عَنْكَ وِزْرَكَ، وَرَفَعْتُ لَكَ ذِكْرَكَ، فَلَا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِي**».

هذا مما كلم الله تعالى به نبيه ﷺ مباشرة بدون واسطة الملك، لكن طبعًا هذا ليس هو نص آيات السورة الكريمة، والسورة أوحي بها إلى النبي ﷺ بنصها الذي في القرآن الكريم عن طريق جبريل عليه السلام.

إذن الأصل أن القرآن الكريم جاء إلينا بواسطة جبريل عليه السلام، لأن الله تعالى قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٣]، وفي الآية الأخرى قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾[التكوير: ١٩-٢١]. أي جبريل عليه السلام.

فالقرآن الكريم هو قول جبريل عليه السلام، أنزله على النبي ﷺ، فهذا هو الأصل أنه رغم تعدد أنواع الوحي، وكون بعض أنواع الوحي ليست بواسطة الملك، إلا أن القرآن الكريم هو من قسم الوحي الذي بواسطة الملك، ما عدا الاستثناءات اليسيرة، وهي مسألة سورة الكوثر، وآواخر سورة البقرة.

وقالوا: يحتمل أن هذا الإيحاء بها إلى النبي ﷺ بدون واسطة جبريل كان إيحاءً آخر إلى جانب الإيحاء بها عن طريق جبريل، ليس هناك تعارض، فيمكن أن نقول: إن القرآن كله أوحي به إلى النبي ﷺ عن طريق جبريل عليه السلام، وتميزت بعض الآيات بنزولها بكيفية أخرى بأن يكلم الله تعالى النبي بها مباشرة أو يراها في المنام كوسيلة أخرى ليست بديلاً عن نزول القرآن بواسطة جبريل، ولكن إضافة أو تنزيل آخر.

والرابع التكليم للرسول من صوب جبريل بلا نكول
فتارة صلصة كالجرس بلا حجاب مانع أو حرس

بلا نكول: النكول هو الرجوع، نكل عن الشيء معناه تراجع عن الشيء، أي كان جبريل يبلغ ما كلف بتبليغه وهو الأمين لا ينكل عن تبليغ شيء أمر بتبليغه، وجبريل عليه السلام، هو الذي جاء بالوحي إلى جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهذا معتقد المسلمين خلافا لليهود، فاليهود يقولون: إن الملك الذي كان يأتي إلى نبيهم موسى عليه السلام هو ميكائيل وليس جبريل، وهذا من تحريفهم وإلا فإن جبريل عليه السلام هو المرسل إلى جميع الأنبياء، كانوا يقولون للمسلمين: صاحبنا يأتي بالقطر وصاحبكم يأتي بالعذاب، يقصدون

بصاحبهم الذي يأتي بالقطر ميكائيل عليه السلام والمقصود بصاحبكم أي الملك الذي يأتي إلى نبيكم الذي هو جبريل عليه السلام يأتي بالعذاب، لأن من وظائف جبريل عليه السلام إهلاك الأمم المكذبة.

فجبريل عليه السلام هو المكلف بالوحي، لجميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهو الذي كان يبلغهم رسالة الله سبحانه وتعالى، حتى في المجيء إلى مريم، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم:١٧]. وهو جبريل عليه السلام، وهو الذي أرسل إلى مريم وأرسل إلى عيسى، و إرساله إلى مريم لا يقتضي نبوَّتها على الصحيح الذي هو قول جمهور العلماء، لكن القصد أنه هو الذي كان يأتي إلى الأنبياء السابقين، وهو الذي ذهب إلى أمِّ إسماعيل أيضا كما جاء في الحديث، أرسل الله إليها جبريل عليه السلام فحفر له بئر زمزم.

فجبريل عليه السلام هو المكلف من الله تعالى بتبليغ رسالات الله إلى جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وميكائيل عليه السلام أرسل إلى النبي ﷺ ببعض الأمور، لكن ليس هو المكلف بتبليغ رسالة الله تعالى، فقد جاء في الحديث أن ميكائيل عليه السلام قال للنبي ﷺ: «**اسْتَزِدْهُ**» وذلك لما أنزل القرآن على حرف واحد، قال للنبي ﷺ: «**اسْتَزِدْهُ فَاسْتَزَدتُهُ فَأَنْزِلَ عَلَى حَرْفَينِ**» فقال لي ميكائيل: «**اسْتَزِدْهُ فَاسْتَزَدتُهُ**»، فميكائيل عليه السلام كان ربما جاء إلى النبي ﷺ وربما كلمه بأشياء أو كذا، ولكن ليس هو المكلف بالوحي وتبليغ الرسالة من عند الله تعالى.

فالقرآن الكريم نزل بواسطة جبريل عليه السلام كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣-

١٩٥]. والروح الأمين هو جبريل عليه السلام.

وكان جبريل يأتي إلى النبي ﷺ أحيانا في مثل صلصة الجرس، أي له صوت عظيم مهيب مثل صوت صلصلة الجرس، والجرس مثل الناقوس النحاس الضخم الكبير، وعندما تقرع يكون لهذا الجرس صلصلة وهو صوت قرع الأجراس الضخمة، كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: سألت النبي ﷺ: هل تحس بالوحي؟ قال: «**أَسْمَعُ صَلَاصِلَ -وهو جمع صلصلة، أي أصواتا-مِثْلَ أَصْوَاتِ صَلْصَلَةِ الْجَرسِ، ثُمَّ أَسْكُتُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَمَا مِنْ مَرَّةٍ يُوحَى إِلَيَّ إِلا ظَنَنْتُ أَنَّ نَفْسِي تُقْبَضُ**».

فمجيء الوحي إلى النبي ﷺ بهذه الطريقة كان شديدا عليه، وجاء في صحيح البخاري: أن النبي ﷺ سئل: كيف يأتيك الوحي؟ قال: «**أَحْيَانًا وَأَحْيَانًا، أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيتُ مَا قَالَ**».

يفصم عني: أي ينفصل عني، معنى أنه يفصل بعد الانتهاء من الوحي، معناه أنه كان هناك أثناء الوحي نوع اتصال، بالطبع لا نعلم كيفيته بالضبط، لكن هناك نوع اتصال بين الملك والرسول ﷺ أثناء نزول الوحي كصلصة الجرس، قال الخطابي: «**والمراد أنه صوت متدارك يسمعه ولا يتثبته أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد**». صوت متدارك أي صوت فيه تدرج.

وقيل: إن صوت صلصلة الجرس هو صوت خفق أجنحة الملك، وهو أشد حالات الوحي على النبي ﷺ. وحين يأتي كصلصلة الجرس لا يراه الناس ولا يحول بينه وبين الوصول للنبي حجاب أو حرس

وبعض العلماء قال: إنما كان ينزل الوحي بهذه الكيفية الشديدة على النبي ﷺ في آيات الوعيد، والله تعالى أعلم، وليس هناك دليل على هذا. وبعض العلماء قال في تعليل شدة هذه الحالة على النبي ﷺ، قالوا: الوحي هو اتصال الملك بالنبي ﷺ، والنبي ﷺ بشر والملك في حالة ملكية والبشر في حالة بشرية، وكل جنس من المخلوقات له مواصفاته التي خلقه الله عليها فلا بد لهذا الالتقاء من حصول نوع تغيير، فأحد الطرفين يحصل عنده شيء من التغيير، في طبيعته ليلائم الاتصال بالطرف الآخر، فقالوا: صورة مجيء الوحي مثل صلصلة الجرس، هذا أي كأن النبي ﷺ يحصل شيء من التغيير في طبيعته بحيث يصبح في صورة تؤهله للتلقي عن الملك أي في حالة أقرب إلى الحالة الملكية، بكيفية يعلمها الله سبحانه وتعالى بحيث يصبح قادرا على التلقي عن الملك فيكون ذلك شديداً على النبي ﷺ.

فعندما كان النبي ﷺ يأتيه الملك مثل صلصلة الجرس كان يغشى على النبي ﷺ، وثقل جسده جدا حتى إن ناقته كانت تبرك به إذا جاءه الوحي وهو على الناقة، فتبرك الناقة في الأرض ولا تتحرك، ومرة كان واضعا ركبته على رِجل زيد ابن ثابت فجاءه الوحي، فقال زيد: «**حتى خشيت أن ترض فخذي**». حاول زيد أن يحرك فخذه من تحت ركبة النبي ﷺ، فعجز عن ذلك، وركبة النبي ﷺ ثقيلة جداً لا يستطيع أن يحركها، فقال: «**حتى خشيت أن ترض فخذي**» أي تنخلع من مكانها من ثقل رجل النبي ﷺ.

فكان يحصل ثقل حسي للنبي ﷺ، ويتفصد جبينه عرقًا أطيب من رائحة المسك، في اليوم الشديد البرد، أي حتى لو كان اليوم شديد البرد يتفصد جبين

النبي ﷺ عرقا شديدا، وكان أمهات المؤمنين يجمعن عرقه حين يأتيه جبريل في ذلك الوقت فيجمعنه في قارورة يتطيبن به، وكان أطيب من ريح المسك، وعرق النبي ﷺ كان طيبا في كلِّ وقت، ويزداد طيبا وقت الوحي، ويتفصد أي ينبع ويتدفق بشدة عرق غزير، فكان هناك مظاهر محسوسة للوحي في تلك الحالة الشديدة التي هي مجيء الملك في مثل صلصلة الجرس أي عندما يجيء لا يستطيع حجابٌ أن يمنعه ولا حرسٌ.

أو أن يكلم النبي كفاحا جبريل فافهمه تنل فلاحا

الحالة الأخرى من حالات مجيء جبريل عليه السلام أن يأتي في صورة بشر (رجل) فيكلم النبي ﷺ، فهنا الملك تحول وتصور وتمثل في هيئة بشر، فهذه تكون سهلة على النبي ﷺ، فالنبي ﷺ لم ما يطرأ عليه أي تغيير كأنَّ إنسانًا يكلمه، فالملك هو الذي يحصل له التغير في طبيعته بحيث يتشكل في صورة البشر ويأتي إلى النبي ﷺ فيكلمه بهذه الصورة، فيكون ذلك سهلا على النبي ﷺ. كما جاء في الحديث في صحيح البخاري لما سئل النبي ﷺ قال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ قال: «**أَحْيَانًا وَأَحْيَانًا، أَحْيَانًا مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ**».، كان جبريل عليه السلام إذا جاء في صورة رجل فإنه كثيراً ما يأتي في صورة دِحية ابن خليفة الكلبي رضي الله عنه، فيتصور جبريل عليه السلام في صورته، وكان أجمل الصحابة وجهًا، فكان جبريل عليه السلام يأتي في صورته، ويكلم النبي ﷺ.

ومرة جاء في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد بياض الشعر، لا يرى عليه

أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة، فمن الممكن أن يأتي أيضا في صورة رجل غير معروف، فليس بالضرورة أن يأتي دائما في صورة دحية، نعم غالبا كان يأتي في صورته، لكن ربما جاء في صورة رجال آخرين، فيكلم النبي ﷺ، قال: «**فَأَعِي مَا يَقُولُ**» فيعي النبي ﷺ ما قاله الملك. وهذه الصورة التي يتمثل له الملك رجلا فيكلمه كفاحاً أي مشافهة وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه وجها لوجه. قال عنه رسول الله ﷺ: «**وَهُوَ أَهْوَنُهُ عَلَيَّ**» أي هذا أسهل أنواع الوحي على النبي ﷺ.

ومسألة وعي النبي ﷺ بما يقوله الملك هذا مرَّ فيه النبي ﷺ بمرحلتين:

كان النبي ﷺ عندما يأتيه الوحي يحرك لسانه وشفتيه، يردد خلف الملك ما يوحى به إلى النبي ﷺ خشية أن يُنسى شيءٌ مما أوحي إليه، حتى قال له ربه سبحانه وتعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة:١٦]. كان كما قال ابن عباس: «**وكان مما يحرك شفتيه**» قالوا: (مما) هنا بمعنى ربما، أي: وكان ربما يحرك شفتيه أثناء تحديث الملك له، فكان يتعجل بالقراءة أثناء قراءة الملك عليه، فيكون مشغولاً بالسماع من جهة، وبالقراءة بلسانه وشفتيه من جهة أخرى حتى لا يُنسى، فقال الله تعالى له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة:١٦] أي لا تستعجل وتحرك لسانك أثناء الإيحاء إليك ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾[القيامة: ١٧-١٩]. أي أن نجمعه لك في صدرك فلا يُنسى، كما قال له ربه سبحانه وتعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى:٦]. فطمأنه الله تعالى أنه لن ينسى شيئاً مما أوحي إليه، وتكفل الله تعالى بجمعه في صدر النبي ﷺ فلا ينسى، فكان بعد ذلك لا يحرك شفتيه ولا لسانه أثناء الوحي، ثم بعد أن ينصرف الوحي، يبدأ يقرأ ما أنزل إليه فإذا به قد حفظه ولا يحتاج إلى الترديد والتكرير أثناء السماع.

وما مضى رواهما الشيخان كفيت عن زيادة البيان

الحالتان الأولى منهما مثل صلصلة الجرس، والثانية التي يكون فيها الملك رجلا، فهذا كله جاء في الصحيحين كما ذكرنا لما سئل النبي ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: «**أَحْيَانًا وَأَحْيَانًا، فَأَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرسِ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا**».

وهناك حالة ثالثة من حالات مجيء جبريل أن يأتيه في النوم، فيكون الوحي برؤيا منامية صادقة، ورؤيا الأنبياء حق، فكل رؤى النبي ﷺ حقٌّ وصادقةٌ من عند الله سبحانه وتعالى، ومن الرؤى ما يأتي جبريل فيكلم النبي ﷺ في المنام، وتكون هذا رؤيا حق وصادقة، وقد تكون الرؤيا بإلهام من الله سبحانه وتعالى للنبي ﷺ في المنام أي بكيفيات أخرى بدون مجيء جبريل عليه السلام.

فالرؤيا الصادقة بصفة عامة سواءٌ رأى فيها جبريل عليه السلام أو بدون أن يرى جبريل يكلمه، ولكن يلهمه الله تعالى أشياء في المنام ويكلفه بأشياء في المنام فهذا كله من أقسام الوحي.

والظاهر من تقسيم المؤلف أنه جعل الوحي ثلاثة أنواع بدون واسطة جبريل عليه السلام، والنوع الرابع بواسطة جبريل، فالأول: الرؤيا، والثاني: الإلهام في القلب، والثالث: التكليم من وراء حجاب، أن يكلم الله ﷻ النبي ﷺ من وراء حجاب، هذه الثلاثة ليس فيها واسطة جبريل، ثم الرابع تكليم جبريل للرسول ﷺ إما مثل صلصلة الجرس، وإما في صورة رجل.

لكن ذكر غيره من أهل العلم أنه في النوع الأول وهو الرؤيا الصادقة قد يرى

فيها جبريل أيضا عليه السلام، وقد تكون رؤيا بوحي من الله تعالى بدون رؤية جبريل، أي من الممكن في الرؤيا الصادقة أن يرى جبريل عليه السلام يأتيه ويكلمه، وقد يلهمه الله سبحانه وتعالى أشياء في المنام بدون واسطة جبريل عليه السلام، وكذلك بالنسبة للإلهام في القلب قد يرسل الله تعالى جبريل عليه السلام فيلهمه، وقد يكون إلهاما من الله تعالى بدون إرسال جبريل عليه السلام، مثلما يلهم الله تعالى الإنسان العادي غير النبي، فقد يلهمه الله تعالى أشياء في قلبه، فالنبي ﷺ من باب أولى، أي قد يلهمه الله تعالى بدون واسطة جبريل، وقد يكون الإلهام عن طريق جبريل كما قال: «**إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي**».

تَعريفُ القُرآنِ وأَسماؤُهُ

وَعَـرَّفَ القُـرآنَ جُـلُّ النَّـاسِ ... مـا فِيهِـمُ مُغَفَّـلٌ أَو نـاسِيْ
بِأَنَّـهُ: كَلامُ الـرَّبِّ الْمُعجِـزُ ... وَوحْيُـهُ الْمُـنَزَّلُ الْمُنَجَّـزُ
علىٰ النَّـبِيِّ أَحمَـدِ الأَمـينِ ... في الْمُصحَـفِ الْمَكتوبِ والْمُبِينِ
تَواتَـرَ النَّقـلُ بِـلا غَشـاوَهْ ... ويُنْشِـئُ التَّعَبُّـدَ التِّـلاوَهْ

تكلم في هذا الباب عن تعريف القرآن الكريم وأسماء القرآن الكريم، فقال:

وَعَرَّفَ القُرآنَ جُلُّ النَّاسِ: أي معظم الناس، أي هذا التعريف هو الذي عليه معظم العلماء.

قوله: **ما فِيهِمُ مُغَفَّلٌ أَو ناسِيْ**: هذا يسمى حشوا لتكملة البيت، أي هؤلاء الناس الذين عرفوا القرآن ليس فيهم مغفل ولا فيهم ناسٍ وإنما هم أهل العلم، عرفوا القرآن أو معظمهم عرفوا القرآن:

بِأَنَّهُ: كَلامُ الرَّبِّ الْمُعجِزُ ... وَ وحْيُهُ الْمُنَزَّلُ الْمُنَجَّزُ
على النَّبِيِّ أَحمَدَ الأَمينِ ... في الْمُصحَفِ الْمَكتوبِ والْمُبِينِ
تَواتَرَ النَّقلُ بِلا غَشاوَهْ ... .

غَشاوَهْ: وهي الغلاف أو الغطاء الذي يغطي الشيء، أي: هذا واضح لا غشاوة

عليه، أي لا شيء يخفيه، وإنما هو أمر واضح بين.

..... و يُنْشِئُ التَّعَبُّدَ التِّلاوَهْ

هذا التعريف الذي ذكره، يمكن أن يتلخص في أن القرآن هو كلام الله المعجز المنجّز المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته.

قوله: (الْمُعجِزُ)، فهو هنا أضاف في التعريف فقال: كَلامُ الرَّبِّ الْمُعجِزُ، احترازا من الحديث القدسي، فقوله: المعجز هنا احترازا من الحديث القدسي، فهو كلام الله تعالى إلا إنه ليس معجزا لأن الإعجاز هو التحدي للخلق أن يأتوا بمثله، فهذا التحدي للخلق أن يأتوا بمثله هذا كان في القرآن الكريم، أما الحديث القدسي فهو كلام الله تعالى من جهة المعنى أما اللفظ فقد يكون من النبي ﷺ بل حتى الرواة قد يروون الحديث القدسي بالمعنى، فالإعجاز في ألفاظ القرآن أنه لا يستطيع إنس ولا جن استبدال كلمة بكلمة، ويؤدي نفس المعنى الذي يؤديه اللفظ الأصلي أو يؤدي المعنى بطريقة أحسن أو أبلغ، فالقرآن الكريم معجز، من جهة ألفاظه، و بلاغتها، وفصاحتها، ومن جهة نظمه فالنظم القرآني ليس شعرا ولا كالنثر الذي يعرفه الناس وإنما هو نظم فريد من نوعه لا نظير له، وهناك إعجاز آخر من جهة المعنى وما اشتمل عليه من الأخبار الصادقة، وما اشتمل عليه من التشريعات المحكمة، فهذا إعجاز من جهة المعنى، وهناك من المعاصرين من أضاف الإعجاز العلمي، وهو ما يتعلق بما في القرآن من الدلالات على بعض ما يجدّ من المخترعات الحديثة والاكتشافات العلمية المعاصرة، فمن الممكن أن يعد هذا نوعا أو بابا من أبواب إعجاز القرآن الكريم إلى غير ذلك من أنواع الإعجاز، بشروط يأتي ذكرها فهو كلام الرب المعجز.

قوله: **(الْمُنَجَّزُ)**: من إنجاز الشيء، أي: تعجيله. فالشيء الناجز هو المعجل، فالقرآن الكريم نزل بكيفيتين؛ الكيفية الأولى: هي تنزيل القرآن دفعة واحدة إلى السماء الدنيا، وهناك تنزيل آخر: مفرق ومنجم خلال ثلاث وعشرين سنة. والمقصود هنا أن القرآن هو كلام الله المنجز على النبي أحمد ﷺ أي الذي أنزله الله وعجل تنزيله على النبي ﷺ، واكتمل تنزيله عليه، أي ليميز ذلك عن بقية كلام الله سبحانه وتعالى الذي سيتكلم الله تعالى به يوم القيامة، أو الكلام الذي يكلم الله به ملائكته في غير زمان نزول القرآن فهذا لا يدخل في تعريف القرآن، فليس كل كلام الله تعالى هو القرآن، وإنما القرآن هو جزء أو بعض من كلام الله تعالى، فهو الكلام المنجز على النبي أحمد، أي الذي تم تنزيله ونجز تنزيله، أي تم وقضي أمر تنزيله على النبي ﷺ. ففي هذا التعريف أن القرآن هو كلام الله تعالى المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته. فنستطيع أن نأخذ من هذا التعريف ما يلي:

أولا: أن القرآن كلام الله سبحانه وتعالى، و من مسائل اعتقاد أهل السنة والجماعة، ومن المسائل التي يتميز بها أهل السنة عن الفرق الضالة أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن القرآن كلام الله تعالى، تكلم الله تعالى به حقيقة، كلام يسمع بالآذان، سمعه جبريل عليه السلام، تكلم الله تعالى بهذا القرآن الكريم كلاما مسموعا بحرف وصوت، فمن ضمن معتقد السلف في القرآن الكريم أن الله تعالى تكلم بحرف وصوت، فهذا القرآن عبارة عن حروف، يتكون من حروف كما قال النبي ﷺ: «**لَا أَقُولُ: الم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**».

فإذن هذا القرآن حروف، وأصوات تسمع بالآذان، وسمعها جبريل عليه السلام

من رب العالمين ﷻ، وذكرنا أيضا أن من القرآن ما سمعه النبي ﷺ من رب العزة مباشرة بغير واسطة جبريل عليه السلام في غير الإسراء والمعراج، فسمع النبي ﷺ كلام رب العالمين ﷻ مباشرة بغير واسطة، فكلام الله تعالى بصوت وحرف.

و هذا احتراز من مذاهب الفرق، فمنهم من يزعم أن كلام الله تعالى هو عبارة عن معان قديمة قائمة بذات الله، أو يسمونه الكلام النفسي القديم، ليس أصواتا ولا حروفا وإنما هو عبارة عن معان نفسية تقوم بذات الله ﷻ، ولم يتكلم الله تعالى بأصوات ولم يسمعها جبريل، وإنما هو عبارة عن معنى ألهم في صدر جبريل عليه السلام، وهذا باطل، فإن الله تعالى يتكلم بصوت وحرف، وسمعه جبريل عليه السلام.

فالقرآن هو كلام الله، و عندما نقول: كلام الرب، هذا احتراز من كلام غير الرب من كلام الإنس والجن، فالقرآن هو كلام الله تعالى.

فالْمُنَجَّزُ، أي الذي تم وعجل تنزيله، احترازا من كلام الله تعالى الذي يتكلم به يوم القيامة والذي يكلم به ملائكته، فيأمرهم بأشياء متى شاء سبحانه وتعالى، فيتكلم متى شاء بما شاء، لكن القرآن هو الكلام المحدد الذي بين اللوحين أو بين الدفتين، وقد نجز وتم إنزاله.

(على النَّبِيِّ أَحمَدَ الأَمينِ) أي على رسولنا ﷺ، وهذا احتراز من كلام الله تعالى الذي لم ينزله على النبي، أي في الأصل المنزل هو احتراز مما ألقاه الله تعالى على ملائكته ولم ينزله إلى الأرض، فهناك كلام لم ينزله الله تعالى إلى الأرض من الكلام الذي كلم الله تعالى به ملائكته، ونحو ذلك مما لم ينزله إلى

الأرض فالقرآن هو الكلام المنزل، وهناك كلام أنزله الله إلى الأرض ولكن إلى غير النبي ﷺ ولكن أنزله إلى أنبياء آخرين إلى غير النبي ﷺ، ولكن أنزله إلى أنبياء آخرين والذي جاء ذكره من الكتب السابقة في القرآن هو التوراة المنزلة على موسى والإنجيل المنزل على عيسى والزبور المنزل على داود وصحف إبراهيم وصحف موسى المنزلة عليهما، وورد في الأحاديث أن الله تعالى أنزل صحفا على شيث بن آدم وعلى إدريس عليهم السلام، فهذه كلها كتب من كتب الله تعالى، ولكنها ليست هي القرآن، فالقرآن هو كلام الله المنزل على محمد ﷺ، وبهذا يخرج ما لم ينزله الله تعالى إلى الأرض، ويخرج ما نزله الله تعالى من كلامه على أنبياء آخرين غير نبينا ﷺ، فهو ليس من القرآن وإن كان من كلام الله.

(فِي الْمُصحَفِ الْمَكتوبِ والْمُبِينِ)

المصحف المكتوب، والمصحف المبين، أي الواضح الجلي والمبين من أسماء القرآن الكريم، وهذا أيضا احتراز مما ليس في المصحف، فالذي ليس في المصحف منه آيات منسوخة، هي من كلام الله تعالى أنزلها، ولكنها ليست في المصحف فهي ليست من القرآن لأنها مما نسخ ورفع، وهناك أيضا الأحاديث القدسية هي من كلام الله تعالى، ولكنها ليست قرآنا لأنها ليست بين دفتي المصحف، فمن تعريف القرآن الكريم أنه ما بين الدفتين، أي ما بين غلافي المصحف من أوله إلى آخره، فلا بد وأن يكون مكتوبا في المصحف الكريم.

والبعض يزيد أنه المتواتر نقله، فالبعض يضيف إلى التعريف هذا القيد، أنه هو المتواتر نقله، فالقرآن منقول إلينا بالتواتر تمييزا عما نقل إلينا بأخبار الآحاد، فالقرآن الكريم منقول إلينا متواترا، فيشمل ذلك القراءات السبع كلها من القرآن

الكريم، والقراءات الثلاث المكملة للعشر فكلها متواترة على الصحيح كالسبع وداخلة في هذا التعريف، لكن هذا الشرط وهو اشتراط التواتر، بمعنى أن ينقله جمع غفير عن جمع غفير إلى منتهى الإسناد، فمن العلماء من قال: إن هذا الشرط إنما اشترطه في بداية الأمر المعتزلة ليتهربوا من أحاديث الآحاد، وليس هناك في القرآن ولا في السنة ما يلزم بأن يكون الخبر متواترا حتى يقبل ويعمل به.

أي لا مانع من أن ينقل بعض القرآن نقلا آحاديا، وإلا لزم من أرسل إليهم النبي ﷺ صحابيا واحدا يعلمهم القرآن أن يرفضوه ولا يقبلوه، ويقولوا: هذا ليس بقرآن، ولا بد وأن يأتينا جمع غفير ينقلون إلينا هذا حتى نعتقد أنه قرآن ونقبله.

ولأنه أيضا من الناحية العملية كما ذكر هذا الإمام ابن الجزري-رحمه الله تعالى-، إذا دققنا في القراءات القرآنية وجدنا بعضا منها منقولا إلينا نقل آحاد أي ينقله آحاد ثم يتواتر بعد ذلك، أي بعد ذلك يكثر نقلته، لكن في مرحلة من مراحل الإسناد يكون نقلة حرف معين أو وجه معين من وجوه القراءة قد يكونون آحادا، أي رواية حفص عن عاصم التي نقرأ بها اليوم، فيها أشياء انفرد بها حفص لم يقرأ بها غيره في القراءات المتواترة فيما نقل إلينا، مع التسليم بأنه قرأ بها آخرون ولم يقبل أهل العلم في زمنه هذا الحرف منه إلا لكونه لم ينفرد به، لكن إذا أردنا أسانيد متواترة إلى النبي ﷺ فيها أنه قرأ بهذا الحرف، لم نستطع ذلك.

مثلا انفرد عاصم عن بقية القراء العشرة فقرأ: ﴿وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٦٨]. بالباء والقراء التسعة الآخرون قرؤوا: (**والعنهم لعنًا كثيراً**) بالثاء، ومثلا انفرد حفص عن شعبة وعن بقية القراء العشرة فقرأ: ﴿سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ [النساء:١٥٢]. بالياء وشعبة والقراء التسعة الآخرون قرؤوا: (**سوف**

نؤتيهم) بالنون، فهذه الانفرادات لا نستطيع أن نثبت بالأسانيد أنها متواترة رواها جمع غفير عن جمع غفير، لأنك ستجد في نهاية الإسناد أن نقلة هذا اللفظ آحاد من الناس لكنهم ثقات مقبول خبرهم.

لذلك الذي رجحه المحققون من العلماء، ومنهم الإمام ابن الجزري-رحمه الله-، وهو من أئمة القراءات أن القرآن الكريم يكفي فيه صحة الإسناد، ولا يشترط التواتر، يكفي صحة الإسناد أن ينقل إلينا بإسناد صحيح، وإن كان الغالب أنه متواتر، لكن قد تواجهنا بعض الكيفيات في نقل بعض ألفاظ القرآن الكريم يكون نقلتها آحادا فيما بلغنا، أي فيما وصلنا، وإن كان غيرهم قد رواها، ولكن لم يبلغنا، فيكفي صحة الإسناد.

لكن المؤلف هنا اشترط التواتر كما هو مذهب الجمهور، فقال:

تَوَاتَرَ النَّقلُ بِلا غَشاوَهْ: أي بلا لبس ولا غموض، بل هو أمر واضح.

ويُنْشِئُ التَّعَبُّدَ التِّلاوَهْ: أي تلاوته تعبد لله، يقصد بذلك (المتعبد بتلاوته)، وذلك احترازا من الحديث القدسي؛ لأن الحديث القدسي هو كلام الله ولكنه ليس متعبدا بتلاوته، فلا يكون قرآنا.

أسماء القرآن الكريم

انتقل الناظم بعد ذلك إلى أسماء القرآن الكريم، فذكر أن القرآن الكريم له أسماء عديدة، فقال:

أَسماؤُهُ: أَشهَرُها القُرآنُ ... وهٰكَذا الكِتابُ والفُرقانُ

وَقيلَ: بَل تَزيدُ عَن خَمسِينا ... بِخَمسَةٍ والسَّردُ لا يَعنِينَا

وَالبَعضُ: زَادَ فِيها ما يُريدُ ... فَتَبلُغُ التِّسعِينَ أَو يَزِيدُ

أي أشهر أسماء القرآن الكريم: القرآن والكتاب والفرقان، فهذه الأسماء الثلاثة هي أشهر أسماء القرآن الكريم، وكلها واردة في القرآن الكريم نفسه، أي من تسمية الله سبحانه وتعالى لهذا الكتاب، سماه الله تعالى القرآن لأنه مقروء بالألسن، وسماه الكتاب لأنه مكتوب في الصحف، وسماه الفرقان لأنه يفرق بين الحق والباطل. و قيل: أسماء القرآن الكريم خمسة وخمسون اسماً.

قال: **والسَّردُ لا يعنينَا**، أي ليس من المهم سرد هذه الأسماء، وهذه الأسماء الخمسة والخمسون هي التي وردت في القرآن الكريم، سمى الله سبحانه وتعالى بها هذا الكتاب، فسماه الله تعالى الذكر الحكيم وسماه مبينا ومجيدا وعليا وعظيما ورحمة ونورا وضياءً وشفاء، كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة:١٥].، وقال الله تعالى عن القرآن الكريم: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فُصِّلَت:٤٤].، فالقرآن الكريم رحمة وهدىً وشفاء ومبين ونور وذكر وحكيم، فيمكن أن نعدها من أسماء القرآن الكريم، ويمكن أن تكون من الصفات وليست أسماء، وإنما هي أوصاف لهذا القرآن

الكريم، لكن أشهر هذه الأسماء الثلاثة هي القرآن والكتاب والفرقان.

فالبعض زاد في أسماء القرآن الكريم حتى أوصلها تسعين اسمـًا أو أكثر من ذلك، إذا أخذ يجمع ما في السنة، وبعض الأسماء يكون هناك شيء من التكلف في جعلها اسمـًا للقرآن الكريم، لأنها لم ترد بصورة مباشرة على سبيل التسمية.

نُزُولُ القُرآنِ

وَإِن تُــرِدْ مَعرِفَــةَ الــنُّزولِ ... لِتَهتَــدِي بِــهِ إلىٰ الوُصــولِ
فَــأَوَّلُ الــنُّزولِ كانَ جُمْلَــهْ ... وَلْتَحْفَظَـنْ أُخَيَّ هٰـذِي الْجُمْلَـهْ
نُــزولُهُ إلىٰ سَــماءِ الدُّنيــا ... علىٰ الأَصَــحِّ إنْ تُــرِدْ فَــدِنْ يَــا
خَلِيــلِي بِالقَــولِ علىٰ الأَســاسِ ... فَالقَــولُ قَــولُ حِبْرِنــا العَبَّــاسِيْ
وَهْــوَ الَّذِي حَــكَىٰ بِــهِ الجُمهُــورُ ... لَهُ انتِشــارٌ ولَهُ ظُهــورُ
وَأَكَّــدَ الْمَقُــولَ مِن حيــثُ الأَثَر ... مِثلُ السُّيُوطِيْ سابِقاً وابنِ حَجَر
والقُرطُــبِيُّ قَــد حَــكَىٰ الإِجمــاعَا ... مــا أَطيَــبَ النُّقــولَ والسَّــماعا

نزول القرآن الكريم له نوعان:

- النزول الأول: هو نزول القرآن الكريم جملةً.
- والنزول الثاني: هو نزوله مُنَجَّمًا، وسنذكره بعد ذلك إن شاء الله.

فالنزول الأول جاء ذكره في الأثر عن ابن عباس -رضي الله عنهما-أن القرآن الكريم أُنزل جملةً واحدةً إلى السماء الدنيا.

معنى النزول (لغةً): هو الانحطاط من علوٍ أي من (مكان عالٍ)، ويأتي النزول أيضا بمعنى الحلول ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ ﴾ [الصافات:١٧٧] أي: حل بساحتهم، يقال: نزل فلانٌ بالمدينة، أي: حل في المدينة.

وأما النزول (شرعًا): فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ليس في القرآن ولا في السنة، لفظ نزول إلا وفيه معنى النزول المعروف، وهذا هو اللائق به فإنه نزل بلغة العرب ولا تعرف العرب نزولا إلا بهذا المعنى، ولو أريد غير هذا لكان خطابا بغير لغتها، ثم هو استعمال اللفظ المعروف له معنى في معنى آخر بلا بيان، وهذا لا يجوز».

فيقول شيخ الإسلام: إن نزول القرآن الكريم يفسر بالمعنى المعروف في لغة العرب، فإن الله تعالى ذكر أنه نزل القرآن وأنزل القرآن فلا بد أن نفسره بالمعنى المعروف في لغة العرب، يقول: لا يمكن أن يريد معنى آخر ولا يبيّن لأنه لا يجوز تأخير البيان، ولا يمكن أن يستعمل اللفظ في غير المعنى المعروف في لغة العرب ولا يكون هناك دليل على الاستعمال الثاني، فإذن لا بد أن نفسر نزول القرآن الكريم بالمعنيين المعروفين في اللغة، أي المعنى الشرعي للنزول هو نفس المعنى اللغوي لكلمة النزول؛ لأن الشرع لم ينقل النزول إلى معنى آخر.

إذن فنزول القرآن بمعنى الانحطاط من علوٍ، فينزل من مكان عالٍ إلى مكان منخفض عنه، والنزول بمعنى الحلول، نزل في مكان إلى مكان آخر، أي حل فيه، فالمعنى اللغوي للنزول هو نفس المعنى الشرعي والاصطلاحي عند أهل السنة والجماعة، و هذا مبني على فهمنا للقرآن الكريم ولمعنى كلام الله سبحانه وتعالى.

قوله (قَولُ حَبْرِنا العَبَّاسِ)، وهو عبد الله بن عباس، والحَبْرُ بمعنى: العالم الإمام، والعباس: نسبه إلى أبيه، ويشير بهذا إلى الحديث الذي رواه النسائي في السنن الكبرى والبيهقي في شعب الإيمان والحاكم عن ابن عباس-رضي الله

عنهما-قال: «**أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة ثم قرأ** ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء:١٠٦]».

إذن فهذا الإنزال الأول أنه نزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا، وكان هذا التنزيل في ليلة القدر.

وَإِن تُـرِدْ مَعرِفَـةَ الـنُّزولِ لِتَهتَـدِي بِـهِ إلى الوُصـولِ

أي: ليهديك إلى الوصول للحق والصواب.

فَـأَوَّلُ الـنُّزولِ كانَ جُمْلَـهْ وَلْتَحْفَظَـنْ أُخَيَّ هـذِي الْجُمْلَـهْ

فأول ما نزل القرآن نزل جملة من اللوح المحفوظ، واللوح المحفوظ عند الله تعالى فوق السماء السابعة، واللوح المحفوظ الذي كتب الله تعالى فيه مقادير الخلائق، فكل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ، ومن ذلك القرآن الكريم؛ لأن الله تعالى قال عن القرآن الكريم: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾ [البروج: ٢١-٢٢]، وقال تعالى أيضا عن القرآن الكريم: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾[الواقعة: ٧٧-٧٩]، والكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزُّخرُف:٤]..، ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ [البقرة:١٣٠]: أي القرآن، ﴿فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الزُّخرُف:٤]: أي في اللوح المحفوظ، ﴿لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزُّخرُف:٤]: أي في مكان عال مرتفع.

وهذا يفيدنا أن القرآن الكريم مكتوب في أم الكتاب أو مكتوب في اللوح المحفوظ،، وذلك أنه قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة لما

خلق الله تعالى القلم وقال له اكتب قال: ماذا أكتب؟ قال: ما هو كائن إلى يوم القيامة، فكتب القلم ما هو كائن إلى يوم القيامة، فمن ضمن ما هو كائن إلى يوم القيامة، القرآن الكريم ونزول القرآن الكريم، إذن فالقرآن الكريم مكتوبٌ في اللوح المحفوظ بهذا المعنى، ومن هذه الكتابة نسخت نسخة، وأنزلت إلى بيت العزة في السماء الدنيا كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، وبيت العزة هو بيت الله تعالى فوق الكعبة في السماء الدنيا تطوف به الملائكة مثل البيت المعمور، وهو فوق الكعبة وفي كل سماء لله تعالى بيت، فأنزلت نسخة من القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة، وكان هذا التنزيل في ليلة القدر، وهو تنزيل القرآن جملة.

كما أن الله تعالى تكلّم بالقرآن بصوت وحرف، تكلم الله به، وسمعه جبريل عليه السلام، وكان ينزل بالقرآن الكريم مفرقا على النبي ﷺ على حسب الوقائع إذا حصلت واقعة تكلم الله سبحانه وتعالى بما شاء أن يتكلم به من الآيات وسمعها جبريل عليه السلام، ثم نزل جبريل على النبي ﷺ فقرأ عليه ما تكلم الله تعالى به من الآيات وسمعه النبي ﷺ من جبريل عليه السلام. ومدة نزوله منجما ثلاث وعشرون سنة وكانت بداية التنزيل المنجم أي المفرق، على حسب الوقائع، كانت بدايته في ليلة القدر، فأول ما نزل من التنزيل المنجم كان الآيات الخمس الأولى من سورة العلق، وكانت بدايتها أيضا في ليلة القدر، فإنزال القرآن في ليلة القدر من جهتين: من جهة إنزال القرآن جملة مكتوبا من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ومن جهة بداية التنزيل المفرق أيضا.

هنا شيخ الإسلام ابن تيمية له كلام جميل في الحكمة من وجود التنزيلين للقرآن

الكريم، فقال: ما خلاصته أن هذه الأمة-أمة محمد ﷺ- تتميز عن بني إسرائيل وعن الأمم السابقة، فالأمم السابقة كانت كتبها تنزل مكتوبة، فكانت تنزل نسخة مكتوبة من الكتب، وتنزل إليهم، فأنزل الله تعالى القرآن الكريم بهذه الكيفية، حتى لا تكون لهذه الأمم مزية على أمتنا فإن القرآن الكريم أنزله الله تعالى أيضا إلينا مكتوبا، بنسخةٍ مكتوبةٍ أنزلت إلى السماء الدنيا، فهذا إنزال القرآن الكريم إلينا مكتوبا دفعة واحدة؛ لئلا يكون للأمم السابقة مزية على أمة محمد ﷺ.

ثم فضّل الله عز وجل أمة محمد ﷺ بأن أنزل عليها الكتاب مفرّقا، وتلقي بالسماع المتصل إلى رب العزة سبحانه وتعالى، وهذه مزية شريفة عظيمة، لا تضاهينا فيها أمة من الأمم، وهي أن إسناد القرآن الكريم إلى وقتنا هذا عندما يأتي دارس القرآن الكريم الذي يريد الحصول على إجازة في القرآن الكريم فيقرأ القرآن على شيخه قراءة متقنة، ويقول له شيخه: أجيزك أن تقرأ وتقرئ القرآن الكريم، فإني قرأته على فلان، وفلان قرأه على فلان، عن فلان عن فلان عن فلان، حتى يصل إلى الصحابي الذي قرأه على النبي ﷺ، والنبي ﷺ قرأه على جبريل وسمعه من جبريل، فتحمل النبي ﷺ من جبريل قراءة وسماعا لأنه سمعه من جبريل عليه السلام، وقرأه عليه في كل رمضان من كل سنة، فقد كان جبريل عليه السلام يأتي إلى النبي ﷺ فيدارسه القرآن، أي جبريل يقرأ على النبي ﷺ، والنبي ﷺ يقرأ على جبريل عليه السلام، فسمع النبي ﷺ القرآن كله من جبريل عليه السلام مفرقا حسب الوقائع، وكذلك أيضا سمعه كاملا في ختمات كاملا من خلال تلاوة جبريل عليه في رمضان، وقرأ النبي ﷺ ختمات كاملات على جبريل عليه السلام في رمضان أيضا، وجبريل عليه السلام سمع القرآن من رب

العزة سبحانه وتعالى، إذن فالإسناد يتصل إلى رب العالمين سبحانه وتعالى، كل شخص يقول: سمعت من فلان عن فلان عن فلان حتى يتصل السماع برب العزة سبحانه وتعالى، وهذا شرف عظيم لهذه الأمة فضلها الله تعالى به، وفي نفس الوقت أيضا كما ذكرنا، أنزل الله القرآن دفعة واحدة مكتوبا مثل ما أنزل الكتب السابقة مكتوبة للأمم السابقة؛ لئلا يكون لهم علينا فضل، فأصبحت هذه الأمة متميزة بهذين النوعين من التنزيل.

وبخصوص الأقوال التي وردت في تنزل القرآن الكريم على النبي ﷺ، فقد ذكر الإمام السيوطي في كتاب الإتقان ثلاثة أقوال.

القول الأول:

قال السيوطيّ: «أحدها: وهو الأصح الأشهر أنه نزل إلى سماء الدنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثم نزل بعد ذلك منجما في عشرين سنة أو ثلاثة وعشرين أو خمسة وعشرين سنة».

كل هذه أقوال، والمشهور هو ثلاث وعشرون سنة، إذا قلنا في عشرين أو ثلاثة وعشرين أو خمسة وعشرين فنقصد عاما، إما ونقول في ثلاثٍ أو خمسٍ وعشرين سنة. إذن هذا هو القول الأول المشهور وهو المروي عن ابن عباس-رضي الله عنهما-. روى الحاكم والبيهقي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «**أنزل القرآن في ليلة القدر جملة واحدة إلى سماء الدنيا وكان بمواقع النجوم، وكان الله ينزله على رسوله بعضه في إثر بعض**»..

أنزله الله إلى السماء الدنيا وكان بمواقع النجوم، وهذا من الغيب الذي لا نعلم

كيفيته، وكان الله ينزله على رسوله ﷺ بعضه في إثر بعض، أي على حسب الوقائع وهذا تنزيل ثانٍ. وقال ابن عباس: «**كان المشركون إذا أحدثوا شيئا أحدث الله لهم جوابا، وقال ابن عباس: فصل القرآن من الذكر-أي من اللوح المحفوظ- فوضع في بيت العزة من السماء الدنيا، فجعل جبريل ينزل به على النبي ﷺ**». وقال السيوطي: «أسانيدها كلها صحيحة».

القول الثاني:

قالوا: نزل إلى سماء الدنيا في عشرين ليلة قدر، أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين ليلة قدر، في كل ليلة ما يقدر الله إنزاله في كل السنة، ثم أنزل بعد ذلك منجما في جميع السنة. وحجة هذا القول قالوا: لأن ليلة القدر ورد في الأحاديث والآثار أن الله تعالى ينزل فيها مقادير الحول، أي: مقادير السنة وكل ما يحصل خلال هذه السنة.

إذن في السنوات التي نزل فيها القرآن الكريم، سواء قلنا عشرين أو ثلاثا وعشرين أو خمسا وعشرين، في كل ليلة قدر ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا- ضمن إنزال مقادير هذه السنة-ما قدر الله تعالى أن ينزل من القرآن خلال هذه السنة، فتنزل مع هذه المقادير دفعة واحدة إلى السماء الدينا، ثم بعد ذلك يفرق على حسب الوقائع، مثل كل المقادير التي تنزل خلال السنة في ليلة القدر دفعة واحدة إلى السماء الدنيا، وبعد ذلك تحصل خلال السنة مفرقة.

وهذا القول قاله مقاتل بن حيان، ومال إليه الفخر الرازي، وقال به الحليمي والماوردي وآخرون.

قالوا: ومن أدلة هؤلاء قول محمد بن شهاب الزهري التابعي الجليل-رحمه الله-: «آخر القرآن عهدا بالعرش آيات الدين»، أي لأنها آخر القرآن نزولا في رأيه، لكن في الحقيقة ليس صريحا، لأنه من الممكن أن يقال هذا في التنزيل المنجم، ولا يمانع هذا أن يكون القرآن أنزل دفعة واحدة إلى السماء الدنيا.

القول الثالث:

أنه ابتدئ إنزاله إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك منجما في أوقات مختلفة، قاله الشعبي.

لكن هذا القول الثالث الحقيقة لا يعارض ما قبله، لأن الإنزال المفرق ابتدئ في ليلة القدر، لا مانع أن نقول: إنزال مفرق ابتدئ في ليلة القدر، والإنزال دفعة واحدة كان في ليلة القدر أيضا؛ لأن الله تعالى أخبر أن القرآن أنزل في ليلة القدر، فهذا وذاك كله في ليلة القدر.

ومما ورد في تنزيل القرآن الكريم ما جاء في حديث واثلة بن الأسقع ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ وَالْإِنْجِيلُ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْهُ، وَالزَّبُورُ لِثَمَانِي عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْهُ، وَالْقُرْآنُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْهُ**». وهي تعتبر ليلة خمس وعشرين، أي بعد أن مضت أربع وعشرون ليلة، وفي ليلة خمسة وعشرين كانت ليلة القدر فيها أنزل القرآن، وهذا الحديث رواه أحمد والبيهقي وفي رواية: «**وَصُحُفُ إِبْرَاهِيمَ لِأَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ**»..

إذن فكل الكتب أنزلها الله تعالى في شهر رمضان المبارك، وكما ذكرنا كيف نزل القرآن في رمضان، فبناء على ما ذكر نقول: التنزيل دفعة واحدة إلى السماء

الدنيا كان في ليلة القدر من رمضان، والتنزيل مفرقا كانت بدايته في رمضان، وهي أول آيات أنزلت من سورة العلق على النبي ﷺ فكان في شهر رمضان أيضا.

وَهْـوَ الَّذِي حَـكَى بِـهِ الجُمهُـورُ لَهُ انتِشـارٌ ولَهُ ظُهـورُ

فالقول بأن القرآن الكريم أنزل دفعة واحدة إلى السماء الدنيا هذا هو القول الذي حكاه جمهور العلماء.

وَأَكَّدَ الْمَقُولَ مِن حيثُ الأَثَر مِثلُ السُّيُوطِيْ سابِقا وابنِ حَجَر

أي السيوطي وابن حجر أكدوا هذا القول بآثار رووها تؤكد هذا القول، وهي الآثار التي قرأناها عليكم، تؤكد أن القرآن الكريم أنزل دفعة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا في ليلة القدر.

والقُرطُـبِيُّ قَـد حَـكَى الإِجمـاعَا مـا أَطيَـبَ النُّقـولَ والسَّـماعا

أي أن القرطبي حكى إجماع العلماء على أن القرآن أنزل دفعة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، وهو وإن لم يكن إجماعا، لكنه شبيه بالإجماع لأنه قول معظم العلماء.

وقوله: ما أَطيَبَ النُّقولَ والسَّماعا

أي النقول والسماع، أي بالسماع: الآثار المروية عن سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، والنقول المروية عنهم، والنقول تشمل الأحاديث والسماع يشمل الأحاديث، والآثار ما أطيبها أي وما أجملها، فهذا من الحشو الجميل الذي أتم به معنى البيت.

فَدِنْ: أي من الديانة، فدن بكذا أي: اعتقد كذا، يقول: فَدِنْ يَا خَلِيلِي، أي: دن بكذا، أي: دن لله، أي اعتقد واجعله دينا تتقلده وتعتقده.

وثانِيًا: مُنَزَّلٌ تَنْجِيما أُنبِيكَ عَنهُ باذِلاً عَلِيما
وأَصلُهُ في اللُّغَةِ: التَّفْرِيقُ فَخُذْ مِنَ الكَلامِ ما يَلِيقُ
وَفِي اصْطِلاحٍ: مُنْزَلٌ مُفَرَّقا حَسبَ الحُدوثِ تارَةً ومُطلَقَا
ومِنهُ ما يَكُونُ نَحوَ آيَةِ وَقَد تَزيدُ تارَةً في الغايَةِ
ورُبَّما بِسُورَةٍ تَماما كَ(الفَاتِحَهْ) وَلتَسْمَعِ الكَلامَا
فِي الكَوثَرِ النَّصرِ كَذاكَ النَّاسِ وَفِي (الفَلَقْ) إِنْ كُنتَ ذَا مِراسِ
والْمُرسَلاتِ (لَم يَكُن) و(تَبَّت) حَكَىٰ السُّيُوطِيْ هٰكَذا وثَبَّتْ
وحِكمَةُ التَّنجيمِ ما أَقُولُ لِيَثبُتَ النَّبِيُّ والرَّسُولُ
وَيَسهُلَ الحِفظُ علىٰ العِبادِ وَفَهمُهُ لِكَونِهِ كالزَّادِ
دَليلُنا بِسُورَةِ الفُرقانِ وسُورَةِ (الأَعلَىٰ) الدَّليلُ الثَّانِي

هنا الكلام على التنزيل الثاني، فقال: وثانِيًا مُنَزَّلٌ تَنْجِيما أي: تفريقا.

أُنبِيكَ أي: أنبئك وأخبرك عَنهُ باذِلا أي: وأبذل لك، من البذل الذي هو العطاء، ف(باذِلا) أي: أعطيك وأفيدك، (عَلِيما) يصف الناظم نفسه فيقول: أنبئك عن علم، أي: أخبرك وأنا عليم بهذا الأمر، وسوف أخبرك وأبذل لك هذا العلم وأبلغك إياه.

وأَصلُــهُ في اللغَــةِ: التَّفْرِيــقُ .....

فالتنجيم معناه في اللغة: التفريق.

..... فَخُــذْ مِــنَ الــكَلامِ مــا يَليــقُ

هذا يسمى حشوا، ولكن الحشو أحيانا يكون جميلا، فيه فوائد وحكم ونصائح، وعادة الناظمين أن يستعملوا الحشو في المنظومات لإفادة المستمع، وتكميل معنى البيت، كما قالوا: (وحَشْوُ الرَّحبيّ سُكَّر)، أي الحشو أحيانا يكون فيه بعض الفوائد واللطائف والنصائح؛ لأنه إذا خلت المنظومة من الحشو تصبح جافة وثقيلة، فلتسهيل المنظومة وجعلها سلسة يكمل الأبيات ببعض الوصايا فيقول: (فَخُذْ مِنَ الكَلامِ ما يَليقُ) فهنا يوصي المستمع أن يأخذ اللائق من الكلام، واللائق أي المناسب لمقتضى الحال، فإذا أردت أن تتكلم في موضوع فاختر الكلام اللائق، أي: المناسب لهذا الموضوع الذي يعبر عن مرادك تعبيرا صحيحا.

وَفِي اصْطِــلاحٍ: مُــنْزَلٌ مُفَرَّقــا حَسْــبَ الحُدُوثِ تَــارَةً ومُطلَقَا

فتنزيل القرآن تنجيما في اصطلاح العلماء: هو أن ينزل القرآن الكريم مفرقا (حَسْبَ الحُدُوثِ تَارَةً) أي حسب الوقائع، فكلما حدثت واقعة أنزلت آيات كريمة تبين حكم الله تعالى في هذه الواقعة، (ومُطلَقَا) أحيانا بدون سبب؛ لأن أسباب النزول ليست لكل آية من آيات القرآن الكريم كما سيأتينا إن شاء الله تعالى في الكلام عن أسباب النزول، فليست كل آية قرآنية أنزلت لسبب من الأسباب، فهناك بعض الآيات الكريمة أنزلت لسبب، أي تحصل واقعة أو حادثة

فينزل الله تعالى بعض الآيات الكريمة لبيان حكم هذه الواقعة، لكن هناك أيضا آيات أخرى كريمة كثيرة أنزلت بغير سبب وهي أكثر القرآن، والآيات التي أنزلت بأسباب هي القسم الأقل من القرآن الكريم، فالآيات المفرقة تنزل مجموعة من الآيات على النبي ﷺ، أحيانا بمناسبة أو بسببٍ أدى إلى نزولها، أن تقع حادثة أو تحصل واقعة فتنزل الآيات الكريمة لتبين حكم الله تعالى في هذه الواقعة، ومسألة نزول القرآن من أجل بيان حكم الله في واقعة ما، فهذا من الأمور العظيمة النفع كما سيأتينا أيضا في أسباب النزول إن شاء الله، بأن هذه الواقعة تعتبر تفسيرا عمليا لهذه الآيات الكريمة، فتبين مراد الله تعالى من خلال هذه الواقعة؛ لأن سبب النزول يساعد على فهم الآية ويعتبر تطبيقا عمليا للمراد منها، وكما ذكر: **(حَسْبَ الحُدُوثِ تَارَةً)**.

ومُطلَقًا أي تارة أخرى مطلقا، أي: بدون سبب تنزل بعض الآيات مفرقة بدون أسباب تؤدي إلى نزولها.

ومِنهُ ما يَكُونُ نَحوَ آيَةِ وَقَد تَزيدُ تارَةً في الغايَةِ

هنا سؤال: كيف كان نزول القرآن عندما فرق على النبي ﷺ؟ هل كان ينزل آية أو آيتين آيتين، أو ثلاث آيات ثلاث آيات؟

فيقول الناظم مجيبا: **(ومِنهُ ما يَكُونُ نَحوَ آيَةِ)**، أي من القرآن ما أنزل آية واحدة منه.

ثم يقول: **(وَقَد تَزيدُ تارَةً في الغايَةِ)**، أي: أحيانا تنزل آيتان أو ثلاث آيات أو مجموعة من الآيات دفعة واحدة.

ورُبَّمـا بِسُـورَةٍ تَمامـا كَ(الفَاتِحَـهْ) وَلتَسْـمَعِ الكَلامَا

أي أحيانا تنزل سورة تامة كاملة دفعة واحدة على النبي ﷺ.

فأحيانا ينزل آية كاملة، وأحيانا مجموعة آيات، وأحيانا تنزل سورة كاملة.

وهناك قسم آخر، وهو جزء من الآية، مثلا في قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٥]. فهذه الآية الكريمة في سورة النساء أنزلت الآية كلها على النبي ﷺ ما عدا ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء:٩٥] فهذا الاستثناء لم يكن أنزل على النبي ﷺ.

أي أنزلت أول الأمر: {لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون} إلى آخر الآية بدون قوله تعالى: ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء:٩٥] فحزن عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه، وجاء يشكو إلى النبي ﷺ أن الآية فيها أن القاعدين من المؤمنين لا يستوون مع المجاهدين، وأن الله فضل المجاهدين أجرا عظيما، فهو جاء حزينا أنه لا أمل في أن يكون من المفضلين، لأنه لا يستطيع الجهاد لأنه ضرير، فأنزل الله سبحانه وتعالى لما جاء ابن مكتوم يشكو إلى النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء:٩٥] أو (غَيْرَ أُوْلِي الضَّرَرِ) وهذا في قراءتين متواترتين.

فهنا أنزل هذا الجزء من الآية على النبي ﷺ في وقت غير الوقت الذي أنزل فيه بقية الآية، فإذًا قد ينزل بعض الآية وقد تنزل آية كاملة، وقد تنزل مجموعة آيات وقد تنزل سورة كاملة، كما يتبين من قول المؤلف:

ورُبَّما بِسُورَةٍ تَماما كَ(الفَاتِحَهْ) وَلتَسْمَعِ الكَلامَا
فِي(الكَوثَرِ)(النَّصرِ) كَذاكَ(النَّاسِ) وَفِي (الفَلَقْ) إِنْ كُنتَ ذَا مِراسِ
و(الْمُرسَلاتِ) (لَم يَكُن) و(تَبَّتْ) حَكَى السُّيُوطِيْ هكَذا وثَبَّتْ

هذه السور التي لم تنزل مفرقة، وإنَّما نزلت مجموعة أي كاملة دفعة واحدة، فذكر منها: سورة الفاتحة، ثم قال: (وَلتَسْمَعِ الكَلامَا)، وهذا أيضا حشو.

فِي(الكَوثَرِ)(النَّصرِ) كَذاكَ(النَّاسِ) وَفِي (الفَلَقْ) إِنْ كُنتَ ذَا مِراسِ

مِراسِ: تأتي بمعنى ممارسة الأمر والخبرة به.

و(الْمُرسَلاتِ) (لَم يَكُن) و(تَبَّتْ) .....

سورة المرسلات، وسورة (لم يكن) المراد بها سورة البينة، و(تبت) المراد بها سورة المسد.

قال: (حَكَى السُّيُوطِيْ هكَذا وثَبَّتْ) أي: وأكد هذه المعلومات.

وهناك سور أخرى غير ما ذكره المؤلف، ستأتي إن شاء الله. ومن أشهر السور الكبيرة التي نزلت دفعة واحدة: سورة الأنعام، ولكن المؤلف لم يذكرها هنا.

وحِكمَـةُ التَّنجيـمِ مـا أَقُـولُ لِيَثبُـتَ النَّـبِيُّ والرَّسُـولُ

فالحكمة الكبرى من التفريق: هي تثبيت النبي ﷺ حتى لا ينزل الوحي دفعة واحدة، وينقطع ويظل مقطوعا عن الوحي، فأراد الله تعالى تثبيت قلبه بأنه دائما كل يوم يأتيه وحي من الله سبحانه وتعالى، فيكون دائم الصلة بالله تعالى، وهذا من أسباب الثبات، لقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان:٣٢].

وَيَسـهُلَ الحِفـظُ على العِبـادِ وَفَهمُـهُ لِكَونِـهِ كالـزَّادِ

وهذا أيضا من ضمن الحكم من نزول القرآن مفرقا: تسهيل الحفظ، فلو نزل القرآن دفعة واحدة لصعب حفظه، لكن كل يوم تنزل آية أو بضع آيات أو كذا، فيسهل على الناس أن يحفظوها، وفي اليوم الذي بعده تنزل آيات أخرى، فيسهل حفظها، فهذا من ضمن حكم نزول القرآن مفرقا.

قال: (وَفَهمُهُ) فأيضا مع تسهيل الحفظ تسهيل الفهم؛ لأن النزول مفرقا منه ما كان على حسب الوقائع، فهذا يؤدي إلى فهم القرآن من خلال الواقعة، أو في ضوء الواقعة التي أنزلت الآيات بشأنها، وكذلك قلة ما أنزل وتوزيعه على الأيام يسهل مدارسة الآيات المحددة التي أنزلت في ذلك اليوم أو في ذلك الوقت، ويسهل التأمل فيها وفهمها.

قال: (لِكَونِهِ كالزَّادِ)، أي القرآن مثل الزاد، والزاد يأتي بمعنى الطعام الذي يأكله الإنسان، فالإنسان لا يأكل طعام العمر كله في مرة واحدة، وإنما مفرقا، فكل يوم يأكل شيئا، فهذا الزاد يقوي جسمه، ويعينه إلى موعد الوجبة التي بعدها، فكما أن الطعام زاد حسي، فالقرآن الكريم زاد روحي لروح الإنسان ولقلبه، فينبغي أن يكون الإنسان على صلة دائمة به، لا يأخذه مرة واحدة وينقطع عنه بعد ذلك، وإنما دائما يأخذ منه شيئا فشيئا فيكون دائم الصلة به، ويقوي روحه ويقوي قلبه، ويثبت إيمانه.

دَليلُنـا بِسُـورَةِ الفُرقـانِ وسُـورَةِ (الأَعلَى) الدَّليـلُ الثَّـانِي

دليل سورة الفرقان يشير به إلى الآية الكريمة من سورة الفرقان: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ

كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان:٣٢]. فكفار قريش اعترضوا على النبي ﷺ هذا الاعتراض، وقالوا: لماذا لا ينزل عليه القرآن دفعة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى؟ فقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان:٣٢]، فهنا الحكمة هي تثبيت الفؤاد، وهذا من سورة الفرقان بما يقص الله عليه فيما ينزل عليه من قصص الأنبياء، وبما يوصيه الله تعالى به من الوصايا ويذكره به من المواعظ، فالقرآن فيه مواعظ وفيه قصص وفيه أحكام وفيه علم، فيكون دائم الصلة بهذه الأمور، وهذا يؤدي إلى التثبيت.

وقوله: (وسُورَةِ (الأَعلَى) الدَّليلُ الثَّانِي)، وهو قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى:٦].، فهذا دليل على أن من حكم التنجيم تسهيل الحفظ لئلا ينسى القرآن الكريم.

هذا هو المعنى المجمل لهذه الأبيات، والآن نعود عليها مرة أخرى بذكر بعض التفصيلات.

فالقرآن الكريم كما ذكرنا منه ما نزل مفرقا وهو غالب القرآن الكريم، ومنه ما نزل دفعة واحدة، ومن أمثلة ما نزل مفرقا سورة اقرأ، فأول ما نزل كانت الآيات من أولها إلى قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:٥]. فهذا الجزء فقط من سورة اقرأ، أنزل هذا الجزء في أول ما نزل من القرآن ثم أنزلت بقيتها في وقت آخر، وسورة الضحى نزل من أولها إلى قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضُّحى:٥]. ثم تأجل نزول بقيتها إلى وقت آخر كما جاء في حديث رواه الطبراني.

ومن أمثلة الثاني-أي الذي نزل دفعة واحدة:

سورة الفاتحة، وسورة الإخلاص وسورة الكوثر وسورة تبت، وسورة لم يكن، وسورة النصر، وسورتا المعوذتان نزلتا معا، وفي السور الطوال منها سورة المرسلات، فقد روى الحاكم عن ابن مسعود ﷺ قال: «**كنا مع النبي ﷺ في غار، فنزلت عليه** ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات:١] **فأخذته من فيه وإن فاه رطب بها، فلا أدري بأيها ختم** ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٥] **أو** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات:٤٨]». الشاهد أن سورة المرسلات أنزلت دفعة واحدة على النبي ﷺ. ومنه سورة الأنعام، فقد روى أبو عبيد والطبراني عن ابن عباس-رضي الله عنهما-قال: «**نزلت سورة الأنعام بمكة ليلا جملة حولها سبعون ألف ملك**».

وهذا نوع من أنواع علوم القرآن يسمى الْمُشَيَّعُ (الذي شيعته الملائكة)، أي: نزل به جبريل وجاءت الملائكة تشيعه، هذا يسمى المشيع، والْمُفْرَدُ وهذا من أنواع علوم القرآن، والمفرد هو ما جاء جبريل عليه السلام وحده، وهنا من المشيع **سورة الأنعام** إذ شيعها سبعون ألف ملك، **وفاتحة الكتاب** روي أيضا أنها من السور المشيعة، لكن السيوطي نقل عن بعض من قبله أنهم قالوا بأنها مشيعة، لكنه قال: إنه لم يقف على حديث بذلك.

لكن **آية الكرسي** ورد فيها وفي **خواتيم سورة البقرة** ما يفيد أنها أيضا **من قسم المشيَّع**.

فروى أحمد في مسنده عن معقل بن يسار أن رسول الله ﷺ قال: «**الْبَقَرَةُ سِنَامُ الْقُرْآنِ وَذِرْوَتُهُ نَزَلَ مَعَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهَا ثَلَاثُونَ مَلَكًا**».

وجاء عن الضحاك أيضا روى سعيد بن منصور في سننه عن الضحاك بن مزاحم من التابعين رحمه الله قال: «**خواتيم سورة البقرة جاء بها جبريل ومعه من الملائكة ما شاء الله**».

وكذلك بعض الآثار والأحاديث تفيد أن جميع القرآن شيع، أي أن كل سور القرآن شُيِّعَت، فقد جاء عن سعيد بن جبير أنه قال: «**ما جاء جبريل بالقرآن إلى النبي ﷺ إلا ومعه أربعة من الملائكة حفظة**».

وقال الضحاك: «**كان النبي ﷺ إذا بعث إليه الملك بعث ملائكة يحرسونه من بين يديه ومن خلفه أن يتشبه الشيطان على صورة الملك**».

فإذًا هذا يفيد أن القرآن كله نزل مشيعا على هذه الأحاديث، لكن يمكن التوفيق بينها بأن يقال:

- المفرد هو ما جاء به جبريل وحده، أو يكون معه أربعة من الحفظة كما ذكر.

- والمشيَّع هو ما خُصَّ بزيادة على هذا، مثل أن ينزل سبعون ألف ملك أو ينزل ثمانون ملكا، فهذا يكون خصوصية لبعض الآيات.

وبالنسبة لحكمة تنزيل القرآن الكريم مفرَّقا فقد ذكر المؤلف بعض الحكم.

ومن الحكم أيضا:

❁ أن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى بالقلب وأشد عناية بالمرسل إليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك، فتنزل القرآن يؤدي إلى كثرة نزول الملك وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز، هكذا يقول أبو شامة المقدسي-رحمه الله تعالى-فيقول في الحكم من

نزول القرآن مفرقا: (أنه يؤدي إلى تكثير نزول الملك على النبي ﷺ، فيؤدي إلى السرور بلقائه وتجدد العهد بالملك جبريل عليه السلام، وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز، فيحدث له من السرور ما تقصر عنه العبارة، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقياه جبريل عليه السلام).

❁ أن القرآن منه الناسخ والمنسوخ، ولا يتأتى ذلك إلا بنزوله مفرقا، قدر الله تعالى أن يكون بعض القرآن منسوخا وبعضه ناسخا، فلا بد أن ينزل أولا المنسوخ الذي قضى الله تعالى أن يعمل به في وقت معين إلى غاية معينة، ثم بعد ذلك ينزل الحكم الناسخ في الوقت الذي شاءه الله تعالى.

❁ ومن الحكم كذلك مسألة تدرج الشريعة، فبعض الأحكام أراد الله تعالى أن تكون متدرجة وتنزل على مراحل، فهذا مما يقتضي نزول القرآن مفرقا مثل تحريم الخمر، فقد أراد الله تعالى أن يكون على مراحل، ووجوب الصيام مثلا.

❁ ومنه ما هو جواب لسؤال ومنه ما هو إنكار على قول قيل أو فعل فُعِل، وفسر به ابن عباس قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣]. فابن عباس رضي الله عنهما فسر ذلك قائلا: «**هو أنهم يسألون سؤالا فينزل القرآن جوابا للسؤال أو يقولون قولا فينزل القرآن منكرا هذا القول أو يفعلون فعلا فينزل القرآن منكرا هذا الفعل**».

فهذا من حكم نزول القرآن مفرقا، يقول المشركون قولا للنبي ﷺ فينزل القرآن منكرا عليهم هذا القول، يفعلون فعلا فينزل القرآن منكرا عليهم هذا الفعل.

أمّا عن **مقدار ما كان ينزل من القرآن في كل مرة**:

فيقول السيوطي رحمه الله: «الذي استقرئ من الأحاديث الصحيحة وغيرها أن القرآن كان ينزل بحسب الحاجة، خمس آيات وعشر آيات وأكثر وأقل، وقد صحّ نزول العشر آيات في قصة الإفك جملة، وصحّ نزول عشر آيات من أول سورة المؤمنون، وصحّ نزول ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء:٩٥] وحدها وهي بعض آية، وكذا قوله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ [التوبة:٢٨] إلى آخر الآية نزل بعد نزول أول الآية، وهذا بعض آية».

مَعرِفَةُ أَوَّلِ ما نَزَلَ وآخِرُ مَا نَزَلَ

أَوائِـلُ الـنُّزولِ أَوْ أَواخِـرُ ... مَعرِفَـةٌ بِهـا الـكَلامُ زاخِـرُ
مُفيـدَةٌ للـشَّرخِ والشُّـيُوخِ ... في العِلـمِ بالنَّاسِـخِ والْمَنسُـوخِ
ويَسـتَفيدُ منهُمـا الْمُفَسِّرُ ... كَيْ يَسـتَقيمَ جُـلُّ مـا يُفَسِّرُ
وتُعـرَفُ السَّـيرَةُ الْمَغـازِي ... مِـن كُلِّ سـابِرٍ لَهـا مُـوازِي
وَصِحَّـةُ الجَميـعِ للحَصيـفِ ... مُقَيَّـدٌ بِالنَّـصِّ والتَّوقيـفِ
والخُلـفُ في أَوائِـلِ الـنُّزولِ ... مُثَبَّـتٌ بِالقَيـدِ والنُّقُـولُ
وَرَجِّـحَ الجُمهـورُ في التَّنْزيـلِ ... (إِقْـرَأْ) بِمـا يَبِـينُ مِـن دَليلِ
وهٰكَـذا الخُلـفُ على الأَواخِـرِ ... مِـن كُلِّ سـابِقٍ مَضَـىٰ وَغابِـرِ
فَقَـدِّمِ البَعـضَ بِغَـيرِ مَـيْنِ ... بَعـدَ الرِّبـا وَقَبـلَ آيِ الدَّيْـنِ

يذكر المؤلف أَوَّلِ ما نَزَلَ وآخِرُ مَا نَزَلَ

أَوائِـلُ الـنُّزولِ أَوْ أَواخِـرُ ... مَعرِفَـةٌ بِهـا الـكَلامُ زاخِـرُ

(زاخِرُ) أي ممتلئ، فالكلام ممتلئ بفوائد معرفة أوائل النزول وأواخر النزول.

ثم قال:

مُفيـدَةٌ للـشَّرخِ والشُّـيُوخِ ... في العِلـمِ بالنَّاسِـخِ والْمَنسُـوخِ

(للشَّرخِ) هم الشباب، فالشباب والشيوخ يستفيدون وهذا من الحشو، ثم ذكر من فوائد معرفة أوائل النزول وأواخر النزول، أنه يستدل بذلك على معرفة الناسخ والمنسوخ، لأن الأول متقدم فيكون منسوخا لو عارضه المتأخر ولم يمكن الجمع، ثم قال:

وَيَسْتَفِيدُ منهُما الْمُفَسِّرُ كَيْ يَسْتَقِيمَ جُلُّ ما يُفَسِّرُ

هذه أيضا من فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل وهي أن يستفيد المفسر، فيستقيم تفسيره لأن بعض الآيات يترتب بعضها على بعض، ومعرفة تسلسل نزول الآيات يفيده.

وتُعرَفُ السَّيرَةُ والْمَغازِي مِن كُلِّ سابِرٍ لَها مُوازِي

فالسيرة والمغازي تعرف من خلال معرفة المتقدم والمتأخر، فيعرف ما نزل في مكة، وما نزل في أثناء غزوة بدر، وفي أثناء غزوة أحد، وهكذا، فهذا يفيد في تفسير الآيات ويفيد في معرفة سيرة النبي ﷺ ومعرفة مغازيه، لأن الإنسان يعرف كل آية متى أنزلت.

ومعنى قوله (سابِرٍ): هو المفتش عن حقائق الأشياء ليتعرف عليها، والباحث الذي يجمع الأشياء من أجل المقارنة بينها، لذلك فالآلة المستعملة في الرؤية الأشياء البعيدة والدقيقة تسمى المسبار؛ لأنه يسبر به الأشياء ويفتش به. وفي أصول الفقه، في طرق العلة طريقة تسمى: السبر والتقسيم.

والمقصود بالسبر: هو جمع الأوصاف التي تصلح للتعليل، أي الحكم مرتبط بعلة، فكونك تجمع الاحتمالات الممكنة، هذا يسمى سبرا. ثم التقسيم: أنك بعد ذلك تفرزها وتقسمها إلى أقسام، وتنظر ما الذي يصلح، وما لا يصلح، لكن

السبر أن تجمعها كلها مرة واحدة من أجل أن تقارن بينها بعد ذلك، فقال:

وتُعـرَفُ السَّـيرَةُ والْمَغـازِي مِـن كُلِّ سـابِرٍ لَهَـا مُـوازِي
وَصِحَّـةُ الجَميـعِ للحَصيـفِ مُقَيَّـدٌ بِالنَّـصِّ والتَّوقيـفِ

أي نعرف أول ما نزل وآخر ما نزل **بِالنَّصِّ والتَّوقيفِ**، أي ليس الأمر اجتهاديا في الوقت الذي نزلت فيه الآية الفلانية أو السورة الفلانية، وإنما هذا يرجع إلى النصوص التي وضحت ذلك، وبتوقيف عن الصحابة رضي الله عنهم الذي عاصروا أوقات نزول هذه الآيات، أخبرونا متى أنزلت هذه ومتى أنزلت هذه، فنعرفها من خلالهم، أي ليس الأمر اجتهاديا.

و**(للحَصيفِ)** أي: للعاقل.

والخُلـفُ في أَوائِـلِ الـنُّزولِ مُثَبَّـتٌ بِالقَيـدِ و النُّقُـولُ

فهناك نُقول فيها اختلاف في أوائل ما نزل، بعضها فيه أن أول ما أنزل (سورة اقرأ)، وبعضها أول ما أنزل (سورة المدثر)، وبعضها (الفاتحة)، كما سيأتينا إن شاء الله.

وَرَجّـحَ الجُمهـورُ في التَّنْزيـلِ (إِقْـرَأْ) بِمـا يَبِـينُ مِـن دَليـلِ

يقول: إن القول الراجح الذي عليه الجمهور أن أول ما نزل من القرآن (سورة اقرأ)، وهي سورة العلق.

و هكَـذا الخُلـفُ على الأَواخِـرِ مِـن كُلِّ سـابِقٍ مَـضَى وَغابِـرِ

أي العلماء السابقون، والغابرون-أي واللاحقون-اختلفوا في آخر ما أنزل من القرآن.

فَقَــدَّمَ البَعــضُ بِغَــيرِ مَــيْنِ بَعــد الرِّبــا وَقَبــل آيِ الدَّيْــنِ

(بِغَيرِ مَيْنِ) أي: بغير شك، فالمين هو الشك والارتياب.

ويقول: إن الرأي المرجح أو الذي قدمه بعض العلماء ورجحوه أن آخر ما أنزل من القرآن هو الآية التي بعد آية الربا وقبل آية الدين، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٨١].

و هذه الأبيات تتناول علما من علوم القرآن، وهو معرفة أول ما نزل، وعلم آخر وهو معرفة آخر ما نزل، ويلحق بهما أيضا العلم بتوقيت نزول كل آية من الآيات الكريمة، أي كل هذا من علوم القرآن الكريم، العلم بأول ما أنزل من القرآن، والعلم بآخر ما أنزل من القرآن، والعلم بالوقت الذي أنزلت فيه كل آية، وكان من أصحاب النبي ﷺ كابن مسعود رضي الله عنه من لا تخفى عليه آية من القرآن إلا وهو يعلم متى أنزلت فقد قال رضي الله عنه: «**ما من آية من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم متى أنزلت**».

لأنه كان من السابقين الأولين رضي الله عنهم وعاصر نزول الآيات كلها، فما من آية نزلت إلا وهو يعلم أين نزلت وفيم نزلت ومتى أنزلت رضي الله عنه وأرضاه.

أما أول ما نزل من القرآن الكريم ففيه أقوال كما ذكر المؤلف:

أحدها: وهو القول الصحيح: أن أول ما أنزل من القرآن سورة اقرأ إلى قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق:٥]. أي أول خمس آيات منها وجاء في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «**أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب**

إليه الخلاء، أي أن يخلو بنفسه، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد، أي يتعبد في غار حراء الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة ﵂ فتزوده لمثلها، حتى فجأه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه فقال: »مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي الْمَلَكُ فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:١]» حتى بلغ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:٥] فرجع بهذا رسول الله ﷺ ترجف بوادره وفي رواية: يرجف فؤاده».

والبوادر: هي عضلات القلب أو أعلى القلب.

وهذا الحديث في الصحيحين، وهذا الحديث يفيد أن أول ما أنزل من القرآن هو هذه الآيات، وأخذ بذلك جمهور الفقهاء، وقالت عائشة ﵂: «**أول سورة نزلت من القرآن** ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق:١]». وهذا رواه الحاكم والبيهقي عن عائشة ﵂، وهذا هو القول الأول.

القول الثاني: وهو قول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وطائفة من العلماء السابقين واللاحقين كما ذكر، قالوا: أول ما أنزل من القرآن سورة المدثر **{يا أيها المدثر قم فأنذر}** كاملة.

روى الشيخان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، فأبوه أحد العشرة المبشرين، وهو أحد فقهاء المدينة الكبار، قال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أي القرآن أنزل قبل؟ قال: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١﴾[المدثر: ١]{ قال:

قلت: أو ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق:١]؟ أي: يسأله أليس ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق:١] أنزل أولا قبل المدثر؟ قال: أحدثكم ما حدثنا به رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي نَزَلْتُ فَاسْتَبْطَنْتُ الْوَادِي فَنَظَرْتُ أَمَامِي وَخَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا هُوَ جِبْرِيلُ فَأَخَذَتْنِي رَجْفَةٌ فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ** رضي الله عنها **فَأَمَرْتُهُمْ فَدَثَّرُونِي -أي فغطوني- فَأَنْزَلَ اللهُ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝٢﴾** [المدثر: ١-٢]».

المشكلة الأكبر هنا أنه ليس فقط قول جابر رضي الله عنه، بل جاء عن عائشة رضي الله عنها وأرضاها أنها قالت: «**إن أول ما نزل سورةٌ من المفصَّل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام**»، وهذا في الصحيحين.

والمفصل هو الحزب السابع من أحزاب القرآن الكريم على تحزيب الصحابة رضي الله عنهم، فالصحابة رضي الله عنهم كانوا لا يقسمون القرآن إلى ثلاثين جزءا والجزء فيه حزبان، وإنما كانوا يقسمون القرآن إلى سبعة أحزاب، الحزب الأول فيه ثلاث سور: البقرة وآل عمران والنساء، والحزب الثاني خمس سور، والثالث سبع سور، والرابع تسع سور، والخامس إحدى عشرة سورة، والسادس ثلاث عشرة سورة، ثم حزب المفصل، ويبدأ من سورة ق إلى آخر القرآن.

ويسمونه حزب المفصل لكثرة الفواصل فيه؛ لأنه كثير السور وقصير الآيات، فسموه حزب المفصل، وكان كثير من الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم يختمون القرآن كل سبع بهذه الطريقة، فتقول عائشة رضي الله عنها: «**إن أول ما نزل سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام**».

ومعنى قولها: ثاب الناس إلى الإسلام أي رجع الناس إلى الإسلام ودخلوا فيه، وسورة اقرأ ليس فيها ذكر الجنة والنار، وسورة المدثر فيها ذكر الجنة والنار، فكأنها تعني بذلك سورة المدثر، فهي أخبرت أن أول سورة نزلت فيها ذكر الجنة والنار، وهذه هي سورة المدثر وليست سورة اقرأ.

والسؤال: كيف نجمع ونوفق بين هذين القولين؟

الجواب الأول: قالوا: إن أول ما أنزل من القرآن مطلقا هو سورة اقرأ، وأول سورة كاملة أنزلت هي سورة المدثر، فقالوا: إن الأحاديث التي فيها: إن أول ما نزل من القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ أي (أول سورة كاملة أنزلت) هي سورة المدثر، لكن أول ما أنزل (بمعنى أول آيات أنزلت) فهي أول آيات من سورة العلق، فبهذا نوفق بين النصين.

الجواب الثاني: أن يكون المراد بأولية المدثر: أي أول ما نزل بعد فترة الوحي، وليست الأولية المطلقة، أي أول ما نزل بعد انقطاع الوحي، وأما أول ما نزل مطلقا فهو سورة اقرأ، وتكون المدثر أول ما نزل بعد انقطاع الوحي لأن بعد ما أنزلت سورة اقرأ انقطع الوحي فترة عن النبي ﷺ ثم نزلت المدثر وحمي الوحي وتتابع، صار الوحي متتابعا يوميا يأتي الوحي إلى النبي ﷺ.

الجواب الثالث: أول ما نزل يأمره بالبلاغ وبالدعوة أي سورة المدثر هي أول ما نزل يأمره بالإنذار، وسورة اقرأ هي أول ما نزل مطلقا لكن ليس فيه أمر بأن يدعو غيره، أو يبلغ غيره، أي سورة اقرأ ليس فيها أمر أن يبلغ غيره، أما سورة المدثر فهي أول ما نزل يأمره بدعوة الآخرين.

لذلك بعض العلماء قالوا: النبي ﷺ نبئ بسورة اقرأ، وأرسل بسورة المدثر، أي قالوا: لما أنزلت عليه سورة اقرأ كان في هذا الوقت نبيا غير رسول؛ لأن النبي ﷺ هو من جاءه الوحي ولم يؤمر بالبلاغ على أحد الأقوال في التفريق بين النبي والرسول، والرسول هو الذي جاءه الوحي وأمره بالبلاغ، فسورة اقرأ هي أول ما نزل لكن ليس فيها أمر بالبلاغ، وأما سورة المدثر فهي أول ما نزل فيه الأمر بالبلاغ.

ومن الأقوال أيضا قالوا: إن جابرا رضي الله عنه قال ذلك باجتهاده وليس من روايته، فيقدم عليه حديث عائشة رضي الله عنها؛ لأنه من باب الرواية، لكن جابر قال: «**أحدثكم ما حدثنا به رسول الله ﷺ**.» وساق الحديث أن النبي ﷺ جاور بغار حراء فجاءه جبريل ونزل عليه بسورة المدثر، فهذا لا يفيد الأولية المطلقة لكن جابر رضي الله عنه قد يكون فهم من هذا الأولية المطلقة باجتهاد منه وفهم منه، لكن حديث عائشة رضي الله عنها فيه رواية للواقعة، وأن النبي ﷺ أول ما أنزل عليه مطلقا هو سورة اقرأ.

وإذا قلنا بهذا أن جابرا قاله اجتهادا، فقول عائشة: «**إن أول ما نزل سورة من المفصل...**» يكون بمعنى: إن من أول ما نزل، فيكون أول بمعنى: من أول، وليس أول بمعنى: الأولية المطلقة؛ لأن عائشة رضي الله عنها ذكرت أن أول ما أنزل مطلقا هو اقرأ، فقولها: (أول ما نزل) إما أن نقول بالأجوبة السابقة، أول ما نزل يأمر بالبلاغ أو أول ما نزل من السور الكاملة، أو يكون أول بمعنى: من أول ما نزل ولا تقصد رضي الله عنها الأولية المطلقة.

وهناك قول ثالث: أن أول ما نزل من القرآن هو سورة الفاتحة، وهذا قول ابن عباس ومجاهد بن جبر تلميذ ابن عباس، واستدل القائلون بهذا القول من العلماء

بحديث رواه البيهقي والواحدي عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل، قال: «إن رسول الله ﷺ قال لخديجة رضي الله عنها: «**إِنِّي إِذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نِدَاءً فَقَدْ وَاللهِ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ هَذَا أَمْرًا**». فقالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل بك، فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث فلما دخل أبو بكر ذكرت خديجة حديثه له، وقالت: اذهب مع محمد ﷺ إلى ورقة، فانطلقا أي النبي ﷺ وأبو بكر إلى ورقة، فقصا عليه فقال: «**إِذَا خَلَوْتُ وَحْدِي سَمِعْتُ نِدَاءً خَلْفِي يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ، فَأَنْطَلِقُ هَارِبًا فِي الْأُفُقِ**». فقال: لا تفعل، إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول، ثم ائتني فأخبرني، فلما خلا ناداه: يا محمد قل (**بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين**) حتى بلغ (**ولا الضالين**)».

قالوا: هذا الحديث حديث مرسل ورجاله ثقات، فالحديث رجاله ثقات كلهم، لكن المشكلة أن الراوي له تابعي، وهو أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل تابعي يروي حديث النبي ﷺ لخديجة فهنا واسطة، والمرسل من الضعف اليسير المحتمل؛ لكن إذا عارضه ما هو أرجح منه فيكون مقدما عليه، وقالوا: يحتمل أن يكون خبرا عن نزولها بعد نزول اقرأ والمدثر، فقالوا: يحتمل أن هذه الواقعة حصلت بعد نزول اقرأ والمدثر، فيمكن الجمع، وإن كان بتكلف، لكن على كل حال أحاديث نزول اقرأ والمدثر أولا أرجح من هذا.

وبعض العلماء قال: أول ما نزل (**بسم الله الرحمن الرحيم**)، لكن الصواب أنه ليس قولا مستقلا ولكن هو مندرج في الأقوال السابقة؛ لأن النبي ﷺ كان إذا جاءه جبريل نزل عليه ببسم الله الرحمن الرحيم والآيات، فالذي فيه أن أول ما نزل اقرأ أو أول ما نزل المدثر، أو أول ما نزل الفاتحة بما فيها (**بسم الله الرحمن الرحيم**)،

فتكون (**بسم الله الرحمن الرحيم**) هي أول كلمة أنزلت، على القول بأنها كانت تنزل مع السور، فتكون أنزلت قبل كلمة اقرأ، أي قبل كلمة اقرأ نزل (**بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ**).

والقول بأن (**بسم الله الرحمن الرحيم**) هو أول ما نزل مروي عن عكرمة والحسن، لكن هذا ليس بديلا عن الأقوال السابقة؛ لأن تتمة الأثر: أول ما نزل من القرآن (**بسم الله الرحمن الرحيم**)، وأول سورة ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾[العلق: ١]أي أنزلت (**بسم الله الرحمن الرحيم**)، ثم أنزلت ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾. لكن من العلماء من يقول: إن أول كلمة أنزلت (اقرأ) لكن هذه الآثار تفيد أن (**بسم الله الرحمن الرحيم**) أنزلت قبل (اقرأ)، والله تعالى أعلم.

ويحتمل أن اقرأ لأنها ليست سورة كاملة، فيمكن أن يقال: إن سورة اقرأ لأنها ليست سورة كاملة فلم تنزل معها البسملة، وإنما نزلت مع المدثر لأنها سورة كاملة، وعندما أنزلت بقيت سورة اقرأ أو أنزلت سورة اقرأ كاملة فنزلت البسملة، فكانت البسملة يأتي بها جبريل مع أوائل السور عند نزول السور.

وأول ما نزل بمكة: هو ما ذكرناه؛ لأن أول ما نزل من القرآن كان بمكة، فما ذكرناه من الأقوال هذا في أول ما نزل بمكة. وأما بالنسبة لأول ما نزل في المدينة: فقد جاء في الأثر عن علي بن الحسين زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ قال: «**أول سورة نزلت بمكة اقرأ باسم ربك، وآخر سورة نزلت بها المؤمنون ويقال العنكبوت**- فهذان قولان لآخر ما نزل بمكة، هذه آخرية مقيدة، وليست آخر ما نزل مطلقا-**وأول سورة نزلت بالمدينة ويل للمطففين، وآخر سورة نزلت بها براءة، وأول سورة أعلنها رسول الله ﷺ بمكة النجم**» وهذا

قد رواه الواحدي.

ومن العلماء من قال: إن أول سورة نزلت بالمدينة سورة البقرة، وقد قال بهذا القول كثير من العلماء،

وبعض العلماء قالوا: إن أول سورة نزلت بالمدينة سورة القدر، فهذه الأقوال في أول ما نزل بالمدينة، والجمهور على أن أول ما نزل بالمدينة سورة البقرة.

آخر ما نزل من القرآن

وهناك أقوال للعلماء في آخر ما نزل، فأيضا نفس الشيء من جهة آخر آية أنزلت وآخر سورة أنزلت.

القول الأول: فقد روى الشيخان عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: «آخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء:١٧٦]. وآخر سورة نزلت براءة» وهذه الآية المذكورة هي آخر آية من سورة النساء وآخر سورة نزلت براءة.

والقول الثاني: ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**آخر آية نزلت آية الربا**» ورواه البيهقي عن عمر أيضا رضي الله عن الجميع، فقد قال ابن عباس وعمر رضي الله عنهما: «**آخر آية نزلت آية الربا**» قال: والمراد بها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨].

وروى أحمد وابن ماجه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: «**من آخر ما نزل آية الربا**» وفي رواية البيهقي قال: «**آخر ما نزل آية الربا**»، فلذلك هذا القول معناه أنه

يحتمل أن يكون قصدهم بآخر: مِن آخر، وذلك توفيقا بين الروايات. وفي رواية عند ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: «**خطبنا عمر** ﷺ **فقال: إن من آخر القرآن نزولا آية الربا**».

فإذن عندنا حتى الآن قول البراء في آخر آية وآخر سورة، وقول عمر وابن عباس رضي الله عنهم.

القول الثالث: وهو ما رواه النسائي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**آخر شيء نزل من القرآن** ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة:٢٨١]». وهي الآية ٢٨١ من سورة البقرة.

وجاء عن محمد بن شهاب الزهري قال: «**آخر القرآن عهدا بالعرش آية الربا وآية الدين**». وقال سعيد بن المسيب: «**بلغني أن أحدث القرآن عهدا بالعرش آية الدين**». أي آخر آية منزلة من عند الله تعالى، فأحدث شيء بالعرش أي آخر شيء كان عند الله تعالى، وعند عرش الله سبحانه وتعالى ونزل إلى الأرض.

قال السيوطي رحمه الله تعالى: «لا منافاة بين هذه الروايات في آية الربا ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا﴾ [البقرة:٤٨] وآية الدين لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف، ولأنها في قصة واحدة، فتكون هذه الأقوال كلها شيئا واحدا».

أي الذين قالوا: إن آخر آية نزلت هي آية الدين، والذين قالوا: هي آية ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ٢٨١] وآخر آية نزلت هي آية الربا، فقال: هي كلها نزلت دفعة واحدة، مجموعة الآيات متسلسلة كتسلسلها في القرآن الكريم، آيات الربا، وآية الدين، وآية: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة:٢٨١]، فأخبر كلٌ

عن بعض ما نزل بأنه آخر ما نزل فأطلق البعض وأراد الكل، أي من باب إطلاق البعض وإرادة الكل، وهو أسلوب صحيح مستعمل في لغة العرب أن الإنسان أحيانا يقصد الكل ويستعمل البعض، فالقصد أن هذه المجموعة من الآيات هي آخر ما نزل، فهذا هو قصدهم.

وهذه الآيات تبتدئ بآيات الربا مرورا بآية ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة:٢٨١] ثم تأتي آية الدين، فكلها أنزلت مرتبة بهذا الترتيب، فإذا أردنا التدقيق تكون آخر آية فعلا أنزلت هي آية الدين على هذا، فهي آخر آية في هذا الترتيب، لكن الذين قالوا: هي آية الربا ذلك لأنها هي آخر دفعة آيات أنزلت وكان من ضمنها آية الربا، وتليت مرة واحدة، والذي قال: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة:٢٨١] لأنها كانت ضمن آخر دفعة من الآيات التي أنزلت، فهذا رأي السيوطي-رحمه الله-في طريقة التوفيق بين هذه الأقوال.

وابن حجر-رحمه الله-أيضا يرى نفس هذا الرأي، فأيضا كلامه قريب من كلام السيوطي، يقول: «**إن الآيات نزلت جميعا فيصدق أن كلا منها أنه آخر**».

ويتبقى الجمع بين هذه الأقوال وبين آية ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾ [النساء:١٧٦] فابن حجر له رأي في هذا فيقول: «لعل المقصود بأن ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾ [النساء:١٧٦] هي آخر آية، أي: آخر آية من آيات المواريث، وليس المقصود الآخرية المطلقة» فهذا رأي في التوفيق.

وهناك رأي آخر في التوفيق فقد قال البيهقي: «يجمع بين هذه الاختلافات بأن كل واحد أجاب بما عنده». وقال القاضي أبو بكر: «هذه الأقوال ليس فيها شيء

مرفوع إلى النبي ﷺ، وكلٌ قاله بضربٍ من الاجتهاد وغلبة الظن، ويحتمل أن كلا منهم أخبر عن آخر ما سمعه من النبي ﷺ في اليوم الذي مات فيه أو قبل مرضه بقليل».

أي من العلماء من قال: إن هذا اجتهاد من الصحابة رضي الله عنهم، وكلٌ منهم أخبر على حسب علمه، وكلٌ منهم سمع هذه الآية كانت آخر ما سمع من النبي ﷺ قبل موته، لكن صحابيا آخر سمع آية أخرى بعدها، فيقال على كل حال أن هذه الآيات من آخر ما نزل، أي مجموعة هذه الآيات كل واحدة منها هي من ضمن أواخر الآيات نزولا.

ومن ضمن الأقول في آخر آية أنزلت: وهو قول أبي بن كعب، إذ قال: «**إن آخر آية نزلت: آخر آيتين من سورة التوبة**». وسورة التوبة هي من أواخر السور نزولا لأن البراء قال: «**آخر سورة نزلت سورة براءة**». وآخر آيتين في هذه السورة، هما هاتان الآيتان، فأبي بن كعب يقول: إن آخر آيتين أنزلتا هما الآيتان، ويجاب بما ذكرنا أنها من آخر الآيات نزولا، وأبي بن كعب لم يسمع آية بعدها من النبي ﷺ فحسِب أنها آخر الآيات نزولا وغيره من الصحابة سمعوا آية أخرى.

أما بالنسبة لآخر سورة أنزلت: فعندنا قول البراء رضي الله عنه أن آخر سورة هي سورة التوبة، وروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**إن آخر سورة نزلت**: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر:١]». وهذا القول بأنها سورة النصر هو أشهر الأقوال.

وروى الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «**إن آخر سورة نزلت المائدة**

فما وجدتم من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه». وروى أيضا الترمذي والحاكم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: «**آخر سورة نزلت سورة المائدة والفتح**». لكن قالوا: المقصود هنا بالفتح ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر:١] وليس ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح:١] توفيقا بينه وبين الروايات الأخرى التي فيها أن آخر سورة نزلت سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر:١].

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «**براءة من آخر القرآن نزولا**».

قال جمهور العلماء: أرجح الأقوال إن سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر:١] هي آخر سورة كاملة أنزلت على النبي ﷺ، ولكن هذا لا يمنع أنه أنزلت بعدها آيات وهي آيات الربا، لكن آخر سورة كاملة لم ينزل بعدها سورة كاملة هي سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر:١] على أرجح الأقوال.

وحملوا الأقوال الأخرى التي فيها آخر سورة نزلت هي سورة براءة، فقالوا: أي آخر سورة من السور الطوال، فقالوا: لعله يقصد آخرية مقيدة، أنها آخر سورة من السور الطوال، قولهم: سورة المائدة آخر السور نزولا قالوا: لعل المقصود أيضا آخرية مقيدة أي من سور الأحكام والحلال والحرام؛ لأنها من سور الأحكام وفيها أحكام كثيرة، فإذا تعارضت مع أحكام في آيات أخرى فتكون سورة المائدة مقدمة فتنسخ.

أي مثلا تحريم الخمر في سورة المائدة ينسخ ما جاء في السور الأخرى من التحريم المقيد للخمر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ

﴿وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾[النساء: ٤٣]. وفي آية البقرة مثلا التي فيها عدم التحريم الجازم، وآية سورة النحل، أي السور الأخرى التي فيها تحريم غير جازم، فسورة المائدة هي آخر ما نزل من سور الأحكام، فيكون الحكم الذي فيها ناسخا للحكم الذي في السور الأخرى، وسورة براءة آخر سورة نزلت من السور الطوال، وسورة النصر آخر سورة نزلت مطلقا، فهذه هي الأقوال في التوفيق بين هذه الروايات، أو يقال: كل صحابي قال بما بلغه.

الْمَكِّي والْمَدَنِي

قُرآنُنا الْمَكِّيُّ ثُمَّ الْمَدَنِي مُرادُ ذَينِ ظاهِرٌ للمُعتَنِي
وفي اختِلافِ ما هُوَ الْمُرادُ هلِ الْمَكانُ أَصلُهُ يُرادُ
أَو أَنَّ ما يُرادُ في الزَّمانِ دُونَ اعتِدادِ حالَةِ الْمَكانِ
وَبَعضُهُم يَقُولُ: إِنَّ الْمُعتَبَر بِحالَةِ الْمُخاطَبينَ في البَشَر
كَأَنْ يُنادَىٰ بَعضُهُم بِـ(النَّاسِ) فَذاكَ لِلمَكِّيِّ مِن أساسِ
وبالَّذيــنَ آمَنُــوا للمَــدَنِيْ ورُجِّحَ الزَّمانُ عندَ الْمُتقِنِ
والأَصلُ في الزَّمانِ وَقتُ الهِجرَةِ عَلامَةً للفَرقِ عِندَ الكَثْرَةِ
وَحَدَّدُوا مِن سُوَرِ المَدينَهْ عِشرينَ سُورَةً لَنا مُبِينَهْ
كَ(البَقَرَهْ) و(آلِ عِمرانَ) (النِّسا) و(المائِدَه) لِمَنْ وَعا وما أَسَا
(أنفالِ) (تَوبَةٍ) كَذاكَ (النُّورِ) (مُحَمَّدٍ) (أَحزابٍ) مَعْ مُرورِ
بِالفَتحِ و(الحَديدِ) ثُمَّ (قَد سَمِعْ) وَ(لا تَقَدَّمُوا) (التَّحريمِ) فاسْتَمِعْ
(مُنافِقُون) (جُمعَةٍ) و(الحَشرِ) (طَلاقٍ) و(الْمُمتَحِنَهْ) و(النَّصرِ)
واختَلَفوا في عِدَّةٍ مِنَ السُّوَرْ تُعَدُّ جُملَةً علىٰ ثِنتَيْ عَشَرْ
كَالفاتِحَهْ) و(الرَّعْدِ) و(الرَّحمٰنِ) و(الصَّفِّ) و(التَّطفيفِ) لِلْعَيانِ
(تَغابُنٍ) (بَيِّنَةٍ) بَعدَ (القَدرِ) (زَلزَلَةٍ) (إِخلاصٍ) يا مَن اقْتَدَرْ

ثُمَّ (الفَلَقْ) وَ(النَّاسِ) لِلخَبيرِ وكُلِّ حاذِقٍ بِهِ جَديرِ
وما عَدا ما قَد مَضَىٰ مَكِّيُّ يُنبِيكَ عَنهُنَّ الفَتَىٰ الذَّكِيُّ
ويُعرَفُ الجَميعُ بالنُّقولِ وبِالْقِياسِ مِن ذَوي الأُصولِ

القرآن الكريم ينقسم إلى مكي ومدني، والتعرف على المكي والمدني له فوائد عديدة:

منها فوائد تتعلق بمعرفة الأحكام الشرعية، ومعرفة الناسخ من المنسوخ، وترتيب الأحكام الشرعية، ومعرفة ما يتعلق بكل حكم متى نزل هذا الحكم أيها نزل أولا وأيها تأخر نزوله، والناسخ والمنسوخ، فهذا مما يستفاد من معرفة المكي والمدني فيكون المدني ناسخا للمكي إذا وجدنا تعارضا وعدم إمكان جمع بين نصين وأحدها تأخر نزوله، فالمتأخر ينسخ المتقدم، والمدني يكون متأخرا.

وكذلك أيضا من فوائد معرفة المكي والمدني التعرف على مراحل دعوة النبي ﷺ، وذلك أن كل مرحلة من المراحل التي مر بها النبي ﷺ عندما كان المسلمون في مرحلة استضعاف في مكة، وكان المشركون قد تسلطوا عليهم غير وضع المسلمين عندما صارت لهم دولة وصارت لهم الغلبة ولهم الحكومة والرياسة، فكل مرحلة تطلبت أحكاما وتطلبت نوعا من المواعظ والتربية، والتعليم للمسلمين، فمعرفة السور المكية والسور المدنية يفيد المسلمين في باب الدعوة والتعرف على سيرة النبي ﷺ.

فالقرآن كما ذكر المؤلف منه ما هو مكي ومنه ما هو مدني، وهناك ثلاثة اصطلاحات في التفريق بين المكي والمدني، أو ثلاثة أقوال في التفريق بين القرآن

المكي والقرآن المدني:

القول الأول: هو أن يكون التقسيم بحسب مكان النزول، وقال في هذا:

وفي اختِــلافِ مــا هُــوَ الْمُــرادُ هــلِ الْمَــكانُ أَصلُــهُ يُــرادُ

أي هل تقسيم المكي والمدني على اعتبار المكان، أي نقول: ما نزل بمكة فهو مكي وما نزل بالمدينة فهو مدني، فهذا رأي لبعض العلماء، إذ قالوا: القرآن المكي هو ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والقرآن المدني هو ما نزل بالمدينة، لكن الذين يقولون هذا الرأي أو يصطلحون هذا الاصطلاح سيكون عندهم قسم ثالث ليس مكيا ولا مدنيا؛ لأن هناك بعض القرآن الكريم نزل في غير مكة وفي غير المدينة، فبعضه نزل في تبوك في يوم غزوة تبوك وفي غيرها من أسفار النبي ﷺ.

وكل ما كان غير مكي أو مدني هذا القسم من العلماء يسمونه السفري، القرآن السفري الذي نزل في أسفار النبي ﷺ، فالنبي ﷺ لم يستقر ولم تكن له إقامة إلا في مكة أو في المدينة، أي كانت مكة موطن إقامة للنبي ﷺ سنوات من عمره، وكذلك المدينة، ما عدا ذلك من البلاد مر عليها سفرا، فهناك آيات أنزلت في الأسفار فهذا يسمونه السفري، الذي ليس بمكي ولا مدني.

وبعض العلماء يقول: القرآن أربعة أقسام: قسم مكي، وقسم مدني، وقسم ليس مكيا ولا مدنيا، وقسم مكي ومدني، أي بعضه مكي وبعضه مدني، على أساس أن بعض السور نزل بعضها في مكة وبعضها في المدينة، وهذا التقسيم الرباعي من الممكن أن يسير على الآراء الأخرى التي قسمت المكي والمدني على حسب الزمن، فمن الممكن أن يكون هناك بعض السور فيها آيات أنزلت قبل الهجرة

وآيات أنزلت بعد الهجرة.

والقول الثاني: فيه العبرة بزمان النزول وليس مكان النزول، فقالوا: المقصود بالقرآن المكي ما نزل قبل الهجرة بغض النظر عن مكان نزوله، والقرآن المدني هو ما نزل بعد الهجرة بغضِّ النظر عن مكان النزول، أي حتى الذي نزل بمكة بعد الهجرة يعتبر مدنيا، أي هناك آيات وسور أنزلت على النبي ﷺ في مكة في أيام حجة الوداع وصلح الحديبية وفتح مكة، والذي أنزل على النبي ﷺ بمكة بعد الهجرة - على هذا القول- يعتبر مدنيا وهذا الذي عليه جمهور العلماء، علماء علوم القرآن والمفسرون ومن يعتني بهذا الأمر، فقالوا: العبرة بزمان النزول وليس بمكان النزول، فيكون المكي ما نزل قبل الهجرة، والمدني ما نزل بعد الهجرة.

وما نزل في سفر الهجرة على هذا الرأي، أي في أثناء الهجرة، ففي رحلة الهجرة أنزلت على النبي ﷺ بعض الآيات، فقالوا: هذا يعتبر مكيا، فقالوا: المدني يبدأ من لحظة قدوم النبي ﷺ، أو وصوله إلى المدينة، فإذن المكي يشمل ما كان قبل الهجرة وما نزل أثناء الهجرة، فهذا كله يعتبر مكيا، والمدني هو ما نزل بعد وصول النبي ﷺ إلى المدينة، واستدلوا على ذلك بما جاء عن يحيى بن سلام قال: «ما نزل بمكة، وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي ﷺ المدينة فهو من المكي، وما نزل على النبي ﷺ في أسفاره بعدما قدم المدينة فهو المدني».
وهذا هو التقسيم المرتبط بالزمن لهذا يقول:

أَو أَنَّ مــا يُــرادُ في الزَّمــانِ دُونَ اعتِـــدادِ حالَــةِ الْمَــكانِ

القول الثالث لبعض العلماء: إن المكي هو ما وقع خطابا لأهل مكة، والمدني

هو ما وقع خطابا لأهل المدينة، فقالوا: المكي هو ما خوطب فيه أهل مكة، والمدني هو ما خوطب فيه أهل المدينة بغض النظر عن مكان النزول وزمان النزول، فقالوا: نستدل على ذلك بالعلامات كأن ينادى بعضهم بالناس، أي الآيات التي فيها {**يا أيها الناس**} فهذه خطاب لأهل مكة، فتكون مكية، والآيات التي فيها {**يا أيها الذين آمنوا**} هذه خطاب للمؤمنين في المدينة، فهذه تكون مدنية بغض النظر عن مكان وزمان النزول.

وكتتمة لذلك بناءً على القول باعتبار المكان، فهنا يهمنا أن نعرف الأماكن التي أنزل فيها القرآن، فما هي الأماكن التي أنزل فيها القرآن؟

فقالوا: جاء عن أبي أمامة-رضي الله عنه-قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُنْزِلَ الْقُرْآنُ فِي ثَلَاثَةِ أَمْكِنَةٍ: مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالشَّامِ**» والمقصود بالشام قالوا: إنه كانت حدود الشام في زمن النبي ﷺ تبدأ من تيماء قبل تبوك، أي تبوك كانت تعتبر من الشام، فقالوا: المقصود بالشام هنا ما أنزل على النبي ﷺ في تبوك، فالمملكة العربية السعودية حسب التقسيم الجغرافي الآن تضم جزءًا من الشام، لذلك فإن عمر بن الخطاب لما أراد أن يخرج اليهود من جزيرة العرب كما قال النبي ﷺ: «**أَخْرِجُوا الْيَهُودَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ**» فأجلاهم عمر -رضي الله عنه- إلى تيماء، فاعتبر أن تيماء هي أول حدود الشام، فلو أنت خارج من المدينة في اتجاه الشمال تأتيك تيماء قبل الوصول إلى تبوك، ثم بعد ذلك تصل إلى تبوك، فتيماء وما بعدها يعتبر داخلا في حدود الشام شرعا فقالوا في هذا الحديث: «**أُنْزِلَ الْقُرْآنُ فِي ثَلَاثَةِ أَمْكِنَةٍ: مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالشَّامِ**» قالوا: المراد بالشام هنا تبوك، حيث أنزل على النبي ﷺ بعض القرآن في تبوك، وبعض العلماء قالوا: بيت المقدس، قالوا: إنه أنزل على النبي ﷺ يوم الإسراء

والمعراج بعض الآيات، فيعتبر ذلك شاميا لأنه عرج به من بيت المقدس.

الإمام السيوطي يقول: «يدخل في مكة ضواحيها كمنى وعرفات والحديبية، فهذه تعتبر ضواحي مكة، فتعتبر قريبة من مكة، ويدخل في المدينة ضواحيها مثل بدر وأحد وسلع». وهذه أسماء أماكن قريبة من المدينة أنزل فيها قرآن على النبي ﷺ، فهذه من ضواحي المدينة، فالذين يقسمون على حسب المكان فهذه تعتبر من المدينة؛ لأنها من ضواحي المدينة.

نأتي بعد ذلك إلى الكلام عن **كيفية تمييز المكي عن المدني**:

كيف نعرف الآيات المكية من الآيات المدنية؟

قالوا: يرجع في معرفة المكي والمدني لحفظ الصحابة والتابعين لأنهم نقلوا مواطن نزول السور، فقالوا: هذه أنزلت على النبي ﷺ بمكة، وهذه أنزلت بالمدينة، وهذه أنزلت قبل الهجرة، وهذه أنزلت بعد الهجرة.

وجاء عن ابن مسعود رضي الله عنه كما في صحيح البخاري أنه قال: «**والذي لا إله غيره ما نزل آية من كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت**». فابن مسعود يقسم بالله تعالى أنه ما من آية من كتاب الله تعالى إلا وهو يعلم فيمن نزلت وأين نزلت فيعلم سبب نزولها ومكان نزولها، وابن مسعود رضي الله عنه كان من السابقين الأولين الذين شهدوا بدايات نزول القرآن على النبي ﷺ من أول نزوله إلى آخر نزوله.

وسأل رجل عكرمة عن آية من القرآن فقال: «**نزلت في سفح هذا الجبل**». عكرمة هو مولى ابن عباس رضي الله عنهما ومن كبار تلاميذ ابن عباس، وكان

من علماء التفسير الذين أخذوا التفسير عن ابن عباس ﷺ، فسأل رجل عكرمة عن آية من القرآن الكريم: «**نزلت في سفح هذا الجبل**» وأشار إلى جبل سلع، أخرجه أبو نعيم في الحلية، معناه أنه حتى التابعون أخذوا عن الصحابة رضي الله عنهم مواطن نزول الآيات الكريمة، وعرفوا أين أنزلت هذه الآيات.

قال العلماء: إن هناك طريقة قياسية لمعرفة المكي والمدني، وطريقة سماعية لمعرفة المكي والمدني.

فالطريقة السماعية: هي الرجوع إلى الآثار عن الصحابة رضي الله عنهم، إذ يقولون: هذه سورة مكية، أو هذه سورة مدنية، ونقول: عن الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنه ليس هناك أحاديث عن النبي ﷺ فصل فيها ما نزل بمكة وما نزل بالمدينة، وإنما كان الصحابة رضي الله عنهم ينقلون هذه الأشياء، فقالوا: نرجع إلى نقل الصحابة رضي الله عنهم، وننظر ما قالوا عنه: إنه نزل قبل الهجرة فهو مكي، وما قالوا عنه: إنه نزل بعد الهجرة فهو مدني، وقد لا يقولون مباشرة نزل بعد الهجرة، لكن مثلا يقولون: نزل في أثناء غزوة بدر أنزلت الآية الفلانية، وفي أثناء غزوة أحد نزلت الآية الفلانية. فهذا معناه أنه بعد الهجرة لأن هذه الغزوات كانت بعد الهجرة، وهكذا، وهذا هو الطريق الأول وهو الطريق السماعي.

وهناك الطريقة الثانية، وهي **الطريقة القياسية**: هناك علامات يمكن أن نستدل بها على المكي والمدني، فمن القياس:

- أنَّ كل سورة فيها {**يا أيها الناس**} فهي سورة مكية.
- وكل سورة فيها (**كَلَّا**) فهي سورة مكية.

- وكل سورة أولها حرف تَهَجٍّ سوى الزهراوين والرعد فهي مكية. أي الزهراوان-وهما البقرة وآل عمران-والرعد، هذه السور الثلاث مدنيّات، فهنّ مستثنيات رغم أنها مبدوءة بفواتح السور، لكن أي سورة أخرى مبدوءة بفواتح السور سوى البقرة وآل عمران والرعد فهي سورة مكية.

- وأي سورة فيها قصة آدم وإبليس سوى سورة البقرة فهي مكية.

- وكل سورة فيها قصص الأنبياء السابقين والأمم الخالية كقصص عاد وثمود وقوم نوح وهكذا فهي سورة مكية.

- وكل سورة فيها فريضة من الفرائض أو حد من الحدود فهي مدنية.

ومما ورد في هذه الضوابط القياسية جاء عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «ما كان {يا أيها الذين آمنوا} أنزل بالمدينة، وما كان {يا أيها الناس} أنزل بمكة».

وهذا عن عبد الله بن مسعود ﷺ أعطانا قاعدة إذ قال: إن أي سورة فيها {يا أيها الذين آمنوا} فهي سورة مدنية، وأي {يا أيها الناس} فهو مكي، وجاء عن ميمون بن مهران رحمه الله قال: «ما كان في القرآن {يا أيها الناس} أو {يا بني آدم} فإنه مكي، وما كان {يا أيها الذين آمنوا} فهو مدني».

لكن هناك بعض الانتقادات أو الاستثناءات من هذه القواعد: فمشكلة القواعد القياسية أنها قد يحصل فيها بعض الاستثناءات، أي مثلا قالوا:

- إن سورة النساء سورة مدنية باتفاق العلماء، وأولها {يا أيها الناس} فإذن هذه مستثناة من قاعدة أن {يا أيها الناس} تكون مكية، فهذه قاعدة أغلبية، ولكن هناك بعض الاستثناءات ومنها أن سورة النساء مدنية باتفاق العلماء وهي

مبدوءة ب {**يا أيها الناس**} وسورة الحج مكية وفيها {**يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا**}.

- وقال: أيضا من ضمن الاستثناءات سورة البقرة فهي مدنية، وفيها {**يا أيها الناس اعبدوا ربكم**}. و{**يا أيها الناس كلوا مما في الأرض**}.

فإذن قاعدة {**يا أيها الناس**}، و{**يا أيها الذين آمنوا**} خاصة هذه قاعدة أغلبية، وليست مطردة، أي غالب السور التي يكون فيها {**يا أيها الناس**} مكية، وغالب السور التي يكون فيها {**يا أيها الذين آمنوا**} مدنية.

لكن قالوا: إن أي سورة فيها (كلا) فهي مكية، وكذا أي سورة فيها حرف تهج، هذه ذكروا الاستثناءات فيها لأنها سور معدودة، فاستثنوا منها كما ذكرنا البقرة وآل عمران والرعد وما عداها تكون مكية.

وهناك ضوابط أخرى منها:

- كل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية، ولكن قال بعض العلماء: يستثنى منها سورة العنكبوت فهي مكية، وفيها ذكر المنافقين رغم أنها مكية.

- وقالوا أيضا: كل سورة فيها سجدة فهي مكية، وهذا قاله بعض العلماء منهم الإمام الهذلي في كتابه الكامل في القراءات.

- ومن بعض التعليلات اللطيفة أنهم قالوا: لم تنزل (كلّا) في المدنية، وقد قلنا: إن كل سورة فيها (كلّا) فهي مكيّة، فقالوا: لأنّ مكة أكثرها جبابرة، فتكررت فيه على وجه التهديد والردع، بخلاف اليهود فلم يحتج معهم إلى إيراد (كلّا) لذلتهم وضعفهم.

وهنا تنبيه على أنه قد تكون السورة مكية وفيها بعض الآيات نزلت بالمدينة وألحقت بإحدى السور المكية، فتكون السورة مكية ما عدا آيات معينة أنزلت بالمدينة؛ لأن جبريل عليه السلام كان عندما ينزل بالآيات على النبي ﷺ يقول له: اجعل آية كذا بعد آية كذا، وقبل آية كذا في سورة كذا، فيحدد للنبي ﷺ موضع هذه الآيات توضع بعد أي آية وقبل أي آية وفي أي سورة، فبعض الآيات التي أنزلت بالمدينة على النبي ﷺ أمر النبي ﷺ أن يلحقها ببعض السور المكية، وكذلك نفس الشيء أيضا فبعض السور المدنية فيها آيات مكية، فإذن كل نوع من المكي والمدني فيه آيات مستثناة، أي إذا قلنا: إن سورة كذا مكية، أو سورة كذا مدنية، فهذا باعتبار غالب السورة، وهذا لا يمنع أن يكون في نفس السورة المكية بعض الآيات المدنية، أو العكس. وبهذا ذكر المؤلف الأقوال في معرفة المكي والمدني، ثمّ انتقل للكلام عن عدد السور المكية والمدنية وأسمائها.

حَدَّدُوا مِن سُوَرِ المَدينَهْ ... عِشرينَ سُورَةً لَنا مُبِينَهْ

كَ(البَقَرَهْ) و(آلِ عِمرانَ) (النِّسا) ... و(المائِدَه) لِمَنْ وَعا وما أسَا

(أنفالِ) (تَوبَةٍ) كَذاكَ (النُّورِ) ... (مُحَمَّدٍ) (أَحزابٍ) مَعْ مُرورِ

بِالفَتحِ و(الحَديدِ) ثُمَّ (قَد سَمِعْ) ... وَ(لا تَقَدَّمُوا) (التَّحريمِ) فاسْتَمِعْ

(مُنافِقُون) (جُمعَةٍ) و(الحَشرِ) ... (طَلاقٍ) و(الْمُمتَحِنَهْ) و(النَّصرِ)

واختَلَفوا في عِدَّةٍ مِنَ السُّوَرْ ... تُعَدُّ جُملَةً على ثِنتَيْ عَشَرْ

كَالفاتِحَهْ) و(الرَّعْدِ) و(الرَّحمٰنِ) ... و(الصَّفِّ) و(التَّطفيفِ) لِلْعَيانِ

(تَغابُنٍ) (بَيِّنَةٍ) بَعدَ (القَدرِ) ... (زَلزَلَةٍ) (إخلاصٍ) يا مَن اقْتَدَرْ

ثُمَّ (الفَلَقْ) وَ(النَّاسِ) لِلخَبيرِ وكُلِّ حاذِقٍ بِهِ جَديرِ
وما عَدا ما قَد مَضَىٰ مَكِّيُّ يُنبِيكَ عَنهُنَّ الفَتَىٰ الذَّكِيُّ
ويُعرَفُ الجَميعُ بالنُّقولِ وبِالْقِياسِ مِن ذَوي الأُصول

إذن قد ذكر الناظم عشرين سورة مدنية، اتفقوا على أنها مدنية، وهناك عدة سور اختلفوا فيها، والسور المختلف فيها قال: إنها ثنتا عشرة سورة، فبعض العلماء قال: مكية، والبعض قال: مدنية، وهذه السور المختلف فيها بعضهم قال: أنزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة، وبعضهم قال: أنزل بعضها بمكة، وبعضها بالمدينة، وقد وقع فيها الخلاف في عدها مكية أو مدنية، قال:

كَ الفاتِحَهْ و الرَّعْدِ و (الرَّحمنِ) و (الصَّفِّ) والتَّطفيفِ لِلْعَيان

ـِ يقصد بسورة التطفيف سورة المطففين.

(تَغابُنٍ) (بَيِّنَةٍ) بَعدَ (القَدرِ) (زَلزَلَةٍ) (إخلاصٍ) يا مَن اقْتَدَرْ

يقصد ب (القَدر) سورة القَدْر.

ثُمَّ (الفَلَقْ) وَ (النَّاسِ) لِلخَبيرِ و كُلِّ حاذِقٍ بِهِ جَديرِ

فهذه ثنتا عشرة سورة قد اختلف العلماء فيها، فبعضهم قال: مكية وبعضهم قال: مدنية.

ومـا عَـدا مـا قَـد مَـضَى مَـكِّيُّ يُنبِيــكَ عَنهُــنَّ الفَــتَى الذَّكِيُّ

أي يخبرك عنهما الفتى الذكي، أي ما عدا ما قد مضى من السور فهو مكيٌّ، فإذن بقية السور مكيّة.

و يُعــرَفُ الجَميــعُ بالنُّقــولِ و بِالْقِيـاسِ مِـن ذَوي الأُصـولِ

فنعرف أن هذه السورة مكية أو مدنية إما بالنقول وهو السماع والنقل عن الصحابة والتابعين، أو بالقياس أي باتباع القواعد التي وضعها العلماء لتمييز المكي عن المدني

أَسبابُ النُّزُولُ

تَكَلَّمَ الحُذَّاقُ بالإِسهابِ عَمَّا يَخُصُّ مَبحَثَ الأَسبابِ
وأَفرَدَ البَعضُ لَهُ كِتابا كَابْنِ المَدِينِي سابِقاً مُثابا
وإن تُرِدْ أَنْ تَعلَمَ التَّعرِيْفا فَكُن لِما أَورَدْتُهُ عَرِيْفَا
فَهْوَ الَّذِي قَد أُنْزِلَ القُرْآنُ بِشأنِهِ فَحَسبُكَ البَيانُ
ويُعرَفُ النُّزولُ في الصَّحيحِ مِنَ الرِّواياتِ علىٰ التَّرجيحِ
والْخُلفُ في قَولِ الصَّحابِيِّ كَذا نُزولُها وُقُوعُها ثُمَّ إِذا
نَظَرتَ هَلْ جَرَىٰ مقامَ الْمُسنَدِ أَو ليسَ دَاخِلاً بِهٰذا الْمَقصِدِ
فالأَوَّلُ الْجُعْفِيُّ قالَ مُسنَدُ وغَيْرُهُ يَقُولُ ليسَ يُسنَدُ
بِعَكسِ ما لَو بَيَّنَ النُّزولا وحَقَّقَ الأَسبابَ وَالفُصُولا
فَكُلُّهُم يَقُولُ ذاكَ مُسنَدُ حَكاهُما النّمَيْرِيُّ الْمُسَدَّدُ
وما يَخُصُّ تابِعٍ فَقالوا بِأنهِ يَصِحَّ مُسنَداً مَقَالُ
وأَن يَكونَ مِن ذَوِي التَّفسِيرِ بِأَخذِهِ عَن صُحبَةِ البَشِيرِ
أَو يَعتَضِدْ بِآخَرٍ أَو مِثلِهِ حَكَىٰ السُّيُوطِيْ هٰكَذا بِنَقْلِهِ

قوله: (تَكَلَّمَ الحُذَّاقُ) الحذق بمعنى: العلم والفهم والدراية، فالحُذَّاقُ أي العارفون والفاهمون، فالعالمون تكلموا (بالإِسهابِ) أي: بالتفصيل (عَمَّا يَخُصُّ

مَبحَثَ الأَسبابِ)، فتكلموا بالتفصيل عن مبحث أسباب نزول آيات القرآن الكريم، والمقصود بأسباب نزول القرآن الكريم، فقالوا: سبب النزول هو ما نزلت الآية أيام وقوعه، فعرفوا سبب النزول بأنه ما نزلت الآية أيام وقوعه، فهذا هو سبب النزول، الحادثة التي وقعت، فنزلت آيات كريمة أيام وقوعها، وقد يقصد بالسبب المعنى اللغوي كقول بعض المفسرين: إن سبب نزول سورة الفيل هو قدوم الحبشة لهدم الكعبة، ومعلوم الآيات لم تنزل في ذلك الوقت الذي أتى فيه هذا الرجل من الحبشة لهدم الكعبة، وقدوم الحبشة، كان في السنة التي ولد فيها رسول الله ﷺ وبدأ نزول القرآن بعد ذلك بأربعين عاما، فإذن إذا ذكر بعض المفسرين هذا أحيانا في بعض الآيات فإنهم يقصدون بالسبب هنا المعنى اللغوي أي أن هذه الآية الكريمة مرتبطة بهذا الموضوع، والمراد بهذه الآيات الكريمة هذه القصة فهو من باب الإخبار عن الوقائع الماضية، وليس من باب أسباب النزول كعلم من علوم القرآن الكريم كتعريف اصطلاحي لأسباب النزول، فالتعريف الاصطلاحي لأسباب النزول هو ما نزلت الآية الكريمة أيام وقوعه، الحوادث التي نزلت الآيات الكريمة أيام وقوعها، فهذه هي سبب نزول الآيات الكريمة.

وليس لكل آية في القرآن الكريم سبب نزلت من أجله، فإن القرآن الكريم ينقسم إلى قسمين:

- قسم نزل ابتداءً بغير سبب، بمعنى أنه ليس هناك واقعة معينة أو سؤال سئل فنزلت الآيات من أجله.

- وقسم نزل عقب واقعة أو سؤال، وهذا هو القسم الذي يحتاج إلى معرفة

أسباب نزوله.

وقلنا في تعريف سبب النزول إنه: ما نزلت الآيات أيام وقوعه، فهل الآيات الكريمة نزلت من أجل هذه الحادثة، وهل كانت هذه الحادثة علة في إنزال هذه الآيات الكريمة؟

الجواب على هذا مرتبط بمسألة اعتقادية، وهي مسألة التعليل في أفعال الله سبحانه وتعالى، فإنزال الآيات الكريمة هذا فعل من أفعال الله سبحانه وتعالى، هل أفعال الله سبحانه وتعالى لها علل ولها أسباب من أجلها فعل الله سبحانه وتعالى هذا أو أنزل هذا؟

فمذهب السلف الصالح رضوان الله عليهم جواز التعليل في أفعال الله سبحانه وتعالى، لكن الإشكال هنا فقط هو أننا لا نقول بالرأي: إن الله فعل كذا من أجل كذا، ولكن إن كان عندنا دليل على أن الله تعالى فعل هذا الشيء من أجل كذا، فيكون هذا تعليلا في أفعال الله سبحانه وتعالى، ولكن الأشاعرة من مذهبهم نفي التعليل عن أفعال الله سبحانه وتعالى، ويسمون ذلك نفي الغرض، يقولون: الله تعالى لا يفعل شيئا لغرض.

فلذلك فإنك تجد أن أكثر من عرَّف أسباب النزول هم من العلماء الأشاعرة، فعرفوا سبب النزول بأنه ما نزلت الآية أيام وقوعه، فلا يقولون: ما نزلت الآية من أجله، أو بسببه أو كان علة أو سببا لنزول الآيات فرارا من مسألة التعليل في أفعال الله، لكن بناء على مذهب السلف الصالح أنه لا مانع من التعليل في أفعال الله تعالى والله تعالى يفعل ما يشاء، وقد أخبرنا الله تعالى أنه فعل أشياء من أجل أشياء

أخرى، فهي علة وسبب، ولأجله فعل الله تعالى كذا أو أنزل الله تعالى.

لكن لا مانع من باب الاحتياط أن نقول: ما نزلت الآية أيام وقوعه، لتشمل ما تأكدنا أن الآية نزلت من أجله وأن وقوع هذا الشيء كان علة في نزول الآيات فعلا، أو أنه قد تحصل حادثة، وتنزل آيات في أيام وقوعها، ويكون ارتباط الحادثة بالآية اجتهاديا، من غير جزم بأن الله سبحانه وتعالى أنزل الآية من أجل هذه الحادثة، فإذا كان عندنا دليل من السنة النبوية أن الآية أنزلت من أجل كذا، فنقول: هذا السبب أنزلت الآية من أجله بدليل قطعي، أما إذا كان بغير دليل، ففي هذه الحالة يكون هناك احتمال أن تكون الآية أنزلت من أجله، واحتمال أن يكون الأمر مجرد أنه اتفق أن الآية نزلت أثناء وقوع هذه الحادثة، بدون أن تكون هذه الحادثة سببا أو علة في نزولها.

فالخلاصة هي أن من القرآن الكريم ما نزل ابتداء ومنه ما نزل عقب وقوع واقعة أو عقب سؤال سئل ومعظم القرآن ليس له سبب للنزول، فهو من القسم الذي نزل ابتداءً بغير سبب، والقسم الأقل من القرآن الكريم هو الذي نزل لسبب.

فوائد العلم بأسباب النزول منها:

- أن معرفة سبب النزول يؤدي إلى معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، معرفة الحكمة التي بعثت على تشريع الحكم، فمثلا تحصل مشقة على الناس فأنزل الله تعالى تخفيفا معينا، أو حصل مثلا أن صلى رجل وهو سكران فسب نفسه أو تكلم بكلام غير لائق، فأنزلت الآيات بتحريم الصلاة أثناء السكر، فهذا يعرف بالحكمة التي لأجلها شرع الحكم.

❁ ومن الفوائد: تخصيص الحكم عند بعض العلماء، وهم الذين يقولون: العبرة بخصوص السبب، فهناك اختلاف بين العلماء هل العبرة بعموم اللفظ أو العبرة بخصوص السبب؟ فالقول الصواب والذي عليه جمهور العلماء أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، أي لا يهم السبب المحدد الذي أنزلت الآية من أجله لا نقصر الحكم عليه وإنما نأخذ من اللفظ حكما عاما في كل ما يشمله اللفظ، لكن السبب الذي من أجله أنزل الحكم هذا يدخل في العموم ويدخل غيره معه، لكن هناك رأي آخر يقول: العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ، فالذين يقولون: العبرة بخصوص السبب أو لا، يكون معرفة السبب عندهم ضرورية، فالآية لا يكون معناها إلا مخصوصا بما ورد في سبب نزولها. والجمهور يقولون: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذا القول الراجح والصحيح.

وكذلك من الحكم والفوائد في معرفة سبب النزول أن صورة السبب داخلة في الحكم دخولا قطعيا، فلا يجوز استثناؤها باجتهاد، حتى لا يدعي مدعٍ ويقول: هذه الصورة مستثناة من الحكم، فنقول له: هذه الصورة هي التي أنزل الحكم لأجلها، فلا يمكن أن نستثنيها، فسبب نزول الحكم هذا يكون داخلا فيه دخولا قطعيا فلا يمكن استثناؤه من الحكم فهناك آيات أنزلت في فضائل أبي بكر وفي فضائل عمر رضي الله عنهما، وفي فضائل غيرهما من الصحابة، كما في قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾[الليل: ١٧-٢١].

قال ابن كثير: «أجمع المفسرون على أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه». وقلنا: سبب النزول داخل في الحكم دخولا قطعيا، أي لا يأتي مثلا رافضي

ويقول: الآية على عمومها، فنقول: صحيح أن العبرة بعموم اللفظ وهو أن كل متقٍ سيجنب النار وسيرضى الله عنه، فنأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلا نقول: هذه الآية خاصة بأبي بكر فقط، فهي عامة في كل من اتقى، لكن سبب النزول هي نزلت في شأن أبي بكر فلا يجوز بحال أن يأتي قائل ويقول: لكن أبا بكر لا يدخل في هذا الفضل، فكيف ذلك والآية قد نزلت بسببه، فهو داخل فيها دخولا قطعيًا وإن كان لفظها يشمل غيره، لكن هو داخل فيها، ونستدل بها على مناقبه ﷺ، ونستفيد بها أيضا بعموم لفظها لمن فعل نفس فعله

- وكذلك من فوائد معرفة سبب النزول الوقوف على معاني الآيات الكريمة، وإزالة الإشكالات التي تستشكل، فسبب النزول يفسر ويزيل الإشكالات، ومما يوضح ذلك أن قدامة بن مظعون وعمر بن معديكرب رضي الله عنهما، وهما صحابيان جليلان كانا يقولان الخمر مباحة للذين آمنوا وعملوا الصالحات واتقوا وأحسنوا، وأخذوا بهذه الآية الكريمة: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:٩٣]. وشرب قدامة ﷺ في عهد عمر، ولكن عذره عمر ﷺ لتأوله ولكن حذره من ذلك ولامه، لكن رفع عنه الحد للشبهة والتأويل الذي وقع منه ﷺ.

فقالوا: هذا الخطأ الذي وقع فيه هذان الصحابيان الجليلان قدامة بن مظعون وعمرو بن معدي كرب رضي الله عنهما هو أنهما أخذا بعموم لفظ الآية ولم ينظرا إلى سبب ورودها، أو نزولها، وسبب نزولها أن ناسا لما حرمت الخمر قالوا: يا رسول الله كيف بمن قتل في سبيل الله وكانوا يشربون الخمر وهي رجس؟

فهم أناس من الشهداء وقتلوا في سبيل الله قبل تحريم الخمر وكانوا يشربونها وهي رجس، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:٩٣].

فإذن سبب النزول هنا يوضح أن المراد بهؤلاء الذين ليس عليهم جناح هم الذين ماتوا قبل التحريم، وليس معنى الآية أن يستمر الإنسان في تناول المحرمات بعد نزول تحريمها، وإنما نزلت في عذر من تناولها قبل تحريمها.

- ومن فوائد معرفة أسباب النزول معرفة اسم النازل فيه الآية وتعيين المبهم، فأحيانا الآية الكريمة يكون فيها مثلا: والذي قال كذا، فيكون فيه إبهام، فسبب النزول فيه تعيين المراد مثل مثلا في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [المجادلة:١]. وهي **خولة بنت ثعلبة**، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧]. مرجع الضمير هنا يعود على **زينب بنت جحش** ﵂، فهي المعنية بهذه الآية، وكذلك آيات حادثة الإفك في براءة **أم المؤمنين عائشة** ﵂، فمعرفة سبب النزول يوضح المراد بهذه الآية.

. ثم ذكر أن بعض العلماء قد أفرد كتبا في سبب النزول:

وأول هؤلاء هو علي بن المديني-رحمه الله-وهو شيخ البخاري، ومنهم الإمام الواحدي، والإمام الجعبري، والحافظ ابن حجر، والإمام السيوطي-رحمه الله-إذ له كتاب اسمه لباب النقول في أسباب النزول، وهو أكبر كتاب في هذا الموضوع، إذ استوعب ما قبله من الكتب، فهنا المؤلف أشار إلى الكتب التي

ألفت في أسباب نزول القرآن، فقال:

وأَفــرَدَ البَعــضُ لَهُ كِتابــا كَابْــنِ المَديــنِي ســابِقا مُثابــا

عليّ بن المديني أول من كتب في أسباب النزول وهو شيخ البخاري، وقد كان البخاري يقول: «ما استصغرت نفسي في مجلس أحد كما استصغرتها في مجلس علي بن المديني أو إلا في مجلس علي بن المديني» رغم أنه حضر مجالس أحمد بن حنبل وغيره من كبار الأئمة، لكن لابن المديني جلالة كبيرة في قلب الإمام البخاري-رحمه الله-.

ثُمَّ قال في تعريف أسباب النزول:

وإن تُــرِدْ أَنْ تَعلَــمَ التَّعرِيْفــا فَكُــن لِمــا أَورَدْتُــهُ عَرِيْفَــا

فَهْــوَ الَّذِي قَــد أُنْــزِلَ القُــرْآنُ بِشــأنِهِ فَحَســبُكَ البَيــانُ

هذا التعريف الصحيح: الذي أنزل القرآن بشأنه، نحن قلنا: إن التعريف المشهور هو الذي أنزل القرآن أيام وقوعه، وذكرنا أن هذا التعريف اشتهر بسبب الإشكال الذي عند الأشاعرة، لكن نقول: الذي أنزل القرآن بشأنه أي بسببه أو من أجله.

ويُعــرَفُ الــنُّزولُ في الصَّحيــحِ مِــنَ الرِّوايــاتِ على التَّرجيــحِ

يوضح هنا المؤلف الكيفية التي نعرف بها السبب الذي أنزلت من أجله الآية، فيقول: إننا نعرف ذلك من الروايات التي وردت في أسباب النزول، فتأتي روايات عن الصحابة رضي الله عنهم، يقولون: نزلت آية كذا من أجل كذا، أو حصلت الواقعة الفلانية فأنزل الله تعالى كذا.

و الْخُلفُ في قَـولِ الصَّحابِيِّ كَذا ... نُزولُهـا وُ قُوعُهـا ثُـمَّ إِذا
نَظَرتَ هَلْ جَرَى مقامَ الْمُسنَدِ ... أَو ليـسَ دَاخِـلا بِهـذا الْمَقصِـدِ
فـالأَوَّلُ الْجُعْـفِيُّ قـالَ مُسـنَدُ ... و غَـيْرُهُ يَقُـولُ ليـسَ يُسـنَدُ
بِعَكـسِ مـا لَـو بَـيَّنَ الـنُّزولا ... و حَقَّـقَ الأَسـبابَ وَ الفُصُـولا
فَكُلُّهُـم يَقُـولُ ذاكَ مُسـنَدُ ... حَكاهُمـا النّمَـيْرِيُّ الْمُسَـدَّدُ

هنا يتكلم عن مسألة كيف نعرف أن هذا هو سبب النزول، فقالوا: لا يحل القول في سبب نزول الآية الكريمة إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا تنزيل القرآن الكريم ووقفوا على الأسباب، وجاء عن محمد بن سيرين رحمه الله قال: «سألت عبيدة السلماني-وهو شيخ محمد بن سيرين-عن آية من القرآن، فقال: اتق الله وقل سدادا، ذهب الذين يعلمون فيما أنزل الله القرآن أو من القرآن».

وفي قوله: (حَكاهُما النّمَيْرِيُّ) النميري: هو شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-، فهو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري، وهي القبيلة التي ينسب إليها شيخ الإسلام، فيقول شيخ الإسلام: (قولهم نزلت هذه الآية في كذا، تارة يريدون سبب النزول وتارة يريدون أن ذلك داخل في الآية، وإن لم يكن السبب) كما تقول: عني بهذه الآية كذا وكذا، أحيانا تجد بعض الآيات مثلا يقول العلماء: هذه الآية نزلت في الخوارج، والخوارج لم يكونوا موجودين أيام النبي ﷺ حتى تنزل الآية فيهم، ولكن نزلت فيهم أي هم معنيون بها وداخلون في حكمها.

مثلا قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾

[الكهف:١٠٤]. فكل أهل البدع يدخلون في هذه الآية، فقولهم: نزلت فيهم ليس بمعنى أنهم كانوا موجودين، وفعلوا شيئا وأنزلت، ولكن المقصود أنهم يدخلون في معنى هذه الآية، وأحيانا كما ذكرنا الاحتمال الأول أن يقولوا: نزلت في شأن كذا أن هذه الواقعة حصلت بالفعل، وأنزلت الآية من أجلها.

فإذا قال الصحابي: نزلت هذه الآية في كذا فهنا يكون لدينا احتمالان:

❁ الاحتمال الأول: أن الصحابي يقصد أن هذا الأمر حصل فعلا، وأنزلت الآية من أجله، فيكون مسندا أي كأنه يروي حديثا عن النبي ﷺ، فيكون بمثابة المسند، وليس اجتهادا أو رأيا من الصحابي، بل هو حديث مسند متصل، كأن الصحابي يقول: حصلت الواقعة الفلانية، وأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية بشأنها فهو ينقل لنا إقرار النبي ﷺ لهذا وكأنه ينقل عن النبي ﷺ أن هذه الواقعة بعينها هي سبب نزول هذه الآية بعينها.

❁ والاحتمال الثاني: أن يكون الصحابي اجتهد وربط بين السبب والآية، ولا يكون هذا من باب المسند أو المرفوع، وإنما يكون من باب اجتهاد الصحابي، ورأي الصحابي يكون ربط بين حادثتين ويريد أن هذه الواقعة تدخل في حكمها، فلذلك الإمام البخاري يعتبر تفسير الصحابي مسندا، وغيره من العلماء لا يعتبرونه من قبيل الحديث المسند، ويعتبرونه من باب اجتهاد الصحابي، لكن إلا أن يدل دليل على أن الآية نزلت عقب حادثة بعينها، فإنهم في هذه الحالة يدخلون هذا في المسند ويتفقون عليه.

فهناك بعض أسباب النزول يكون فيها الأمر واضحا أن الصحابي يروي رواية

ولا يجتهد برأيه وإنما يروي رواية عن واقعة بعينها حصلت وأنزلت الآية، وأحيانا يتخللها كلام للنبي ﷺ يفيد أن هذه الآية نزلت بسبب واقعة بعينها، فإذا ثبت لدينا أن الصحابي يروي رواية فيكون هذا مسندا قطعا وإذا لم يثبت هذا فيكون مسندا، كل أسباب النزول التي رواها الصحابة تكون مسندة على رأي البخاري، وغير مسندة على رأي غيره، فتكون من باب اجتهاد الصحابي وقول الصحابي.

وبالنسبة لقول التابعي يقول:

وما يَخُصُّ تابِعٍ فَقالوا ... بِأن يَصِحَّ مُسنَدا مَقَالُ
وأَن يَكونَ مِن ذَوِي التَّفسِيرِ ... بأَخذِهِ عَن صُحبَةِ البَشِيرِ
أَو يَعتَضِدْ بِآخَرٍ أَو مِثلِهِ ... حكَى السُّيُوطِيْ هكَذا بِنَقْلِهِ

هنا يتكلم عن قول التابعي: أنزلت الآية الكريمة بسبب كذا، فقالوا: هذا مرفوع ولكنه مرسل أي كأن التابعي يرويه عن النبي ﷺ، أي إذا قلنا: إن قول الصحابي في أسباب النزول مسند أي مرفوع عن النبي ﷺ فيكون قول التابعي: أنزلت الآية بسبب كذا يكون أيضا مرفوعا عن النبي ﷺ، ولكن التابعي إذا روى عن النبي ﷺ يسمى حديثا مرسلا وهو الذي سقط في الإسناد من جهة التابعي، بين التابعي والنبي ﷺ.

فإذا قلنا: إن إخبار الصحابي بسبب النزول مسند مرفوع إلى النبي ﷺ، فيكون حديث التابعي، وقول التابعي: أنزلت الآية الكريمة في كذا يكون مرفوعا إلى النبي ﷺ، ولكن يسمى مرسلا في هذه الحالة.

ويقبل إذا صح السند إليه وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة كمجاهد

وعكرمة وسعيد بن جبير، أو اعتضد بمرسل آخر أو بحديث آخر في ضعف يسير، فينجبر به ويقوى، وهذا قول المؤلف.

ما يخص التابعي اختلفوا هل يعتبر من قبيل المسند أو ليس من قبيل المسند، وإذا كان من ذوي التفسير أي مثل مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير، فهذا يكون الغالب أنه أخذه عن الصحابي، فيقبلونه إذا كان من التابعين الذين يروون عن الصحابة، ومن المعروفين بالتفسير، أو تعضد بمرسل آخر، أو برواية أخرى في ضعف يسير، فيتقوى وينجبر، وعمل به في هذه الحالة.

حُفَّاظُ القُرآنِ مِنَ الصَّحابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم

وأوجَبــوا أنْ يحفــظَ القــرآنَ كِفايَــةً لِيظهــرَ البُرهــانَ
ويُقتَــدىٰ بالْمُصطَــفَىٰ المُختــارِ لِكَونِــهِ حافِــظَ قَــولِ البــاري
وقــد حــذاهُ ثُلــةٌ صَحابَــهْ ذَووا عُقــولٍ وذَووا نَجابَــهْ
واستَشــكَلَ الحُــذَّاقُ مــا رَواهُ لَنــا البُخــاريْ مُســنَدٌ نَــراهُ
فَعَــدَّ حافِــظَ الكتــابَ مِنهُــمُ فَهاكهــم مُقيَّديــنَ مَــن هُــمُ
أُبَيُّهــم وزَيدُهُــمْ وســالِمُ مَســعُودُهُم مُفَــسِّرٌ وعالِــمُ
مُعاذُهــمْ وقُــل أَبُــو الدَّرداءِ وابنُ السَّكَنْ كُفيتَ عَن عناءِ
وَحَــرَّروا جــوابَ ذا الإِشــكالِ بِأوجُــهٍ تَطــولُ باسترِســالِ
أَشــهَرُها ألاَّ تُفيــدَ الحَــصرا وجُملَــةُ الْمُحَقِّقــينَ أَدرَىٰ

أول بيت من الممكن أن نقرأه هكذا (يَحفظَ) ببناء الفعل للمعلوم، أي: أن يحفظ الحافظون، لكن الأفضل أن نقول: (أنْ يَحفظَ القرآنَ)، و(كِفايَةً) أي: فرض كفاية.

المعنى الإجمالي للأبيات أن العلماء أوجبوا أن يُحفظ القرآن الكريم، وهذا فرض كفاية، وقالوا: إن هذا واجب كفائي، وفرض الكفاية أو الواجب الكفائي

هو الذي إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، فيجب أن يكون في أمة محمد ﷺ عدد من حفظة القرآن الكريم.

قوله: (لِيظهرَ البُرهانَ) أي العلة في ذلك أن يظهر كون القرآن الكريم برهانا وحجة على الخلق، وهذه أيضا لها ارتباط بأن الوسائل لها حكم المقاصد وهي قاعدة فقهية، فالمقصد هو بقاء القرآن الكريم حجة على الخلق وبرهانا على الخلق، ومن الوسائل التي تعين على ذلك، وتؤدي إلى ذلك أن يكون القرآن الكريم محفوظا في صدور طائفة من أمة محمد ﷺ.

ويُقتَدى بالْمُصطَفَى المُختارِ لِكَونِهِ حافِظَ قَولِ الباري

وكذلك حفظ القرآن الكريم فيه اقتداء بالمصطفى ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]، والنبي ﷺ كان حافظا للقرآن؛ لأنه كان لا يكتب ﷺ، فكان القرآن الكريم محفوظا في صدره الشريف فالاقتداء بالنبي ﷺ في ذلك كما قال الشيخ: (لِكَونِهِ حافِظَ قَولِ الباري)، فإذن حفظ القرآن اقتداء بالنبي ﷺ.

وقد حذاهُ ثُلةٌ صَحابَهْ ذَوو عُقولٍ وذَوو نَجابَهْ

وهناك مجموعة من الصحابة احتذوا حذو النبي ﷺ فحفظوا القرآن الكريم، وهؤلاء المجموعة ذوو عقول وذوو نجابة، والنجابة هي رجاحة العقل والفطنة والحكمة.

واستَشكَلَ الحُذَّاقُ ما رَواهُ لَنا البُخاريْ مُسنَدٌ نَراهُ

هنا يقول: إن الحذاق -وهم الفاهمون من العلماء- قد استشكلوا حديثا رواه

البخاري فيه أنه لم يجمع القرآن إلا أربعة فقط جمعوا القرآن الكريم، وذكرت أسماء هؤلاء الأربعة وسنتكلم إن شاء الله عن هذا، فاستشكل هذا الحديث، فما معنى جمعوا؟ هل معنى جمعوا بمعنى حفظوا القرآن الكريم؟ هل يعقل هذا الجمع من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا هؤلاء الأربعة؟

وقد تعددت الأجوبة، فبعضهم قال: جمع القرآن أي حفظه بجميع أوجهه، وجميع طرقه، وقراءاته المختلفة، فلم يتركوا منه قراءة من القراءات فيكونون جمعوا القرآن، الجمع تعني الإحاطة.

والبعض هؤلاء هم الذين حفظوا القرآن من الخزرج فقط، وهم قبيلة القائل وهو أنس بن مالك، فكان خزرجيا، ونص الحديث أنه قد روى البخاري عن قتادة قال: «**سألت أنس بن مالك** ﷺ: **من جمع القرآن على عهد رسول الله** ﷺ؟ **فقال: أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قال قتادة: قلت: من أبو زيد؟ قال: أحد عمومتي**». سأل قتادة عن أبي زيد أي ذلك أنه قد عرف هؤلاء الثلاثة ولم يعرف أبا زيد، هذا الصحابي الجليل الذي جمع القرآن الكريم، فقال له أنس: أحد عمومتي، واسمه أبو زيد قيس بن السكن ﷺ وهو المقصود في الأبيات هنا بقول الناظم **(وابنُ السَّكَنْ كُفيتَ عَن عناءِ)**

هناك حديث آخر رواه البخاري أيضا في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **(خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ: مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَسَالِمٍ وَمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ)**. وسالم هو سالم مولى أبي حذيفة أحد علماء الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، ولم يعمر طويلا، وكان معدودا من كبار علماء الصحابة ﷺ، لكنه لم يعمر طويلا واستشهد ﷺ،

فلم ينقل عنه كثير من العلم كما نقل عمن طال عمره من الصحابة، ومن فضائله ومناقبه أن عمر بن الخطاب ﷺ لما حضرته الوفاة قال: «**لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيا لاستخلفته**».

فهؤلاء الأربعة، منهم اثنان من المهاجرين، وهما عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة، واسمه سالم بن معقل، فهذا من المهاجرين رضي الله عنهم، وأما الأنصاريان فهما معاذ بن جبل، وأبي بن كعب رضي الله عنهما.

وكذلك عندنا أيضا حديث آخر في صحيح البخاري أنه في غزوة بئر معونة قتل في هذه الغزوة سبعون من القراء رضي الله عنهم وأرضاهم، سبعون من القراء وكان هؤلاء السبعون معدودين من القراء، والقراء في العادة كانت تطلق على حفظة القرآن الكريم، وكانوا لا يقتصرون على الحفظ فقط، بل كانوا يعلمون معانيه، ويعملون بما فيه، وهذا يدل على كثرة الحفاظ في الصحابة رضي الله عنهم، إذا كانت غزوة واحدة قتل فيها سبعون قارئا فهذا يدل على كثرة الحفاظ.

كذلك جاء أيضا في حديث ثابت عن أنس ﷺ قال: «**مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد**». وهذا الحديث رواه البخاري.

أيضا هنا الآن الإشكال قد ازداد هنا لأن رواية قتادة عن أنس فيها أن الذين جمعوا القرآن أربعة كان منهم ثلاثة مشتركين في هذه الرواية والرواية الأخرى وهم: معاذ بن جبل وزيد بن ثابت، وأبو زيد، ولكن في الرواية الأخرى أبي بن كعب قد ذكر بدلا من أبي الدرداء، وهذا يؤكد أن الحديث لا يقصد به الحصر،

فهنا طبعا حصل الإشكال، وبعض الناس ادعى أنه لم يحفظ القرآن الكريم إلا هؤلاء الأربعة، و هنا أنهم ليسوا أربعة، فهنا حديثان في البخاري كل واحد فيه أربعة، وفي أحدهما ذكر واحد ليس في الثاني، فالمهم أنه غير منحصر في هؤلاء، بل وصل الأمر ببعض العلماء إلى أن شنعوا على من قال ذلك ووصفوهم بالملاحدة، فالإمام الماذري أحد كبار أئمة المالكية قال: «تمسك بقول مالك هذا جماعة من الملاحدة، وادعوا أنه لم يحفظ القرآن من الصحابة إلا أربعة، أو إلا خمسة».

والقصد أن الأئمة استنكروا هذا القول استنكارا كبيرا، وقالوا: حفظة القرآن في الصحابة رضي الله عنهم كان عددا كبيرا، وهذه الأحاديث لا تفيد الحصر، لذا نحن نحتاج إلى جواب عن هذا الإشكال، فالسؤال: ما المقصود بأنه لم يجمع القرآن إلا أربعة؟

هنا عدة أجوبة:

الجواب الأول: أنه لا مفهوم له، أي لا يفيد المعنى الحصر، أي جمعه هؤلاء وجمعه غيره، فمعنى لا مفهوم له أي لا يفهم منه أنه لم يجمعه سوى هؤلاء، بل هؤلاء ممن جمع القرآن الكريم، وجمعه غيرهم ممن لم يذكرهم أنس.

وجواب آخر أنه على تقدير (من)، وهذا كثير في لغة العرب أن تكون (من) مقدرة محذوفة، أي كثير من الأحاديث فيها أفضل الأعمال كذا، وأحب الأعمال كذا، والتقدير: مِن أحب الأعمال، فجمع القرآن أربعة أي ممن جمع القرآن أربعة، فمِن أحيانا تقدر ولا تذكر في الكلام، وهذا نفس التوجيه الأول أنه لا يفيد الحصر.

وجواب ثانٍ: أنه لم يجمعه على جميع الوجوه والقراءات التي أنزل بها إلا هؤلاء، وأما غيرهم من حفاظ القرآن فكانوا كثيرين، لكن حفظوه على قراءة أو قراءتين أو بعض الأوجه، ولم يحفظوه بجميع أوجه القراءات.

وجواب ثالثٌ: أنه لم يحفظ القرآن من في رسول الله ﷺ كاملا ولم يتلقه كاملا من النبي ﷺ إلا هؤلاء الأربعة، أي هناك كثيرون حفظوا القرآن الكريم، لكن تلقوا بعضه من النبي ﷺ مباشرة، وبعضه بواسطة، ويسمعون بعض السور الأخرى التي لم يسمعوها ممن سمعها من النبي ﷺ من الصحابة الآخرين؛ لأن الصحابة رضي الله عنهم كان يقرأ بعضهم على بعض، وحتى إن بعض كبار الصحابة كان ربما قرأ على صغار الصحابة ممن كان أكثر حفظا منه للقرآن الكريم، وسماعا لسور القرآن الكريم، فيكون حفظة القرآن كثيرين لكن منهم من تلقاه كاملا من النبي ﷺ، وهم هؤلاء، والآخرون تلقوا بعضه من النبي ﷺ وبعضه بواسطة عن النبي ﷺ.

ويؤيد هذا الوجه من الوجوه أن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «**حفظت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة من القرآن الكريم**». فهذا ظاهره قد يفيد أنه لم يتلق كل القرآن من النبي ﷺ وإنما تلقى من النبي ﷺ مباشرة بلا واسطة سبعين سورة، وبقية السور تلقاها بواسطة.

فهذا وجه من الوجوه، وابن مسعود كان من حفظة القرآن ومن كبار علماء القرآن وتفسيره، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: «**والله ما من آية في كتاب الله تعالى إلا وأنا أعلم أين نزلت وفيما نزلت، ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لرحلت إليه**». فمعناه أنه كان حافظا للقرآن الكريم، فما من آية في القرآن إلا وهو

يعلم أين نزلت ومتى نزلت، فإذن غاية ما يفيده الأمر أنه إن لم يكن تلقى القرآن كله من النبي ﷺ مباشرة، فيكون تلقى بعضه بواسطة، لكنه حفظ القرآن كله في زمن النبي ﷺ.

وجواب آخر: أنهم هم الذين جمعوا القرآن الكريم كتابة، فقالوا: إن هذا الحديث لا علاقة له بالحفظ، وإنما هؤلاء هم الذين جمعوا القرآن كتابة لأن كتابة القرآن سميت جمعا يقال: جمعة أبي بكر، وجمعة عثمان، فقالوا: إن هؤلاء الأربعة أو هؤلاء الخمسة هم الذين كتبوا القرآن الكريم كله، وكان مكتوبا عندهم في بيوتهم كاملا من أوله إلى آخره على عهد رسول الله ﷺ، وأما بقية الصحابة فكانوا يحفظون القرآن لكن ليس كل القرآن مكتوبا عندهم، وهؤلاء الأربعة تميزوا بجمع القرآن مكتوبا.

وقيل: هؤلاء الذين جمعوا القرآن ممن تصدوا للتعليم والإقراء، وليس المراد هم الذين جمعوا القرآن فقط، ولكن هذا وجه ضعيف.

والوجه الذي رجحه الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى، رجح أن المراد بقول أنس: (جمع القرآن أربعة) أي من الخزرج، أي هو يحصي الذين حفظوا القرآن من الخزرج، ولا يحصي حفظة القرآن من الصحابة جميعا، وعلل ذلك رحمه الله بأنه من سياق الأثر أنه قاله في معرض المناظرة بين الأوس والخزرج، والمفاخرة بينهما. يقول الحافظ ابن حجر: إنه تتبع طرق الحديث فوجد فيها أن أنسا قال هذا في معرض مفاخرة بين الأوس والخزرج.

فالحديث له طرق عند غير البخاري ومنها ما رواه ابن جرير بسنده عن قتادة

عن أنس ويلتقي إسناده مع إسناد البخاري قال: «**افتخر الحيان الأوس والخزرج، فقال الأوس: منا أربعة، من اهتز له العرش: سعد بن معاذ، ومن عدلت شهادته شهادة رجلين خزيمة بن ثابت، ومن غسلته الملائكة: حنظلة بن أبي عامر، ومن حمته الدبر -وهي دبابير النحل، فقد حمت جسده حتى لا يصل المشركون إلى جسده حتى لا يمثلوا به: عاصم بن أبي ثابت، فقال الخزرج: منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم**». فذكروا هؤلاء الأربعة في معرض المفاخرة. فإذن السياق يوضح أنه ليس المقصود الحصر، وإنما تفاخر بأربعة جمعوا القرآن.

وقد استشهد من القراء في معارك المرتدين-وكانت قريبة العهد من رسول الله ﷺ-عشرات من حفظة القرآن الكريم، وبالتأكيد هؤلاء كانوا يحفظونه على عهد رسول الله ﷺ، وهذا الذي دعا بأبي بكر رضي الله عنه إلى جمع القرآن لأن حفظة القرآن قتلوا، وخشي على القرآن الكريم فحرص على جمعه.

إذن عرفنا أن الحديث لا يفيد الحصر، وكذلك أيضا مما يدل على أنه لا يريد الحصر أن هناك امرأة من الصحابيات جمعت القرآن وليست معدودة من هؤلاء، فقد روى أبو سعد في الطبقات بسنده عن أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث، وكان رسول الله ﷺ يزورها، ويسميها الشهيدة وكانت قد جمعت القرآن وهي التي أمرها النبي ﷺ أن تؤم أهل دارها، فكان النبي ﷺ يزورها وكان يسميها الشهيدة وكانت قد جمعت القرآن.

وكان النبي ﷺ حين غزا بدرا قالت له: أتأذن لي فأخرج معك أداوي جرحاكم وأمرض مرضاكم لعل الله يهدي لي شهادة؟ قال: «**إِنَّ اللهَ مُهْدٍ لَكِ شَهَادَةً**» وكان قد أمرها أن تؤم أهل دارها، وكان لها مؤذن وكانت تؤم أهل دارها حتى غمها

غلام لها وجارية كانت قد دبرتهما، و(غمها) أي كتم نفسها فقتلها خنقا، ومعنى (دبرتها) أي قالت: إن مت فأنتما أحرار، وهذا يسمى العبد المدبر الذي قال سيده: إن مت فأنت حر، فهو يتحرر ويعتق بوفاة سيده، فاستعجلوا التحرير من الرق، فقتل هذا العبد والجارية أم ورقة ﵂ فقتلاها في إمارة عمر، فصلبهما عمر، فكانا أول مصلوبين بالمدينة، وقال عمر ﵁: صدق رسول الله ﷺ كان يقول: «**انْطَلِقُوا بِنَا نَزُورُ الشَّهِيدَةَ**».

ومن الذين عدوا ممن جمع القرآن الكريم، ذكر أبو عبيد القاسم بن سلام-رحمه الله-أحد كبار الأئمة في كتاب القراءات-ذكر القراء من أصحاب النبي ﷺ، فعد من المهاجرين الخلفاء الأربعة، وطلحة، وقالوا أيضا: لأن النبي استخلف أبا بكر وقال: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ**». رغم أن أبي بن كعب هو أقرأ هذه الأمة، لكن قالوا: هذا دليل على أن أبا بكر كان من القراء.

وعمر ﵁ كان يصلي في صلاة الفجر كل يوم بنحو سبعة أرباع، أي يقرأ سورة يونس وسورة هود، ونحوها من السور الطوال من حفظه في صلواته ﵁ وأرضاه، وعثمان وعليّ رضي الله عنهما نقلت ممن نقلت عنهم القراءات القرآنية، فعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم وأرضاهم، هؤلاء الثلاثة تتصل بهم أسانيد القراءات القرآنية، فكثير من القراءات القرآنية ترجع إما إلى عمر، وإما إلى عثمان، وإما إلى عليّ رضي الله عنهم وأرضاهم.

فمن تلاميذ عمر: أبو العالية، إذ قال: «**عرضت القرآن من أوله إلى آخره ثلاث مرار أو قال أربع مرار**». وأبو العالية هو أحد التابعين، وكان أصحاب ابن مسعود ﵁ في العراق يأخذون علم ابن مسعود، كانوا يزورون عمر ويستفتونه عن نفس

المسائل التي أخذوها عن ابن مسعود؛ لأن ابن مسعود معدود من تلاميذ عمر رغم أنه صاحب النبي ﷺ، لكن كان ملازما لعمر وكثير من علم ابن مسعود مأخوذ عن عمر، فكانوا يأخذون علم ابن مسعود، ثم يستوثقون منه من عمر رضي الله عنه، ويسمعونه منه مباشرة، ومنهم من قرأ القرآن على عمر، ومنهم أبو العالية.

وعن أبي العالية ترجع قراءة أبي عمرو، فهي من ضمن القراءات التي لها إسناد يرجع إلى أبي العالية عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكذا قراءة عاصم؛ فعاصم قرأ على ذر بن حبيش عن ابن مسعود وقرأ أيضا على أبي عبد الرحمن السلمي الذي قرأ على عثمان وعلي رضي الله عنهما، فعبد الرحمن السلمي قرأ ختمة كاملة على عثمان رضي الله عنه وقرأ ختمة أخرى على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو شيخ عاصم صاحب القراءة، فالخلفاء الأربعة كانوا من القراء الكبار.

ومن الحفاظ أيضا: طلحة، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، حذيفة بين اليمان، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبو هريرة، وعبد الله بن السائب، والعبادلة الأربعة، وهم الأربعة الصغار بدون ابن مسعود: ابن عباس وابن عمر وابن عمرو وابن الزبير، وعائشة وحفصة وأم سلمة، فهؤلاء الثلاثة كنّ من حفظة القرآن رضي الله عنهن وأرضاهن، ومن المهاجرين أيضا كما روى ابن أبي داود: تميم بن أوس الداري وعقبة بن عامر، ومن الأنصار عبادة بن الصامت، وأبو حليمة، ومجمع بن حارثة، وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مخلد، وأبو موسى الأشعري.

فإذن هؤلاء الذين جمعوا القرآن الكريم، والمشتهرون بإقراء القرآن الكريم الذين ترجع إليهم قراءات القرآن الكريم، والبعض قد عدّهم سبعة والبعض عدّهم ثمانية: عمر وعثمان وعليّ وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وابن مسعود

وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري، فهؤلاء ترجع إليهم القراءات العشرة، فكلها ترجع في أسانيدها إلى هؤلاء الثمانية من الصحابة رضي الله عنهم، فكلُّ القراءات العشرة ترجع في نهاية أسانيدها إلى واحد من هؤلاء الثمانية من الصحابة رضي الله عنهم.

فقراءة ابن عامر الشامي، ابن عامر كان تلميذا لأبي الدرداء، فقد قرأ القرآن على أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ، وأبو الدرداء أحد الأربعة الذين جمعوا القرآن وأقرأ في مسجد دمشق، وقرأ عليه عبد الله بن عامر صاحب القراءة.

وأبو موسى الأشعري ترجع إليه قراءة يعقوب الحضرمي، فقراءته ترجع إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

وبعض قراء الصحابة هم من الصحابة الصغار الذين أخذوا عمن هو أكبر منهم من الصحابة، أي من حملة القرآن من الصحابة أبو هريرة، وابن عباس، وعبد الله بن السائب، وهؤلاء تلاميذ أبي بن كعب-رضي الله عن الجميع-، وقد أخذ ابن عباس عن زيد بن ثابت أيضا، فقد قرأ ختمة كاملة عليه، وهؤلاء أيضا: أبو هريرة وابن عباس وعبد الله بن السائب من الصحابة الذين أقرأوا القرآن وأخذه عنهم جماعة، وقراءتهم ترجع إلى قراءة أُبيّ-رضي الله عنه وأرضاه-.

كُتَّابُ الْوَحْيِ

والــوَحيُ قــد كانَ لهُ كُتَّــابُ أُبَيٌّ والأربَعَــةُ الأَحبــابُ
وزَيــدُ والزُّبَــيْرُ والْمُغــيرَه حَنظَلَــةٌ وخــالِدُ العَشِــيرَهْ
مُعاوِيَــهْ وعامِــرٌ يَزيــدُ وَعَمْــرٌو ثُــمَّ ثابــتٌ وِزِيــدُوا

فهؤلاء كتاب الوحي الذين كانوا يكتبون القرآن خلف رسول الله ﷺ، كان الوحي إذا نزل على النبي ﷺ أملاه عليهم، فيقرأ عليهم القرآن ويمليه عليهم، فيأخذونه من في رسول الله ﷺ ويكتبون.

وقوله: **(وَزِيدُوا)** أي: زيد عليهم، فهم يزيدون على هؤلاء الذين ذكرهم المؤلف، فالمؤلف ذكر جماعة منهم، فكُتّاب الوحي قيل: إن عددهم كان ستة وعشرين كاتبا، وقيل: كانوا اثنين وأربعين كاتبا.

فمنهم أبيّ بن كعب رضي الله عنه كان أحد كتاب الوحي الذين يكتبون خلف النبي ﷺ، **(والأربَعَةُ الأَحبابُ)** هم الخلفاء الأربعة الراشدون رضي الله عنهم، وزيد بن ثابت، والزبير بن العوام، والمغيرة بن شعبة، وحنظلة بن الربيع، وخالد بن الوليد، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وعامر بن فهيرة، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، وثابت بن قيس رضي الله عن الجميع، فكل هؤلاء كانوا من كتاب الوحي.

والقرآن الكريم كتب كله في حياة النبي ﷺ بإذنه وأمره ومن إملائه ﷺ، وهذا من مزايا القرآن الكريم بخلاف الكتب السابقة، فالقرآن الكريم من أوله إلى آخره كُتِب كاملا في حياة النبي ﷺ بأمره وتحت إشرافه وبإملائه ﷺ، وهذه الصحف التي كتب فيها القرآن الكريم جمعها أبو بكر رضي الله عنه، أي هو دور أبي بكر رضي الله عنه هو جمع هذه الصحف المتفرقة، فكان القرآن الكريم مكتوبا ولكن مفرقا فهذا الصحابي ينقصه بعض السور وهذا ينقصه بعض السور، وهذا ينقصه بعض السور، فمن خلال هذه النسخ جمعت النسخ، وضم بعضها إلى بعض، فالقرآن الكريم كله من أوله إلى آخره ما من آية منها إلا ووجدت منها نسخ مكتوبة من إملاء رسول الله ﷺ.

وبعد ذلك ذكر جمع القرآن، وأن القرآن الكريم جمع جمعتين، الجمعة الأولى التي كانت في عهد أبي بكر رضي الله عنه، ثم الجمعة الثانية التي كانت في عهد عثمان رضي الله عنه.

جَمعُ القُرآنِ الكَرِيمِ

وأَشــهَرُ الجَمــعِ علىٰ التَّحقيــقِ ... في عــصرِ ذا الخليفــةِ الصِّدِّيــقِ
مُسَــمِّياً بالْمُصحَــفِ الشَّــهيرِ ... مِــن دونِ مُنكَــرٍ وَلا نَكِــيرِ
وبَعــده عُثمــانُ يــا رَشــيدُ ... ونســخُهُ لِحَرفِــهِ جَديــدُ
لِقَــولِ ناصِــحٍ بِــلا تَــوانِ ... حُذَيفَــةَ بــنِ ذٰلــكَ اليَمــانِ

أي إن أبا بكر ﷺ جمع القرآن والكتاب الذي يجمع القرآن الكريم سمي بالمصحف من دون منكر ولا نكير، فلم ينكر عليه أحد جمع القرآن الكريم.

وبَعــده عُثمــانُ يــا رَشــيدُ ... ونســخُهُ لِحَرفِــهِ جَديــدُ

أي بذلك أن جمعة عثمان متأخرة عن جمعة أبي بكر.

لِقَــولِ ناصِــحٍ بِــلا تَــوانِ ... حُذَيفَــةَ بــنِ ذلــكَ اليَمــانِ

أي عثمان ﷺ جمع القرآن عملا بمشورة حذيفة بن اليمان ﷺ، فهو الذي أشار على عثمان ﷺ أن يجمع القرآن.

وباختصار فالمراحل التي مر بها جمع القرآن الكريم أو كتابة القرآن الكريم أنه كان كما ذكرنا أن القرآن الكريم كله كان مكتوبا في عهد النبي ﷺ لكنه كان مفرقا، وكان مكتوبا على أوراق وعظام وجلود، وحجارة، جريد نخل، فكانت الأوراق

شحيحة عندهم، فكانوا يكتبون على العظام، وعلى أكتاف الإبل، ينتقون العظام العريضة أكتاف الإبل، ويكتبون عليها، ويكتبون على الجلود، وعلى الحجارة الرقيقة، رقائق الحجارة يكتبون عليها، وعلى الأوراق وعلى جريد النخل، فكان القرآن موجودا ولكن كان مفرقا.

ولم يجمعه النبي ﷺ في مصحف واحد وجمعه أبو بكر؛ لأنه كان يتوقع زيادته، ويتوقع نسخ بعض المتلو، فلم يكن القرآن الكريم قد اكتمل فكان يتوقع أن ينسخ بعضه ويتوقع أن يزاد عليه، فكان جبريل ينزل على النبي ﷺ بالآية، فيقول له: ضع هذه الآية بعد آية كذا وقبل آية كذا من سورة كذا، فكان هناك توقع للزيادة والنقصان بالنسخ، فلذلك لم يجمعه النبي ﷺ، فلما زال هذا المانع من جمع القرآن بوفاة النبي ﷺ، فجمعه أبو بكر رضي الله عنه.

لذلك فإنَّ من ضوابط مسألة البدعة أن البدعة لا تكون بدعة إلا إذا كان المقتضي لها موجودا في زمن النبي ﷺ ولم يفعلها النبي ﷺ، أي شيء تقرب به إلى الله وكان الدافع له موجودا ولم يفعله النبي ﷺ فهذا يكون من البدعة، أما ما جد مقتضيه بعد النبي ﷺ، لم يكن مقتضيه موجودا أو كان هناك مانع منع النبي ﷺ منه، أي كان عملا صالحا ولكن هناك ما منع النبي ﷺ منه، أو لم يكن هناك ما يقتضيه، وبعد النبي ﷺ زال هذا المانع، أو وجد المقتضي، فهذا مثل مسألة جمع القرآن الكريم، فهي لا تكون من باب البدعة، وإنما تكون من باب المصالح المرسلة، أي فيها مصلحة للمسلمين، ولم يفعلها النبي ﷺ لعدم المقتضي لذلك، أي المقتضي لهذا هو الخوف على القرآن الكريم بسبب مقتل القراء، وهذا لم يكن موجودا في زمن النبي ﷺ، وكذلك أيضا كان هناك مانع يمنع

النبي ﷺ، وهو أن القرآن لا يزال يزاد فيه وينسخ منه، وزال هذا المانع بوفاته ﷺ.

وسبب الجمعة الأولى التي جمعت في عهد أبي بكر رضي الله عنه أن القتل اشتد بالقراء يوم اليمامة، فأشار عمر رضي الله عنه على أبي بكر أن يجمع القرآن الكريم، فالجمعة الأولى كانت في عهد أبي بكرة بمشورة عمر، والجمعة الثانية كانت في عهد عثمان بمشورة حذيفة.

وقصة الجمعة الأولى رواها البخاري في صحيحه عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: **«أرسل إلى أبي بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني، فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن -بموت هؤلاء القراء الذين يحفظونه- وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هو والله خير -وعمر رضي الله عنه كان ملهما محدثا كما قال النبي ﷺ: «قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ» يلهمهم الله تعالى الصواب- فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر.**

قال زيد: قال أبو بكر رضي الله عنه: إنك شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن، فقلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟! قال أبو بكر: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر.

فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف -وهي التي كتبت فيها القرآن الكريم-وصدور الرجال، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ [التوبة:١٢٨] حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنهم أجمعين».

فكما هو مذكور أن طريقة زيد ﷺ في الجمعة الأولى أنه اشترط أن تكون كل آية من القرآن الكريم قد كتبت في نسختين على الأقل بالإضافة إلى ما في صدور الرجال، فكانت طريقة جمع زيد ﷺ أنه يشترط وجود نسختين مكتوبتين من القرآن الكريم خلف رسول الله ﷺ من إملائه بالإضافة إلى صدور الرجال التي حفظ فيها القرآن، وهو نفسه من حفظة القرآن الكريم.

ومن أسباب اختيار زيد أنه حضر العرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل، فالختمة الأخيرة التي ختمها النبي ﷺ على جبريل كانت في حضور زيد بن ثابت، أجلسه النبي ﷺ يستمع إلى قراءته على جبريل آخر ختمة ختمها النبي ﷺ على جبريل، فكان عالما ﷺ بترتيب القرآن الكريم على آخر ترتيب استقر عليه القرآن الكريم، وبنسخ ما نسخ، وبقاء ما بقي، فكانت هناك حكمة في اختيار زيد بن ثابت ﷺ وأرضاه.

صار زيد يطابق محفوظه من القرآن الكريم، ومحفوظ الصحابة رضي الله عنهم بما في الكتب التي كتبت على عهد رسول الله ﷺ، ويشترط وجود نسختين، فما من آية من كتاب الله تعالى إلا ووجدوا منها نسختين أو أكثر إلا آخر آيتين في سورة براءة، فوجد منهما نسخة واحدة مكتوبة عن خزيمة بن ثابت الأنصاري،

و هناك نسخ محفوظة في الصدور، لكن النسخ المكتوبة لم يجدوا إلا نسخة واحدة، فاستحضر الصحابة حينئذ قول النبي ﷺ: «**شَهَادَةُ خُزَيْمَةَ تَعْدِلُ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ**». فكانت منقبة لخزيمة فقبلوا منه هذه النسخة، وعدوها بشهادة رجلين، فكانت هذه هي الجمعة الأولى.

وورد في روايات الحديث أيضا، فالحديث طبعا له طرق، ومنها أن زيدا كان لا يقبل من أحد شيئا حتى يشهد شاهدان على أنه من القرآن الكريم، وفعل امتثالا لأمر أبي بكر، فقد ورد أن أبا بكر قال لعمر وزيد: «**اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه**».

فالبعض قال: شاهدين أي رجلان يشهدان على أنه من القرآن الكريم وأنهما حضرا تنزيله على عهد رسول الله ﷺ زيادة في التوثيق، فالصحابة رضي الله عنهم سلكوا منهجا في غاية الاحتياط والتحري لصيانة كتاب الله تبارك وتعالى، فكانوا يشترطون حفظ الصدور، ويشترطون وجود نسختين مكتوبتين، ويشترطون وجود شاهدين.

وبعض شراح الحديث قالوا: المراد بالشاهدين الكتابة والحفظ، حتى يشهد شاهدان أي الكتابة والحفظ، فيكون محفوظا في الصدور ومطابقا لما في الكتب، فلو كتابة بدون حفظ لا يقبلوها ولو حفظ بدون كتابة لا يقبلوها، ولا تعارض أنه يشترطون الكتابة والحفظ لأنه قال: وصدور الرجال، والرقاع التي كتب فيها القرآن وتوجد مكتوبة عند اثنين، ويشهد شاهدان، فكل هذا زيادة في التحري، والاحتياط لكتاب الله سبحانه وتعالى، حتى جمع القرآن الكريم كله من أوله لآخره في بيت أبي بكر رضي الله عنه، ثم عند عمر، ثم عند حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها.

أمّا بالنسبة للجمعة الثانية فقد كانت في عهد عثمان بن عفان ﷺ، فقد استعار عثمان ﷺ الكتب أو الرقاع التي كتب فيها القرآن الكريم، وكانت محفوظة ومسلسلة ومرتبة على ترتيبها في بيت حفصة، فاستعارها عثمان ﷺ من حفصة فنسخها ثم ردها إليها، والنسخ الذي وقع في عهد عثمان ﷺ له قصة.

فقصته أن حذيفة بن اليمان ﷺ وأرضاه قدم على عثمان، وهذا أيضا في صحيح البخاري عن أنس ﷺ أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ﷺ وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية، وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فكان حذيفة ﷺ يخرج مع أهل الشام وأهل العراق لغزو أرمينية وأذربيجان، فاختلفوا في القراءة أهل الشام لهم قراءة وأهل العراق لهم قراءة، فاختلفوا فيما بينهم، فقال حذيفة لعثمان: «**أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى**» فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان.

فأمر عثمان أربعةً من الصحابة هم: زيد بن ثابت الأنصاري، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وهذه هي اللجنة التي تولت كتابة المصاحف في عهد عثمان ﷺ، شكلها عثمان من كبار قراء الصحابة وعلمائهم بالقرآن ليكتبوا المصاحف، وكان من ضمنهم زيد بن ثابت الذي قام بالجمعة الأولى، وكانت اللجنة من هؤلاء الأربعة، فنسخوها في المصاحف، وكان اللجنة منها ثلاثة قرشيين، والأنصاري الوحيد هو زيد بن ثابت ﷺ، فقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: «**إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنه إنما نزل بلسانهم**». ففعلوا.

والروايات الأخرى في مزيد تفصيل أنهم لم يختلفوا إلا في حرف واحد، أي هنا على الكتابة التي هي طريقة الإملاء والهجاء والكتابة، فقال لهم: «إذا اختلفتم في كتابة حرف كيف تكتبونه، فاكتبوه على لغة قريش» فلم يختلفوا مع زيد بن ثابت إلا في حرف واحد وهو (التابوت) في سورة البقرة، هل يرسمونه بالتاء أو بالهاء؟ فقال لهم زيد: «على لغة الأنصار» أمرهم زيد على لغة الأنصار أن يرسموه بالهاء، التاء المربوطة حيث يوقف عليه كالتاء المربوطة التي يوقف عليها بالهاء (التابوة).

وقال الرهط القرشيُّون: إنما هي بالتاء أي المفتوحة، فعملا بقول عثمان: «**اكتبوه على لغة قريش**». فكتبوه بالتاء المفتوحة، ولم يختلفوا إلا في هذا الحرف، أي في اختلاف اللغة، حتى إذا نسخوا الصحف من المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة ومصحف أن يحرق.

فورد أيضا هنا في بعض روايات هذا الحديث أنه -سبحان الله- خزيمة بن ثابت له موقف آخر في الجمعة الثانية، ففي الجمعة الثانية أيضا قال زيد: «ففقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف» فعندما جاءوا لنسخ المصحف في عهد عثمان وجد آية من الأحزاب هم يحفظونها ويوقنون أنها من القرآن ولكن لم يجدوها مكتوبة وقتها، فأخذوا يبحثون عنها، قال: «ففقدت آية من الأحزاب حين نسخنا المصحف، قد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها، ولم نجدها مكتوبة، فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري: {**من المؤمنين رجال...**} فألحقناها في المصحف» ووضعوها في الكتبة الثانية. قال الحافظ ابن حجر: «كانت هذه القصة سنة ٢٥ هـ».

كان الحامل على جمع القرآن في عهد عثمان هو اختلاف القراءات، أن أهل الشام وأهل العراق كل منهم يقرأ بقراءة واختلفوا في القراءة، حتى كادوا يكفر بعضهم بعضا بسبب اختلافهم في القراءة.

قالوا هنا إنه قد كان سبب هذا الاختلاف أن بعضهم ربما يحفظ بعض السور المنسوخة أو الآيات المنسوخة، أي قالوا: القرآن الكريم كان فيه بعض السور فنسخت، قالوا: منه سورة الخلع وسورة الحفد، وهما يدعى بهما في دعاء القنوت كدعاء وذكر، قيل: إنهما كانتا من القرآن فنسختا، وبعض الآيات التي نسخت وبعضهم مثلا تلقى القرآن من بعض الصحابة الذين لم يسمعوا بعض الآيات من النبي ﷺ، فأحيانا كانت تنزل آية على النبي ﷺ متأخرا ويؤمر أن يلحقها بعد آية كذا، وقبل آية كذا.

فالفريق الذي يحفظ القرآن الكريم بدون هذه الآية فيفاجأ أن ناسا يقرءون القرآن ويزيدون آية في هذا الموضع، ويعرف التي قبلها والتي بعدها، ولا يحفظ هذه الآية، فيقول: هذه ليست من القرآن، والثاني يقول: هي من القرآن وقرأتها على فلان، فكان اختلافهم ليس فقط مجرد الاختلاف في السائغ في أوجه القراءة، وإنما اختلافا في زيادة ونقصان، فبعض الصحابة مصاحفهم ناقصة، وبعضهم مصاحفه فيها آيات منسوخة، فاختلفوا حتى كادوا يكفر بعضهم بعضا.

فهنا رأى عثمان رضي الله عنه أن يجمع المصاحف على كتابة واحدة، وطريقة واحدة ويحرق ما عداها من المصاحف الناقصة، أو المصاحف التي فيها آيات منسوخة، وفيها آيات ناسخة، فكلها تحرق حتى يتبقى هذه النسخة المتقنة المحكمة التي كتبت منقولة من الصحف التي كتبت خلف رسول الله ﷺ ومطابقة لحفظ

الصحابة، وشهد عليها الشهود، ومطابقة للختمة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل، هذه الختمة التي شهدها زيد بن ثابت، فكانت خالية من المنسوخ، وكانت مرتبة على الترتيب الصحيح، فمصاحف الصحابة قبل جمعة عثمان رضي الله عنه كان يختلف ترتيبها، فبعضهم يقدم سورا ويؤخر سورا، فأحسن عثمان رضي الله عنه الصنع، وكتب المصاحف هذه الكتابة. إذن فكتابة وجمعة أبي بكر رضي الله عنه كانت خشية أن يذهب من القرآن شيء بذهاب حملته، وأما جمع عثمان فكان بسبب كثرة الاختلاف في القراءة الذي أدى إلى تخطئة بعضهم بعضا.

أما عن عدد المصاحف العثمانية، عدد المصاحف التي كتبها عثمان رضي الله عنه وأثر هذه المصاحف في القراءات، فهناك عدة أقوال في عدد المصاحف:

❁ فمن العلماء من قال: كتب عثمان رضي الله عنه أربع نسخ على عدد لجنة كتابة المصحف، كانت من أربعة فقالوا: كل واحد منهم كتب مصحفا، فكانوا أربع نسخ، وبعث إلى الكوفة نسخة، وإلى البصرة أخرى، وإلى الشام ثالثة، وإلى المدينة، وأبقى واحدة في المدينة، وهي المعروفة بالمصحف الإمام.

❁ والقول الآخر: أنها ستة نسخ، هذه النسخ الأربعة، وزيادة عليها نسخة لأهل مكة، ونسخة أخرى في المدينة، فقالوا: المدينة أبقى فيها نسختين، نسخة احتفظ بها عنده في بيته، ونسخة وضعها في المسجد ينسخ الناس منها، ينقل الناس منها، وينسخون منها مصاحفهم، واحتفظ بنسخة عنده لتكون أصلا يرجع إليه، وبعث إلى أهل مكة نسخة، وإلى الكوفة، والبصرة، ودمشق.

❁ وقيل: جعله سبع نسخ، وزادوا على ذلك نسخة إلى البحرين، وقالوا:

كتب نسخة إلى البحرين.

❁ وقيل: إنه كتب نسخة أيضا وبعثها إلى اليمن، وهذا قاله أبو حاتم السجستاني، فهكذا تصبح ثمانية نسخ.

فهذه الأقوال التي وردت في كتابة المصاحف، ومن العلماء من وفق بين هذه الأقوال، فقالوا: لعلها كانت في البداية أربعة، أي أولا كتبوا أربع نسخ في بداية الأمر، ثم بعد ذلك نسخوا من هذه النسخ الأربعة نسخة أخرى لأهل المدينة ونسخة لأهل اليمن، ونسخة لأهل البحرين فلا تعارض بين الروايات، أي قالوا: لعلها كانت أولا أربع نسخ ثم بعد ذلك نسخت النسخ الأخرى منها.

وكان من هدي عثمان ﷺ أنه كان يبعث مع كل مصحف مقرئا من الصحابة يقرئ أهل المصر الذي يرسل إليه المصحف الذي يقرئهم منه، حتى لا يترك الناس يقرءونه بأهوائهم، وإنما يرسل إليهم مقرئا يعلمهم القرآن الكريم، ويقرئهم من هذا المصحف.

وكانت طريقة كتابة المصاحف العثمانية أنها كانت خالية من النقط، ومن التشكيل ومن الألفات، فكانت محتملة لأوجه القراءة المختلفة، فلذلك أرسل مع كل مصحف معلما يعلم قراءة القرآن الكريم على حسب ما تلقى هذا المعلم عن رسول الله ﷺ ويقرئهم بما تلقاه عن رسول الله ﷺ بما يوافق رسم المصحف، وبالقراءة التي تلقاها من رسول الله ﷺ، فكان القراء الذين أرسلهم عثمان ﷺ يعلمون الناس من هذه المصاحف بما يوافق قراءتهم لرسول الله ﷺ.

فكان نسخ المصحف محتملا لأوجه عديدة من القراءات المتلقاة عن رسول

الله ﷺ، فأي قراءة متلقاة عن النبي ﷺ، ويحتملها رسم المصحف وعلمها هؤلاء الصحابة بالإسناد المتصل، فكانت قراءة صحيحة مقبولة، فإذا أدى ذلك إلى تعدد القراءات التي كلها منقولة عن الصحابة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ وموافقة لرسم المصحف الشريف الذي رسمه عثمان رضي الله عنه وأرضاه، وهذا الموضوع له ارتباط بمسألة الأحرف السبعة، والقراءات السبع، وهذا في الدرس القادم إن شاء الله، الكلام عن الأحرف السبعة، وعلاقة الأحرف بالقراءات وعلاقة الأحرف أيضا بالمصاحف العثمانية والرسم العثماني بالمصاحف.

الأَحرُفُ السَّبْعَةُ

رويٰ البُخاريْ مُسنَداً ومُسلِمُ ... دليلَ مَنْ يَقولُ وهْوَ يُعلِمُ
بِأَنَّ في القُرآنِ للمُستَعرِفِ ... لِسَبعَةٍ مَوسُومَةً بالأَحرُفِ
وقد حكَىٰ أبو عبيدٍ ناشِرا ... بِأَنَّها بالِغَةٌ تَواتِرا
والخُلفُ في معنىٰ المرادِ قائمُ ... تكِلُّ عندَ نَظمِهِ العَزائِمُ
وأَقرَبُ الأَقوالُ في الْمُرادِ ... وهْوَ الَّذي قريبُ الاعتِمادِ
بأَنَّهُ سَبعُ لُغاتٍ فيهِ ... ووحِّدِ المَعنىٰ وقدْ يليهِ
مقالُ مَن يقولُ بل معانيْ ... تَفَرَّقَت لأَجلِها الْمَبانِي
فالأوَّلُ الصّحيحُ وهْوَ الأَظهَرُ ... قد قرَّرَ الدَّليلَ فيهِ الأكثَرُ
وإن تُرِد زيادَةَ التَّحريرِ ... تجدْهُ في التَّفسيرِ للجَريرِ
وإن تَشأ مَعرِفَةَ القُرَّاءِ ... فابنُ العَلاءِ ثُمَّةَ الكَسائِيْ
وحَمزَةٌ واليَحصَبِيْ وعاصِمُ ... ونافِعٌ وابن كَثيرٍ عالِمُ
وبعضُهم يزيدُ فوقَ السَّبعَةِ ... ثلاثة من جُملةِ الأئمَّةِ
فهاكهم: يَزيدُ يتلوهُ خَلَف ... وهٰكذا يعقوبُ مِمَّن قد سَلَف
وقُل شُذوذٌ غيرُ تلكَ العَشرِ ... لِما أتىٰ مُبَيِّناً في النَّشرِ

ومَنشَــؤُ اختِلافِهِــم تَنَــوَّعَا وإِنَّــهُ لَظاهِــرٌ لِمَــن وعَىٰ
كالْمَــدِّ والإِدغامِ والأَداءِ والقَــصرِ والإِظهــارِ للقُــرَّاءِ

يقول الناظم: إن البخاري ومسلم رويا بإسناديهما الأدلة على من يقول بأن في القرآن سبعة أحرف، وقوله: (لِلمُستَعرِف) أي لمن طلب أن يتعرف على الشيء، وقوله: القرآن فيه سبعة موسومة، أي موصوفة بأنها أحرف، سبعة أحرف في القرآن الكريم، وجاء دليل ذلك في البخاري وفي مسلم.

وقــد حــكَى أبــو عبيــدٍ نــاشِرا بِأَنَّهــا بالِغَــةٌ تَواتُــرا

أبو عبيدٍ: هو أبو عبيد القاسم بن سلام أحد الأئمة المشهورين المعروفين، حكى أن أحاديث الأحرف السبعة أحاديث متواترة عن النبي ﷺ، فالأحاديث التي ورد فيها أن القرآن الكريم أنزل على سبعة أحرف هذا حديث متواتر رواه جمع غفير من الصحابة رضي الله عنهم منهم عمر وأبي بن كعب وابن مسعود وابن عباس وحذيفة وأبو بكرة وعبادة بن الصامت وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، وعدد كبير من هذه الروايات في صحيحي البخاري ومسلم، فهو حديث متواتر.

والحديث المتواتر هو الذي رواه جمع غفير عن جمع غفير عن مثلهم حتى منتهى الإسناد ويكون منتهى الإسناد إلى حسٍ، أي إلى شيء يقولون فيه: سمعت أو رأيت، أي يحكون شيئا سمعوه أو رأوه وليس شيئا مظنونا، كأن يجتمعوا على رأي من الآراء، إنما اجتمعوا على شيء محسوس أنهم سمعوا النبي ﷺ يقوله أو رأوه يفعله، وأن يرويه جمع غفير يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب، أن يكون هذا الجمع عددا كبيرا جرت العادة أنه لا يمكن أن يتفق هذا العدد على

اختلاق الكذب، فهذا يسمى المتواتر.

إذن التواتر له أربعة شروط:

١. أن يرويه عدد كبير وهذا العدد هناك عدة آراء في تحديده فالعلماء السابقون لم يحددوا حدا، فقالوا: عدد كبير، والعبرة في كثرة هذا العدد بأنه يفيد العلم أو يفيد اليقين أن الناس إذا سمعوا هذا العدد الكبير يحصل لديهم جزم ويقين، لكن بعض العلماء حده فقالوا: عشرة على الأقل في كل طبقة من الطبقات، وبعضهم قالوا: أقل أو أكثر من ذلك.

٢. وأن يستحيل تواطؤهم على الكذب أي هذا العدد بلغ من الكثرة ما يجعلنا نتيقن أنه لا يمكن أن يجتمع هذا العدد كله على اختلاق كذبة، أي يمكن أن يكذب شخص أو يتفق اثنان أو ثلاثة على أن يختلقوا كذبة، لكن لا يمكن أن يجتمع هذا العدد الكبير على اختلاق كذبة.

٣. وأن يستمر هذا العدد في كل الطبقات من بداية الإسناد إلى نهايته.

٤. وأن يكون منتهى الإسناد إلى شيء محسوس، إلى رؤية أو سماع.

فالمهم أن أبا عبيد القاسم بن سلام رحمه الله أحد الأئمة الذين حكوا تواتر أحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف.

قال المؤلف:

والخُلفُ في معنى المرادِ قائمُ تكِلُّ عندَ نَظمِهِ العَزائِمُ

يقول: إن هناك اختلافا كبيرا في المراد بالأحرف السبعة في قول النبي ﷺ:

«**أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ**». فهذا حديث متواتر مقطوع بصحته، ولكن هناك اختلاف في تفسير معنى الأحرف السبعة.

تكِلُّ (أي تتعب) العزائم عند نظم هذا الخلاف، وهذا لأن الأقوال بلغت أربعين قولا تقريبا، فهناك نحو أربعين قولا في معنى الأحرف السبعة، لكن في الحقيقة أنه رغم كثرة الأقوال إلا أنها تندرج في النهاية تحت عدد معين.

فهناك عدة أقوال يجمعها أنّ المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب، لكن تفصيل هذه اللغات، وما هي هذه اللغات؟ هناك عدة أقوال، كل قول يعد سبع لغات ويقول هي اللغات السبعة المقصودة، والقول الآخر يعد سبع لغات أخرى، لكن يمكن أن ندمج هذه الخمسة عشر قولا أو العشرين قولا في أنها ترجع في النهاية إلى أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب، سبع لهجات من هذه القبائل، وإن اختلفت هذه اللغات.

وأَقــرَبُ الأَقــوال في الْمُــرادِ وهْــوَ الَّذي قريــبُ الاعتِمــادِ
بأَنَّــهُ سَــبعُ لُغــاتٍ فيــهِ ووُحِّــدَ المَعــنى.....

فالمؤلف هنا يرجح هذا القول ويصفه بأنه أقرب الأقوال وأنه أقرب الأقوال أن يعتمد عليه. **(ووُحِّدَ المَعنى)** أي سبع لغات مع اتحاد المعنى، أي لغات وتعبيرات مختلفة، لكنها في النهاية تؤدي معنى واحدا وغير متعارض، أو غير مختلف، ومقصوده بسبع لغات أي سبع لهجات من لهجات العرب.

. . . . وقــدْ يليــهِ
مقــالُ مَــن يقــولُ بــل معــانيْ تَفَرَّقَــت لأَجلِهــا الْمَبــانِي

وقوله: (وقدْ يليهِ) أي القول الذي يليه في الصحة هو الذي يقول: على سبع معان (تَفَرَّقَت لأَجلِها الْمَبانِي) أي المراد بسبعة أحرف: هي سبعة أنواع من أنواع المعاني، وهناك عدة أنواع من أنواع الاختلاف في القرآن الكريم.

وفي الحقيقة هناك عدة أقوال ترجع إلى أن المراد بالأحرف السبعة سبعة أنواع من أنواع الاختلافات في النطق أو في التلاوة؛ وذلك لأن كلمة الحرف تأتي في لغة العرب بمعنى: النوع أو القسم، فسبعة أحرف أي سبعة أنواع أو سبعة أقسام، مثل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ﴾ [الحج:١١] معنى على حرف أي على نوع واحد أو على حالة واحدة أو قسم واحد من قسميه أو حالة واحدة من حالتيه، والمراد أنه يعبد الله في حالة الرخاء دون حالة الشدة، فهذا يعبد الله على حرف أي على حالة واحدة، ولا يعبده سبحانه وتعالى في الحالة الأخرى، إذن فالرخاء والشدة حرفان، هنا نستطيع أن نفهم من الآية أن الرخاء والشدة حرفان، أي: نوعان أو حالتان من حالات الإنسان، فالقرآن أنزل على سبعة أحرف، أي: سبعة أنواع من أنواع الاختلافات، أما ما هي هذه الأنواع السبعة؟ فتتفرع عدة أقوال كلها تندرج تحت هذا المعنى، وسنوضحها إن شاء الله.

فـالأوَّلُ الصّحيـحُ وهْـوَ الأَظهَرُ قـد قـرَّرَ الدَّليـل فيـهِ الأكـثَرُ

يقول: إن القول الأول هو القول الصحيح وهو الأظهر، وأكثر العلماء قرروا هذا القول واستدلوا عليه كما يقول المؤلف.

وإن تُـرِد زيـادَة التَّحريـرِ تجـدْهُ في التَّفسـيرِ للجَريـرِ

أي تجده في تفسير الإمام ابن جرير الطبري، فقد فسر المراد بالأحرف السبعة، فيقول المؤلف: إذا أردت زيادة تفصيل يمكنك أن ترجع إلى تفسير ابن جرير الطبري لتعرف المراد بالأحرف السبعة.

المؤلف هنا يتكلم عن الأحرف السبعة وقال: إنه روى البخاري ومسلم أحاديث الأحرف السبعة، وقد ذكرنا أن الأحاديث التي وردت فيها الأحرف السبعة أحاديث متواترة عن النبي ﷺ، وقد رواها جمع غفير من الصحابة رضي الله عنهم، وقالوا: إن هناك أكثر من ثلاثين رواية لأحاديث الأحرف السبعة، نذكر بعضا من هذه الروايات على سبيل التمثيل لتوضح لنا سياق قول النبي ﷺ أن القرآن أنزل على سبعة أحرف؛ لأن سبب ورود الحديث يعين على فهمه، ومن خلال سبب الورود يمكن أن نفهم المراد.

الرواية الأولى: هذه الرواية في صحيح مسلم عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان عند أضاة بني غفار -وهي موضع بالمدينة- فأتاه جبريل عليه السلام فقال: «**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ. قَالَ: فَقُلْتُ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ فَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ فَقُلْتُ: أَسْأَلُ اللهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ فَإِنَّ أُمَّتِي لَا تُطِيقُ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَانِي الثَّالِثَةَ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ**». وتكرر هذا حتى جاء في المرة الرابعة فلما قال النبي ﷺ ذلك قال جبريل عليه السلام: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِئَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَأَيُّمَا حَرْفٍ قَرَءُوا عَلَيْهِ فَقَدْ أَصَابُوا**». وهذه الرواية في صحيح مسلم.

الرواية الثانية: عن أبي بن كعب، وأبي بكرة، وعبادة بن الصامت رضي الله

عن الجميع أن النبي ﷺ قال: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ فَقَعَدَ جِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِي وَمِيكَائِيلُ عَنْ يَسَارِي فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ اقْرَأ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ فَقَالَ مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ -أي اطلب منه الزيادة- فَقَالَ: زِدْنِي، فَقَالَ: اقْرَأْهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرُفٍ، فَقَالَ مِيكَائِيلُ: اسْتَزِدْهُ فَقُلْتُ: زِدْنِي كَذَلِكَ حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ فَقَالَ: اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ كُلُّهَا شَافٍ كَافٍ**».

الرواية الثالثة: (ونقتصر على هذه الروايات الثلاث) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره في الصلاة-أي كدت أن أخرجه من الصلاة-فتربصت حتى سلمت فلببته بردائه-أي لف عليه الرداء وسحبه منه-فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، قال: فقلت: كذبت، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت.

فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله إن سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ: «**اقْرَأْ يَا هِشَام**» فقرأ عليه القراءة التي كنت سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: «**هَكَذَا أُنْزِلَتْ**» ثم قال النبي ﷺ: «**اقْرَأْ يَا عُمَرُ**» قال: فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال ﷺ: «**هَكَذَا أُنْزِلَتْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ**». وهذه الرواية في البخاري ومسلم.

وتوجد رواية أخرى مشابهة أن ابن مسعود وأبي بن كعب اختلفا في قراءة سورة من القرآن فكل منهما قرأها بطريقة تخالف قراءة الآخر، وسأل كل منهما صاحبه:

من أقرأك هذه القراءة؟ قال: أقرأني رسول الله ﷺ، فاحتكما إلى النبي ﷺ فاستمع أيضا إلى قراءة كل منهما وصوبها وقال: «**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ كُلُّهَا كَافٍ شَافٍ، فَاقْرَءُوا كَمَا علمْتُمْ**» أي كل واحد منكم يقرأ كما علم.

استفادوا من هذه الأحاديث: أن الله سبحانه وتعالى أنزل كتابه الكريم على سبعة أحرف، أي على سبعة أنواع من أنواع الاختلافات أو سبع لغات من لغات العرب، أو كيفيات من كيفيات القراءة، وأن النبي ﷺ قرأ بها وأقرأ بها أصحابه، وأنه كان يقرئ بعض أصحابه على حرف، ويقرئ الآخرين على حرف آخر؛ لأن كلا منهما كان يقرأ بكيفية مخالفة لقراءة الآخر، وكل منهما يقول: أقرأني رسول الله ﷺ، فمعناه أن النبي ﷺ أقرأ هذا بكيفية، وأقرأ الآخر بكيفية أخرى؛ لأن النبي ﷺ أنزل عليه بكيفيات متعددة، وعلَّم النبي ﷺ كل صاحب من أصحابه كيفية من هذه الكيفيات أو من هذه الهيئات.

ما المراد بالأحرف السبعة؟

قلنا: إن المسألة فيها أكثر من أربعين قولا لكن أكثرها متداخل، أي يدخل بعضها في بعض، ويمكن أن تندرج الأقوال المشهورة في هذه المسألة تحت قولين كما ذكر الناظم أن أصح قولين في هذه المسألة هما:

١- أن المراد بها هو سبع لغات من لغات العرب: وممن قال بهذا القول سفيان بن عيينة، وعبد الله بن وهب، وابن جرير الطبري، ونصر هذا القول كما قال الناظم، وأبو جعفر الطحاوي، وهذا القول يعتبر قول أكثر العلماء كما ذكر الناظم.

لكن اختلفوا فيما بينهم في تعيين هذه اللغات، فمن أشهر الأقوال في تعيين اللغات السبع قول أبي عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى قال: «هي لغة قريش وهذيل وهوازن وتميم وكنانة وثقيف واليمن». وهذا القول له وزنه لأن الإمام أبا عبيد القاسم بن سلام كان أحد أئمة اللغة وأحد أئمة القراءات في نفس الوقت، فهو عالم بجميع القراءات القرآنية المنقولة عن النبي ﷺ وعالم بلغات العرب، فوازن وقارن ما سمعه وتلقاه من قراءات بما يعلم أنه من لغات العرب، فوجد أن القراءات القرآنية لا تخرج عن هذه اللغات التي ذكرها: قريش وهذيل وهوازن وتميم وكنانة وثقيف واليمن.

وهناك قول آخر، وهو قول أبي حاتم السجستاني، أحد علماء القراءات واللغة، فقوله أيضا له أهميته، قال: «هي لغة الأزد وربيعة وسعد بن بكر وقريش وهذيل وهوازن وتميم».

إذن فهناك بعض اللغات متفق عليها، ولغات مختلف في عدِّها: هل هي من ضمن اللغات التي أنزل عليها القرآن أم لا. وهناك أقوالٌ أخرى متعددة في عدِّ اللغات السبع لكن هذان أهمها.

القول الآخر الذي يقضي بأن المراد بالأحرف السبعة سبعة أوجه من أوجه الاختلاف: قال بهذا ابن قتيبة، وابن الجزري، الفضل الرازي، وجماعة من العلماء، وإن اختلفوا فيما بينهم في تفاصيل عد هذه الأنواع، ومن أصح وأقوى الشروح لهذا القول ما ذكره الإمام ابن الجزري رحمه الله، فقوله أيضا يكتسب أهمية من كونه عالما من أئمة القراءات الكبار، وممن قرأ القرآن الكريم بجميع القراءات المنزلة التي وصلته وقرأ بها وأفنى حياته في قراءتها وإقرائهما فقال

رحمه الله: «إني تتبعت القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها، فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلافات».

فالإمام ابن الجزري قرأ بما في كتاب الكامل للهذلي في القراءات الخمسين على شيوخه، والقراءات التي في كتاب سوق العروس لأبي معشر الطبري فيه ثلاثمائة وخمسون رواية للقرآن الكريم، فقرأ ابن الجزري بالقراءات الصحيحة والقراءات الضعيفة، وقال: إن جميع القراءات التي اطلع عليها لا يخرج اختلافها عن هذه الأنواع السبعة من أنواع الاختلافات.

فرأى الإمام الجزري أن تفسير الحديث سبعة أنواع من أنواع الاختلافات وهي هذه الأنواع الآتية: (سنذكر أحيانا أمثلة من اختلاف القراءات السبعة، وأحيانا أمثلة من القراءات الشواذ).

١-الاختلاف في الحركات لا في الحروف ولا المعنى ولا الصورة

فداخل القراءات السبع من أمثلة هذا النوع من أنواع الاختلاف قراءة ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ [النساء:٣٧] أو (**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخَلِ**). في قراءة حمزة والكسائي، ف (البُخْل) و(البَخَل) قرئ بهما في القراءات السبع، وإذا قارنت بين (البُخْل) و(البَخَل) وجدت أن الاختلاف بينهما في الحركات فقط، لكن المعنى فيهما واحد، وصورتهما في الكتابة واحدة.

٢-الاختلاف في الحركات والمعنى لا في الحروف ولا الصورة

أي اختلاف في الحركات يؤدي إلى تغيير المعنى بدون تغيير الصورة، أي طريقة الكتابة، ومن أمثلته في القراءات السبع ما جاء في قراءة ابن كثير: (**فَتَلَقَّى آدَمَ مِن رَّبِّهِ**

كَلِمَاتٌ فَتَابَ عَلَيْهِ). فهنا (آدمَ) مفعول و(كلماتٌ) فاعل، وبقية القراءات ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة:٣٧] هنا (آدمُ) هو الفاعل، و(كلماتٍ) هي المفعول منصوب بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم، إذن الفرق بين هذين القراءتين اختلافٌ في الحركات واختلافٌ في المعنى مع اتحاد الصورة (الرسم).

و اختلاف المعنى ليس فيه تعارض، وهذا أمر لا بد من التنبيه عليه، وهو أن اختلاف المعنى بين القراءات لا يمكن أن يؤدي إلى التعارض، وإنما هو من باب اختلاف التنوع، أي هذه القراءة تفيد معنى، والقراءة الأخرى تفيد معنى آخر، وكلا المعنيين صحيح فلا يتعارضان، أي هي من باب زيادة المعاني.

فاختلاف القراءات قد يؤدي إلى اختلاف المعنى، ولكنه اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد، أي ليس اختلاف تعارض، ولكن هذه القراءة تفيد معنى، وهذه تفيد معنى آخر، وكلاهما صحيح وليس بينهما تعارض، فآدم تلقى الكلمات أو الكلمات تلقت آدم، معنيان وكلاهما صحيح وليس بينهما تعارض.

٣-الاختلاف في الحروف والمعنى لا في الحركات ولا الصورة

مثاله في القراءات السبع ورد في بعضها قراءة: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ [يونس:٣٠]..، والقراءة الثانية: (**هُنَالِكَ تَتْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ**)

معنى الأولى (**تَبْلُو**): تختبر، أي ترى كلُّ نفسٍ نتيجة وعاقبة ما أسلفت وما قدمت من العمل، (هنالك) أي: يوم القيامة، ف (**تَبْلُو**) بمعنى: تختبر فترى نتيجة ما قدمت.

ومعنى الثانية (**تَتْلُو**): تتبع، يعنى تتبع كل نفس ما أسلفت، أي ما قدمت، فتتبع

ما قدمته، فإن قدمت خيرا لحقها الخير، وإن قدمت شرا لحقها الشر، فكل نفس تابعة لعملها، وما قدمته من خير أو شر.

فهنا الاختلاف في الحروف الباء والتاء، فليس هنا الاختلاف في الحركات، واختلاف في المعنى أيضا فهذه أفادت معنى وهذه أفادت معنى آخر، لكن لا تعارض بينهما، والصورة واحدة في الكتابة؛ لأن الكتابة العثمانية كانوا يرسمون الكلمات بلا تشكيل ولا نقط، فهنا (تبلو) و(تتلو) اتحدت الصورة لكن اختلفت الحروف واختلف المعنى.

٤-الاختلاف في الحروف والصورة لا في الحركات ولا المعنى

أي الاختلاف في الحروف مع تغيير الصورة واتحاد المعنى، ومن أمثلته في القراءات المتواترة: **(الصراط)**، و**(السراط)** فقنبل عن ابن كثير يقرأ السراط بالسين، السين والصاد هناك اختلاف في الصورة، واختلاف في الحرف، وشكل كتابة السين أو صورتها غير كتابة الصاد، ولكن المعنى متحد وليس هناك فرق في المعنى.

٥-الاختلاف في الحروف والمعنى والصورة لا في الحركات.

هنا الاختلاف في الحروف واختلاف في المعنى واختلاف في الصورة، الثلاثة أشياء، ومثاله في القراءات السبع: **(كانوا هم أشد منهم قوة)** في قراءة ابن عامر **(كانوا هم أشد منكم قوة)** منكم بدلا من منهم، فهنا اختلاف في الحروف، هاء أصبحت كاف، واختلاف في المعنى فمنهم غير منكم، فهذه تعود على قوم وهذه تعود على قوم آخرين، و الاختلاف في المعنى بلا تعارض فهم أشد منهم قوة

وأشد منكم قوة، فهذه أفادت معنى، وهذه أفادت معنى، واختلف الصورة فالهاء غير الكاف.

٦-الاختلاف في التقديم والتأخير.

طبعا هذا له أمثلة في القراءات العشرة المتواترة، وهناك أمثلة في الشواذ، ومن أمثلتها في المتواترة قوله تعالى: ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ [التوبة:١١١] أو في قراءة حمزة والكسائي **(فيُقتلون ويَقتلون)** وهذا تقديم وتأخير ولكن مع اتحاد الصورة أو اتحاد الرسم أو الكتابة في القراءات المتواترة، لكن في القراءات الشواذ يحصل أحيانا تقديم وتأخير مع اختلاف الرسم، والقراءات غير المتواترة بعضها صحيح من جهة الإسناد، أي صح عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه كان يقرأ **(وجاءت سكرة الحق بالموت)** بدلا من ﴿سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ [ق:١٩] فهذا تقديم وتأخير. وهناك اختلاف في الكتابة والصورة، ولكن هذا خارج القراءات المتواترة، فالقراءات المتواترة لا تخرج عن الرسم العثماني، وذلك أيضا مثل ما في سورة آل عمران ﴿وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾ [آل عمران:١٩٥] وفي قراءة حمزة والكسائي **(قُتلوا وقاتلوا)** تقديم وتأخير.

٧-الاختلاف في الزيادة والنقصان.

أي زيادة حرف أو نقصانه أو زيادة كلمة أو نقصانها، وهذا أيضا له نماذج في القراءات المتواترة، وله نماذج في القراءات الشواذ، ففي القراءات المتواترة من أمثلتها ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ [البقرة:١٣٢]. في قراءة الكوفيين، وفي قراءة نافع ومن وافقه **(وأَوْصَى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ)**، فهنا زيادة ونقصان للهمزة.

وهناك أيضا زيادة كلمة مثل زيادة (من) ونقصان (من) فزيادة (من) في قراءة ابن كثير مثلا في قوله تعالى: (**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي من تَحْتَهَا الأَنْهَارُ**). وفي غير قراءة ابن كثير ﴿تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [التوبة:١٠٠] بحذف (من) و قراءة ابن كثير موافقة للمصحف العثماني المكي الذي كتبه عثمان رضي الله عنه لأهل مكة، فالصحابة قد كتبوا فيه (من)، وفي المصاحف الأخرى حذفوها منها لأن الصحابة تلقوا عن النبي ﷺ هاتين القراءتين فأثبتوا بعض المصاحف بها، وبعضها بدونها.

ومثلا في قراءة نافع (**فإن الله الغني الحميد**) في سورة الحديد، وفي بقية القراءات ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [الحديد:٢٤] بزيادة (هو)، ومثلا هناك عدة واوات محذوفة في قراءتي نافع وابن عامر، ومثبتة في بقية القراءات مثل (**سَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ**)، (**يقول الذين آمنوا أهؤلاء**) في سورة المائدة، (**الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا**) بحذف الواو في سورة التوبة، ومثلا أيضا في قراءة نافع ومن وافقه حذف الفاء (**وما أصابكم من مصيبة بما كسبت أيديكم**) وفي غيرها بإثبات الفاء ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى:٣٠] بإثبات الفاء، فهذا نوع من أنواع الاختلاف وهو الاختلاف في الزيادة والنقصان.

فالإمام ابن الجزري رحمه الله يرى أن جميع اختلاف القراءات لا يخرج عن هذه الأحرف السبعة.

نأتي هنا إلى مسألة مهمة دائما يتكرر السؤال عنها وهي العلاقة بين الأحرف السبعة، والقراءات السبعة: هل الأحرف السبعة هي القراءات السبعة؟

الجواب: لا، القراءات السبع ليست هي الأحرف السبعة، ولكن هناك علاقة تربط بين القراءات والأحرف، فمن الممكن أن نقول: إن القراءات السبع والعشر وأكثر منها هي جزء من الأحرف السبعة، أي الأحرف السبعة واسعة جدا تشمل القراءات التي وصلتنا، وتشمل غيرها، فالأحرف أشمل وأوسع من القراءات، كيف ذلك؟

لأن القراءات السبع كلها كما رأينا لا تخرج عن هذه الأنواع السبعة من أنواع الاختلافات وهناك القراءات الثلاث المكملة للعشر داخلة في هذه الأحرف السبعة، لأنها لا تخرج عن هذه الأنواع من أنواع الاختلافات التي ذكرناها أو إذا قلنا الأحرف السبعة سبع لغات من لغات العرب، فكل القراءات السبعة والعشرة والأربعة عشرة، وغيرها أيضا كلها لا تخرج عن هذه اللغات السبع من لغات العرب، أو عن هذه الأنواع السبع من أنواع الاختلاف، إذن أيهما أوسع من الآخر؟

بالطبع الأحرف أوسع من القراءات، فالقراءات هي بعض الأحرف أو جزء من الأحرف، والأحرف أعم وأشمل من القراءات.

وبالطبع النبي ﷺ أقرأ الصحابة رضي الله عنهم بقراءات متعددة، وكل صحابي كان له تلاميذ من التابعين قرأوا عليه هذه القراءات، وتعدد القراء من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين، وكل منهم يروي بإسناده عن النبي ﷺ القراءة التي تعلمها، فكان هناك عدد من القراء كبير جدا فأول من اختار سبعة منهم، وسماهم القراء السبعة، وسمى قراءتهم القراءات السبع هو عالم من علماء القرن الثالث الهجري، وهو الإمام ابن مجاهد، ويلقب بمسبع السبعة، وهو أول من

اختار هؤلاء القراء السبعة، وخصهم وميزهم عن بقية معاصريهم من القراء من شيوخهم وزملائهم وأقرانهم.

ولكن في الحقيقة كان هناك قراءات أكثر من هذه السبعة، وحتى ابن مجاهد لما اختار هذه القراءات، وهو قد ألّف كتابا ولا يزال الكتاب مطبوعا ومنتشرا ويروى، واسمه كتاب (السبعة) لابن مجاهد، فذكر في مقدمة كتابه أنه اختار سبعة قراء من القراء المشهورين المعروفين في الأمصار الإسلامية ممن اتفقت الأمة على جلالتهم وإمامتهم في قراءة القرآن الكريم، وصحة روايتهم، فاختار سبعة منهم، وسبب اختياره للعدد سبعة قال ليوافق عدد الأحرف التي أخبر النبي ﷺ أن القرآن أنزل عليها، أي من باب التبرك أن الأحرف التي أنزل عليها القرآن سبعة، فاختار سبعة من القراء.

قالوا: كان ينبغي لو أراد أن يختار أبرز سبعة قراء، فهو تعمد أن يختار هؤلاء القراء السبعة من المدن التي بعث إليها عثمان رضي الله عنه المصاحف، فقد كان هناك قراء في مصر وفي اليمن، لكن هذه المدن يرى ابن مجاهد أن عثمان رضي الله عنه لم يرسل إليها مصاحف لأن المصاحف العثمانية-على رأي ابن مجاهد-أرسلت إلى مكة والمدينة ودمشق والكوفة والبصرة، خمسة أمصار، فقال: إنه سيختار أبرز سبعة أئمة من أئمة القراءات في هذه الأمصار الخمسة.

فقال: إنه كان ينبغي أن يختار من البصرة إمامين وكان أبرز إمامين في البصرة هما أبو عمرو ويعقوب، ولكن قال: لم تكن عندي قراءة يعقوب، فلم يرو قراءة يعقوب بإسناده، فقال: لما لم تكن عندي قراءة يعقوب فاستبدلتها بإيراد ثلاث قراءات من قراءات أهل الكوفة، فاختار ثلاثة قراء من الكوفة وواحدا من البصرة،

وواحدا من مكة، وواحدا من المدينة، وواحدا من دمشق، لكن هو يقول: إنه كان ينبغي على حسب جلالة القراء ومنزلتهم وأهمية قراءتهم كان ينبغي أن يذكر قراءة يعقوب بدلا من الكسائي لكنه لم يكن عنده قراءة يعقوب فذكر قراءة الكسائي بدلا منه. إذن فالاختيار كان مسألة اجتهادية من هذا العالم، وعاب عليه ذلك كثيرٌ من علماء عصره، فبعد أن كتب ابن مجاهد كتاب السبعة لامه وعاتبه على ذلك كثير من العلماء، وأن هذا سيؤدي إلى حصول لبس عند العوام فيحسبون أن هذه القراءات السبع هي المقصودة بالأحرف السبعة، فقالوا: لا ينبغي ولا يليق بك أن تختار سبع قراءات، كان لا بد أن تختار عددا أقل أو أكثر، فكان في عصر ابن مجاهد مجموعة من أئمة القراءات ألفوا كتبا في القراءات الست أو القراءات الثمان اعتراضا على ابن مجاهد، وقالوا: لا ينبغي هذا، وألفوا كتبا في القراءات الست.

- مثل الإمام ابن الخياط، فهذا الإمام له كتاب (الكفاية في القراءات الست).
- وابن غلبون: وهو من معاصري ابن مجاهد، ألف كتاب (التذكرة في القراءات الثمان)، وزاد عليها قراءة يعقوب.
- وألفوا في القراءات العشر والقراءات الثلاثة عشرة.
- والإمام أبو بكر الهُذلي الحافظ الكبير ألّف كتاب (الكامل في القراءات الخمسين).
- وأبو معشر الطبري ألّف (سوق العروس) في ثلاثمائة وخمسين رواية للقرآن الكريم عن النبي ﷺ.

وهنا يأتي السؤال: كيف أن الأحرف سبعة، والقراءات خمسين أو ثلاثمائة وخمسين؟ فمثلا الإمام ابن جرير الطبري كان يقرأ بعشرين قراءة، فالإمام ابن جرير الطبري كان له كتاب ذكر فيه عشرين قراءة يرويها بإسناده، وألّف هو قراءة جمعها من بين القراءات التي عنده.

الجواب هنا أن نقول: إنه لا يوجد كلمة واحدة من كلمات القرآن الكريم تُقرأ بأكثر من سبعة أوجه، أو سبع كيفيات لنطق هذه الكلمة، أي سبع كيفيات أساسية أو رئيسة لنطق هذه الكلمة، بمعنى أن الكلمة الواحدة يمكن أن تقرأ إما بكيفيتين أو ثلاث كيفيات أو أربع كيفيات أو خمس كيفيات عن النبي ﷺ، فالقراءة لا تكون بالرأي ولا بالهوى ولا بالعقل.

فالإمام أبو عمرو مثلا كان من أئمة اللغة، ومن النحاة الكبار، وفي نفس الوقت كان من أئمة القراءات وكان كثيرا ما يقول لطلابه وهو يقرئهم: «لولا أن القراءة لا تجوز بالرأي لقرأت كلمة كذا بكذا» أي: لولا أن القراءة لا تجوز بالرأي ولا بالعقل ولا تجوز إلا بالإسناد لكان من الأوجه الجائزة في اللغة، من الممكن أن نرفع هذا ومن الممكن أن ننصبه، ومن الممكن أن نقرأه بالياء أو نقرأه بالتاء، فالأوجه الجائزة لغة الموافقة لرسم المصحف كثيرة، ولكن ليست كلها منقولة بالإسناد عن النبي ﷺ.

فكانوا لا يقرأون إلا بما تلقوه عن النبي ﷺ، وعنهم نصوص كثيرة في أنهم لا يجيزون القراءة إلا بما تلقي عن النبي ﷺ، وهذا يرد على مزاعم المستشرقين ومن انخدع بهم، فالمستشرقون يزعمون أن سبب نشوء القراءات القرآنية أن المصاحف العثمانية كانت مكتوبة بغير نقط وبغير تشكيل وبغير ألفات،

فاحتملت أن تقرأ بأوجه عديدة، فالعلماء كل واحد اجتهد أن يقرأها بطريقته فتعددت القراءات، وهذا كلام باطل ولا يصح. بل لم يحصل في تاريخ المسلمين أن خرج شخص جوز أن يقرأ القرآن بما يوافق اللغة، ويوافق رسم المصحف، ولو لم يكن منقولا بالإسناد إلا أحد العلماء في بغداد في القرن الرابع اسمه ابن مقسم البغدادي، ادعى أنه يجوز أن يُقرأ القرآن بأي وجه جائز في اللغة العربية، ويوافق رسم المصحف ومعناه صحيح ولو لم يكن متلقى بالإسناد، فقام عليه علماء عصره وقالوا: إن لم يتب من قوله فهو مرتد، وأمروا بقتله إن لم يتب مما قال، ورفع أمره إلى الخليفة فحبسه واستتابه في حضور الفقهاء والعلماء، وتاب من قوله هذا ورجع إلى قول جماعة المسلمين، وندم على هذا، وأفتى العلماء أن من اعتقد هذا فهو مرتد عن الدين -والعياذ بالله- الذي يعتقد أن القرآن يجوز أن يقرأ بالرأي.

إذن فالمسألة لا يكفي فيها مجرد أن يكون الوجه جائزا في اللغة ويوافق الرسم العثماني فيقرأ به، فلا بد من الإسناد إلى الرسول ﷺ.

فالذي حصل أن هؤلاء القراء تلقى عددا من الأوجه عن النبي ﷺ، الأحرف لا تزيد عن سبعة، أي الكلمة الواحدة يمكن أن تُقرأ بوجهين أو ثلاثة أو أربعة،... إلى سبعة لا تزيد على ذلك، وكلها كافٍ شافٍ كما قال النبي ﷺ، فكل قارئ من القراء كان مخيرا أن يختار أي وجه في الكلمة الأولى أو الكلمة الثانية أو الكلمة الثالثة في حدود الأوجه التي يرويها بإسناده.

فمثلا الإمام نافع إمام أهل المدينة شيخ ورش وقالون قرأ على سبعين من التابعين عن شيوخهم من الصحابة بأسانيدهم عن النبي ﷺ فقرأ بوجوه عديدة،

فقد قرأ سبعين ختمة على سبعين تابعي، وكل واحد من هؤلاء له إسناده وله قراءته، فتلقى أوجها عديدة، فالآن نافع أصبح بإمكانه في كل كلمة فيها أوجه متعددة أن يختار وجها منها، فجاء نافع واختار مثلا في سورة الفاتحة بين: (**ملك يوم الدين**) أو (**مالك يوم الدين**) فهو اختار أن يقرأ (**ملك**) بالقصر، ومثلا (**اهدنا الصراط المستقيم**) أو (**اهدنا السراط المستقيم**) أو بالإشمام فهو اختار أن يقرأ (**الصراط**) بالصاد، وهكذا في (**يخدعون**) و(**يخادعون**)، وكذا (**يَكْذِبون**) و(**يُكَذِّبون**) وهكذا، فكل موضع فيه وجهان أو ثلاثة تلقاهم عن النبي ﷺ فله الاختيار فاختار وجها من هذه الأوجه، فمجموع اختيارات القارئ من أول القرآن إلى آخره نسب إليه، وقيل هذه قراءة فلان.

والمتقدمون من العلماء كانوا يسمون القراءات اختيارات، فيقولون مثلا: اختيار نافع، وذلك في الكتب المتقدمة في علماء القرن الثاني والثالث الهجري كانوا كثيرا ما يسمون القراءات السبع بالاختيارات السبعة، ويقولون: قرأ فلان في اختياره، هذا اختيار نافع، وهذا اختيار فلان، فهي عبارة عن اختيارات من بين ما تلقي بالإسناد عن النبي ﷺ من الأوجه الجائزة.

ومن الناحية العقلية: فإن الاحتمالات لتعدد القراءات مرتبطة بموضوع التوافيق والتباديل في الرياضيات فلا نهاية لها: فمثلا لو آية واحدة فيها ثلاث كلمات، فيها احتمالات، فالكلمة الأولى مثلا أنزلت بحرفين لأن السبعة الأحرف ليس شرطا أن كل كلمة تتغير في الأحرف السبعة، فالكلمة الأولى مثلا فيها حرفان عن النبي ﷺ والكلمة الثانية مثلا فيها ثلاثة، والثالثة فيها أربعة، أي الآية فيها ثلاث كلمات مختلف في قراءتها والموضع الأول فيه وجهان والثاني يجوز أن يقرأ بثلاثة أوجه

والموضع الثالث يجوز أن يقرأ بأربعة أوجه، فإذن القراء لهم أن يختاروا، فمن الممكن أن يختار في الكلمة الأولى الوجه رقم ألف أو باء وفي الثانية الوجه رقم ألف أو باء أو جيم فيكون عدد الأوجه المحتملة بضرب ٢× ٣× ٤ فيكون العدد ٢٤، فإذن هذه الآية يمكن أن تقرأ بأربعة وعشرين وجها.

وكذلك الآية التي بعدها مثلا فيها عشرون أو ثلاثون وجها والتي بعدها أكثر ثم أكثر، فمن أول القرآن إلى آخره سيخرج لك أوجه كثيرة جدا لذلك تتعدد القراءات، وداخل القراءات كل قارئ عنه روايتان، فاختاروا روايتين من بين الروايات المتعددة عن القارئ نفسه، وكل راو عنه طرق متعددة، فنحن عندنا مصطلح القراءة والرواية والطريق، ومصطلح الوجه، فالوجه هو الأوجه الاختيارية داخل الطريق الواحد.

أي مثلا عندنا قراءة نافع، أو قراءة عاصم، فكل قراءة من هذه القراءات لها روايات، فنافع مثلا قرأ عليه عدد كبير من الطلاب منهم ورش وقالون وآخرون، فالإمام مالك بن أنس قرأ على نافع المقرئ، وكذلك الليث بن سعد قرأ على نافع، ومن ضمن الروايات التي رواها ابن الجزري رواية الليث عن نافع، ورواية مالك عن نافع القرآن الكريم (ونافع هذا غير نافع المحدث، ومالك يروي عن كليهما)، فهناك روايات متعددة فاختاروا من بين هذه القراءات رواية ورش ورواية قالون، وبينهما اختلافات كثيرة، فقالون نفسه عنه طرق (تلاميذ قالون)، فهناك مثلا طريق الحلواني وطريق أبي نشيط، وداخل الطريق الواحد من الممكن أن يكون هناك عدة أوجه جائزة، فتتعدد القراءات.

فعندنا القراءات المتواترة عشرة، وكل قراءة لها روايتان، فهكذا عشرون رواية،

وكل روايةٍ لها طريقان على الأقل، و الطرق عديدة، ولكن الطرق الرئيسة على الأقل طريقان أو أربعة طرق، وتتفرع هذه الطرق بعد ذلك إلى فروع عديدة، لكن في النهاية كلها لن تخرج عن الأحرف السبعة، فكلها عبارة عن اختيارات، أي لو أن نافعا قرأ بأوجه عديدة، فأقرأ طلابه بعدد من الأوجه وواحد منهم اختار بعض الأوجه والثاني اختار بعض الأوجه وهكذا، فتتعدد القراءات والروايات، لكنها في النهاية لا تخرج عن حدود الأحرف السبعة التي أنزل بها القرآن الكريم. بقي أن نتكلم عن العلاقة بين رسم المصاحف والقراءات وكذلك بين رسم المصاحف والأحرف، وكذلك نبذة عن القراء العشرة، وما يتعلق بذلك.

أما بالنسبة لرسم المصاحف العثمانية: فقد ذكرنا أن عثمان بن عفان أمير المؤمنين، ذا النورين ﷺ جمع المصاحف وكتبها وشكل لجنة من حفاظ الصحابة ليكتبوا المصاحف، وكتب عددا من النسخ، وبعضهم قال: إنه كتب أربع نسخ، وبعضهم قال: خمسة، وبعضهم قال: ستة، وبعضهم قال: سبعة، وبعضهم قال: ثمانية، وهذا أكثر ما قيل في عدد المصاحف.

والذين قالوا: (أربعة) فقد قالوا: لأن اللجنة التي شكلت كانت من أربعة، فكل واحد منهم كتب مصحفا، ويحتمل أن هذه الأربعة كانت هي الأصل ثم بعد ذلك نسخوا منها مصاحف أخرى.

وعلى كل حال إن عثمان ﷺ أرسل نسخة إلى أهل مكة، ونسخة إلى أهل دمشق، وإلى أهل الكوفة، وإلى أهل البصرة، وأبقى بالمدينة نسختين نسخة لنفسه احتفظ بها عنده، ونسخة جعلها في المسجد نسخ الناس منها، ثم ورد بعد ذلك أنه أرسل نسخة إلى اليمن ونسخة إلى البحرين، ثم إن الناس تناسخوا من

هذه المصاحف، أي كل نسخة كان عثمان ﷺ يرسل معها معلما يعلم الناس القرآن ويقرئهم من هذه النسخ، والناس أخذوا يكتبون منها، أي كانت النسخ توضع في المسجد تحت إشراف معلم من الصحابة، ويتناسخ الناس هذه النسخ، وينقلوا منها، فانتشرت نسخ المصحف الشريف.

وكلمة المصحف العثماني تطلق على أي نسخة من هذه النسخ التي كتبها عثمان ﷺ أو كتبت بأمره، فكل واحدة منها يقال عنها المصحف العثماني، فالمصحف العثماني جنس يشمل المصاحف العثمانية، (أل) هنا تفيد الجنس فتعمَّ جميع النسخ التي كتبت بأمر عثمان ﷺ، فالمصحف العثماني أي جنس المصحف العثماني أو المصاحف العثمانية، وهي ليست مصحفا واحدا وإنما هي أكثر من مصحف، فكتبت هذه المصاحف العثمانية، وتميزت بما يأتي:

أولا: أنها أهملت ما نُسخ تلاوته، ولم يستقر في العرضة الأخيرة: والنسخ إما نسخ ألفاظ (نسخ التلاوة)، أو نسخ الأحكام، فكل ما نسخت تلاوته فإنه لم يكتب؛ لأنه كانت توجد بعض المصاحف في يد الصحابة رضي الله عنهم، فيها بعض الآيات المنسوخة أو السور المنسوخة، فكانت لا تزال باقية في يد الصحابة، فعثمان ﷺ راعى هذا الأمر، وكلفت اللجنة التي كتبت المصحف أن تحذف ما نسخت تلاوته وأن تبقي ما استقر عليه القرآن في العرضة الأخيرة، وكذلك أيضا أن تتوفر في هذه المصاحف العثمانية ترتيب الآيات والسور كترتيب العرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل عليه السلام.

والمصحف الحالي فيه بعض ما نسخ حكمه وبقي رسمه أو لفظه، فالذي حذف من المصحف هو ما نسخ لفظه فقط، وليس ما نسخ حكمه.

والنسخ ثلاثة أنواع: نسخ الحكم مع بقاء الرسم، ونسخ الرسم مع بقاء الحكم، ونسخ الحكم والرسم جميعا، فنأخذها نوعا نوعا:

١-نسخ الرسم مع بقاء الحكم: هذا من أمثلته (**خمس رضعات معلومات يحرمن**) فلا توجد آية الآن بهذا اللفظ، لكن هذا الحكم باقٍ أن خمس رضعات معلومات يحرمن، وهذه كانت آية من القرآن قد نسخ لفظها وبقي حكمها، كذلك: (**والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم**) هذه كانت آية في القرآن نسخ لفظها وبقي حكمها.

ففي صحيح البخاري أن عمر ﷺ خطب على المنبر وقال: «**أيها الناس إن الله تعالى أنزل آية الرجم فتلوناها ووعيناها (والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم) ثم إن الله تعالى رفعها، وإن رسول الله ﷺ رجم ورجمنا معه، ألا لا يقولن قائل: إن الرجم ليس في كتاب الله**». وبين لهم أن الرجم نسخ لفظه لكن حكمه باقٍ وإن رسول الله ﷺ رجم بعد أن رفعت آية الرجم، وأن حكم الرجم باقٍ إلى قيام الساعة، وأكد على ذلك عمر ﷺ، فاللفظ رفع ولكن الحكم بقي، وهذا النوع هو حذفه عثمان وهو ما نسخ لفظه.

٢-هو ما نسخ لفظه وحكمه: وهذا بالطبع أيضا رُفع من المصاحف، مثل (**عشر رضعات معلومات يحرمن**) هذه كانت أولا فقد قالت عائشة ﷺ: «**كان فيما أنزل الله من القرآن (عشر رضعات معلومات يحرمن) ثم نسخن ب (خمس رضعات معلومات يحرمن)**». فالأولى قد نسخ لفظها وحكمها، والثانية قد نسخ لفظها وبقي حكمها.

٣-نسخ الحكم مع بقاء الرسم: فهذا ما يزال باقيا في المصاحف، وهذا مثل قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾[البقرة:١٨٤] في قول جماعة من الصحابة رضي الله عنهم أن المراد بهذه الآية تخيير القادرين على الصيام بين الصيام والإطعام **(وعلى الذين يطيقونه)** أي يقدرون على صوم رمضان أن يطعموا مسكينا ويفطروا إذا شاءوا، فهذا الحكم تغير لكن الرسم باقٍ إلى وقتنا هذا، لكن الحكم رفع.

ومثل قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ﴾[الأنفال: ٦٥]. فوجوب المصابرة لعشرة الأمثال، فإذا كان الجيش المسلم الأعداء هو عشرة أمثاله يجب عليهم أن يصبروا ويحرم عليهم الفرار أو الانهزام، وقد كان هذا في أول الأمر ثم نسخ هذا الحكم بوجوب مصابرة المثلين فقط وذلك في الآية التي بعدها: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال:٦٦].

وكذلك مما نسخ حكمه وبقي رسمه الآيات التي في آخر سورة البقرة: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾[البقرة: ٢٨٤]. لما نزلت هذه الآية أشفق الصحابة على أنفسهم وقالوا: الآن لو حدثنا أنفسنا بشيء محرم نحاسب عليه فقال: «**قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا**» فقالوا: سمعنا وأطعنا، فنسخها الله تعالى بالآية التي بعدها ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]. ورفع هذا الحكم وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ أَوْ تَعْمَلْ بِهِ**».

وفي الآية الأخرى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١٨٠]. وقد بقيت

تلاوة هذه الآية ورسمها إلا أنه قد نسخ الحكم فلا وصية لوارث، فلا يجوز أن يوصي الإنسان لوالديه وهي وصية باطلة، ولا أن يوصي لأقاربه من الورثة، وإنما يجوز أن يوصي لغير الورثة.

فالمصحف العثماني خلا مما نسخ لفظه (نسخت تلاوته)، ورتبت المصاحف العثمانية على ترتيب العرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل لأن جمعة أبي بكر التي كانت في عهده رضي الله عنه كان فيها ترتيب الآيات، فكانت الآيات مرتبة، لكن كل سورة على حدة، وليس هناك ترتيب للسور، أما عثمان رضي الله عنه فرتب السور على ترتيب الختمة الأخيرة التي ختمها النبي ﷺ على جبريل.

ثانيا: من مزايا المصحف العثماني أن المصاحف كتبت بطريقة تجمع القراءات القرآنية والأحرف التي أنزل عليها القرآن الكريم، فهنا تأتي علاقة الرسم العثماني بالقراءات القرآنية أن القراءات كانت توجه الصحابة رضي الله عنهم حين رسم المصحف، فكانوا يحاولون أن يرسموا المصاحف بطريقة تجمع القراءات المختلفة، وذلك لأن الرسم العثماني كان مجردا من النقط والتشكيل والألفات، فكان من السهولة أن تجمع القراءات المتعددة في رسم واحد، وذلك مثل: (**ملك يوم الدين**)، و(**مالك يوم الدين**) فرسموا النسخ كلها ميم لام كاف، فهذه يمكن أن تقرأها (**مالك**) تقديرا أو (**ملك**) تحقيقا.

والمواضع التي اختلف فيها القراء في قراءة (**إبراهيم**) أو (**إبراهام**)، رسموها ألف باء راء هاء ميم (ابرهم)، فالهاء ميم هذه تحتمل أن تقرأها إبراهام أو إبراهيم، إما أن تضبطها بوضع ألف صغيرة أو ياء صغيرة، لكن المواضع التي لم يتلقوها عن النبي ﷺ إلا إبراهيم هذه رسموها بالياء، فتجد إبراهيم في رسم المصحف مرات

يرسم بالياء، هاء ياء ميم، ومرات يرسمونه هاء ميم فقط، فالمواضع المرسومة بالهاء ميم بدون ياء ولا ألف، هذه تلقيت عن النبي ﷺ (إبراهام) و(إبراهيم)، فرسموها برسم يجمعهما.

كذلك في نحو: (**قال**) أو (**قل**) فهذه رسموها قاف لام، لأن قاف لام هذه يمكن أن تقرأها قل أو قال، لكن المواضع التي تلقيت (قال) فقط ليس فيها اختلاف، فرسموها (قال) قاف ألف لام، فاللفظ الواحد كانوا يرسمونه أحيانا بصفة، وأحيانا بصفة ليراعوا اختلاف القراءات القرآنية، والألفات الممالة كانوا يرسمونها بصورة الياء بحيث يمكن أنها تقرأ ألفا أو تقرأ ممالة لتشمل اللغتين.

إذن فالقراءات تلقاها الصحابة رضي الله عنهم عن النبي ﷺ، ووجّهتهم في رسم المصحف، فكانوا إذا استطاعوا أن يجمعوا القراءات في رسم واحد رسموا المصاحف كلها برسم واحد، لكن أحيانا لا يمكن جمع القراءات في رسم واحد، فكانوا يرسمون بعض النسخ برسم، وبعضها برسم آخر.

فمثلا ﴿**وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا**﴾ [الشمس:١٥] (**فلا يخاف عقباها**) فالواو والفاء هنا لا يمكن أن ترسم برسم واحد فرسموا بعض المصاحف (**ولا**) وبعضها (**فلا**)، ومثلا الواوات التي أثبتت في بعض القراءات وحذفت في بعضها مثل (**سارعوا إلى مغفرة من ربكم**). (**الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا**). بحذف الواو فقد رسموا بعض المصاحف بالواو وبعضها بدون واو، (**جنات تجري تحتها الأنهار**) أو (**من تحتها الأنهار**)، (**إن الله الغني الحميد**) أو (**إن الله هو الغني الحميد**) فقد رسموا بعض المصاحف هكذا وبعض المصاحف هكذا.

لذلك من شروط قبول القراءة، أن توافق مصحفا من المصاحف العثمانية ولو تقديرا أي توافق الرسم العثماني ولو تقديرا بوجه من الوجوه، فكل القراءات المقبولة لا بد أن تكون موافقة لرسم أحد المصاحف العثمانية، فالصحابة رضي الله عنهم كتبوا بعض المصاحف على قراءة، وبعضها على قراءة إذا لم يمكنهم أن يجمعوا القراءات في رسم واحد.

إذن بهذا نعلم أن ما ذكره بعض المستشرقين كالمستشرق اليهودي المجري جولد زيهر، ومستشرق آخر اسمه آرثر جفري وتبعهم بعض الجاهلين، ادعوا أن نشأة القراءات كانت بسبب أن المصاحف كتبها الصحابة رضي الله عنهم بدون نقط وبدون تشكيل، فاحتملت أوجها متعددة من القراءة، فكل واحد قرأ بهواه حسب ما يحلو له فتعددت القراءات، وهذا بالطبع كلام باطل، ولا أساس له من الصحة، والعكس هو الصحيح أن الصحابة تعمدوا كتابة المصاحف بما يوافق القراءات وأن علماء الإسلام أجمعوا على حرمة قراءة القرآن بما يوافق المصحف إذا لم يكن متلقى بالسند الثابت عن رسول الله ﷺ.

فالقراءات هي الأصل، وهي التي وجهت الصحابة رضي الله عنهم ليكتبوا المصاحف بما يوافق ما تلقوه عن النبي ﷺ من القراءات.

وبالنسبة لمسألة العلاقة بين الأحرف السبعة، ورسم المصحف:

هل عثمان رضي الله عنه رسم المصاحف بما يوافق الأحرف السبعة كلها، أو بما يوافق حرفا واحدا منها، أو بما يوافق بعضها؟

فهنا تعددت الآراء في الحقيقة، فبعض العلماء قال: إن المصاحف جمعت

الأحرف السبعة كلها، وحجة هؤلاء قالوا: إن هذه الأحرف مما أنزله الله تعالى، والأمة لا يجوز لها أن تفرط في حرف منها؛ لأن كل حرف من هذه الأحرف هو مما أنزله الله تعالى وكما أنه لا يجوز للمسلمين أن يتركوا حرفا من الحروف الهجائية من كتاب الله وكلمة من كتاب الله فلا يمكن أن يتركوا حرفا من الأحرف التي أنزل عليها القرآن، فذهب فريق من العلماء إلى أن الرسم العثماني جمع الأحرف السبعة المنزلة كلها.

و سيواجههم مشكلة، وهي أنه توجد بعض القراءات الصحيحة من جهة الإسناد التي تخالف رسم المصحف العثماني فهذه القراءات صحيحة الإسناد بالتأكيد أنها من الأحرف السبعة التي أنزل عليها القرآن، ومع ذلك نجد أنها لا توافق رسم المصحف العثماني.

ومثال ذلك ما جاء في صحيح البخاري وغيره، عن أبي الدرداء ﷺ أنه قال لعلقمة -تلميذ ابن مسعود-وبعض أصحاب ابن مسعود: «**كيف كان عبد الله يقرئكم هذه السورة ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ [الليل:١]؟ فقالوا: (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى) بحذف ﴿وَمَا خَلَقَ﴾ [الأعراف:١٨٥] فقال أبو الدرداء: هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ، وهؤلاء يريدونني أن أقرأها ﴿وَمَا خَلَقَ﴾ [الأعراف:١٨٥] ولا أدع ما أقرأني رسول الله ﷺ، وكان عثمان قد أعطاه نسخة من المصحف وبعثه بها وأمره أن يقرئ الناس منها، فإذا فيها ﴿وَمَا خَلَقَ﴾ [الأعراف:١٨٥] وهو لم يسمعها من النبي ﷺ بإثبات هذا اللفظ. فسأل أصحاب ابن مسعود فأكدوا له أن ابن مسعود كذلك كان يقرؤها (والذكر والأنثى)**».

فإذًا هذا ثابت في صحيح البخاري أن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم أقرأهم

النبي ﷺ (**والذكر والأنثى**) بحذف ﴿وَمَا خَلَقَ﴾ [الأعراف:١٨٥]، و الصحابة الذين كتبوا المصحف كتبوه وفق ما تلقوه من النبي ﷺ، ومن إملاء رسول الله ﷺ عليهم ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل:٣] فتلك القراءتين من جهة الإسناد ثابتتان، لكن إحداهما وافقت رسم المصحف، والأخرى لم توافقه، والقراءة التي تخالف رسم المصحف حتى ولو كان إسنادها ثابتا، وهي مروية في صحيح البخاري بإسناده فإنها تعد من القراءات الشاذة التي لا يقرأ بها رغم صحة إسنادها، لأنها خالفت رسم المصحف.

فهنا الفريق الذي يقول: إن مصحف الرسم العثماني شمل الأحرف كلها، فكيف يجيبون على هذا الإشكال، وما شابهه، فهناك قراءات كثيرة ثابتة لكنها مخالفة لرسم المصحف.

فأجابوا عن ذلك قالوا: إن هذه القراءات مما نسخ، أي قالوا: هي صحيح من الأحرف السبعة التي نسخت، واعتبروا العرضة الأخيرة وهي الختمة الأخيرة التي ختمها النبي ﷺ على جبريل عليه السلام وحضرها زيد بن ثابت وكتب المصحف بما يوافقها، فهذا ما استقر عليه القرآن، فقالوا: هذا يعتبر من الأحرف المنسوخة، والحرف الثابت الذي استقر عليه الأمر هو بهذه الصيغة ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل:٣] في هذا الموضع، إذن قالوا: هو مشتمل على كل الأحرف السبعة عدا ما نسخ منها، وأي شيء يخالف رسم المصحف فيقولون: هو مما نسخ، وكل ما بقي فهو ثابت في الرسم العثماني.

وهناك رأي آخر يقابله: وفيه أن الرسم العثماني كله عبارة عن حرف واحد: وخاصة من يقولون: إن الأحرف السبعة هي سبع لغات من لغات العرب،

فيقولون: المصحف العثماني كتب على لغة قريش، وعلى حرف واحد فقط من الأحرف السبعة، وكيف يجيبون عن مسألة أن كيف الصحابة يتركون شيئا أنزله الله تعالى، وهذه الأحرف أنزلها الله، فكيف يهملونها ويتركونها، ولا ينقلونها لمن بعدهم؟ فيجيبون ويقولون: هي مما خُيرت فيه الأمة، وكان هذا من باب اختلاف التنوع، وقال ﷺ: «**كُلُّهَا كَافٍ شَافٍ**» فكانت الأمة مخيرة ومن حقهم أن يختاروا شيئا منها ويثبتوه، ورأوا المصلحة في اختيار حرف منها.

وهناك رأي توسط في هذا قالوا: إن عثمان رضي الله عنه قصد كتابة المصحف على حرف واحد، ولكن رسمه احتمل بعض ما في الأحرف الأخرى، فكل ما وافق رسم المصحف من الأحرف الأخرى جازت القراءة به وأقرأ به الصحابة رضي الله عنهم، وتركوا من الأحرف الأخرى ما يخالف رسم المصحف.

أي مثلا إذا قلنا مثلا مسألة التقديم والتأخير، فما كان من التقديم والتأخير يحتمله الرسم مثل (**يُقتلون ويَقتلون**) أو (**قُتلوا وقاتلوا**) والقراءة الأخرى (**يَقتلون ويُقتلون**) (**قاتلوا وقُتلوا**) فهذا من التقديم والتأخير الذي احتمله الرسم، فهذا من الأحرف السبعة، ويحتمله الرسم فقرئ به، أي الحرفان قرئ بهما، فهو كتبه يقصد به حرفا واحدا ولكن كان محتملا لبعض ما في الأحرف الأخرى فقرئ به.

وأما ما كان في الأحرف الأخرى لا يحتمله رسم المصحف فهذا ترك، أي قالوا: هو تركه على حرف، ولكنه كان محتملا لبعض ما في الأحرف الأخرى، فإذا يصبح المصحف العثماني مشتملا على بعض الأحرف السبعة، وهو كل ما في الأحرف الأخرى مما لا يخالف رسم المصحف فهذا يقرأ به واشتمل عليه الرسم، وأما ما كان في الأحرف الأخرى، ولا يشتمل عليه الرسم، فهذا تركوه،

فمثلا قراءة أبي بكر (**وجاءت سكرة الحق بالموت**) فهذا مثلا من الأحرف السبعة، ولكنه يخالف الرسم فترك.

وعلى كل حال هذه الأقوال في مسألة المصحف العثماني هل اشتمل على كل الأحرف أو اشتمل على حرف واحد أو اشتمل على بعض ما في الأحرف السبعة، أي أكثر من حرف ولكن ليس كل الأحرف السبعة، أي اشتمل على أكثر من حرف، وهو ما احتمله من الأحرف الأخرى فكلها باقية.

وبالنسبة للمصاحف الآن المتداولة المطبوعة في البلاد الإسلامية، فطبعا حسب الرواية التي كتبت بها، أي المصاحف التي كتبت وفق رواية حفص عن عاصم فهذه مطابقة للمصحف الكوفي الذي بعثه عثمان ﷺ إلى الكوفة، فكل قراءات أهل الكوفة مصاحفهم مطابقة للمصحف الكوفي، وحفص كان كوفيًّا وقراءته قراءة أهل الكوفة، فتجد حتى في التعريف بالمصحف يقولون: إن هذا مطابق لرسم المصحف الكوفي، و المصاحف موجودة، المصاحف القديمة لا تزال مخطوطة، وينسخون منها، وهناك علماء الرسم الذين نقلوا إلينا رسم المصاحف الكوفية عمن شاهدها، وشاهد المصحف العثماني ونقل إلينا ضبطه ورسمه.

لكن المصاحف المطبوعة في بلاد المغرب العربي وفق رواية ورش عن نافع أو قالون عن نافع، فهذه توافق رسم المصحف المدني، فتجد قراءات أهل المدينة توافق رسم المصحف المدني، فتجد مثلا فيها (**فلا يخاف عقباها**) وحذف الواو من (**سارعوا إلى مغفرة**) وهكذا حذف (هو) في قوله (**إن الله الغني الحميد**) فتجدها مصاحفهم مطابقة لرسم المصحف المدني.

وأهل السودان والصومال تجد عندهم مصاحف برواية الدوري عن أبي عمرو مطابقة لرسم المصحف البصري، فلا تزال مصاحفهم على رسم المصحف البصري في شرق إفريقيا والسودان والصومال.

بالنسبة لمسألة المصحف العثماني وهل رسمه توقيفي أم لا؟

فالصواب والذي عليه جماهير العلماء سلفا وخلفا: أن رسم المصحف العثماني توقيفي واجب الاتباع، قالوا: لأن عثمان نسخ مصاحفه من صحف أبي بكر، وصحف أبي بكر مكتوبة من الصحف التي أملاها رسول الله ﷺ وأقرها، فيجب المحافظة على هذا الرسم، ولأن رسم المصحف العثماني مشتمل على القراءات الثابتة، وإذا رسم بطريقة الإملاء الحديث فإن هذا لا يشتمل على القراءات ويؤدي إلى خلل في الوقوف، فهناك كلمات مرسومة بالتاء يوقف عليها بالتاء مثل (**رحمت**)، ومواضع أخرى (**رحمة**) ومواضع مثلا (**امرأة**)، ومواضع أخرى (**امرأت**) و عند الوقوف على رواية حفص مثلا فإنَّ ما رسم بالتاء المفتوحة يوقف عليه بالتاء، أما ما رسم بالتاء المربوطة فيوقف عليها بالهاء، وكذلك في المواضع الموصولة، فلو كلمتان موصولتان في الرسم فلا يجوز فصلهما بأن يوقف على الأولى.

فلو خالفنا الرسم فإن هذا يؤدي إلى الوقف على ما لا يجوز الوقف عليه، أو الوقف بالهاء على ما يجب الوقف عليه بالتاء، ويؤدي إلى الإخلال بالقراءات القرآنية، ثم إن قواعد الإملاء الحديث تغيرت وتطورت عبر العصور، وطرأت عليها تعديلات عديدة، فإذا انفتح المجال للتعديل في رسم المصحف وفق قواعد الإملاء فإن هذا سيؤدي إلى اللحن والخطأ في كتاب الله تعالى، وأن يوجد

مصحف لا يُدرى كيف يقرأ، وهل يقرأ على أي مذهب في الإملاء أو أي طريقة في الإملاء!

فالخلاصة أنه يجب التقيد عند رسم المصاحف بأن ترسم كما رسمها الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم، لكن إذا كان مثلا استشهاد بآية أو جزء من آية في مقالة أو في كتاب، فلا مانع من أن ترسم بالرسم الإملائي، ولكن إذا كتب مصحف كامل فيجب أن يتقيد فيه برسم المصحف العثماني.

القراءات والقراء

و إن تَشـأ مَعرِفَـةَ القُـرَّاءِ فابـنُ العَـلاءِ ثُمَّـةَ الكَسـائِيْ
و حَمـزَةٌ و اليَحصَـبِيْ و عاصِـمُ و نافِـعٌ و ابـنُ كَثـيرٍ عالِـمُ
وبعضُهـم يزيـدُ فـوقَ السَّـبعَةِ ثلاثـةً مـن جُملـةِ الأئمَّـةِ
فهاكهـم: يَزيـدُ يتلـوهُ خَلَـف و هكذا يعقوبُ مِمَّن قد سَلَف
و قُـل شُـذوذٌ غـيرُ تلـكَ العَشرِ لِمـا أتى مُبَيِّنـا في النَّـشرِ
و مَنشَـؤُ اختِلافِهِـم تَنَـوَّعَا و إنَّـهُ لَظاهِـرٌ لِمَـن وعَى
كالْمَـدِّ و الإدغامِ و الأَداءِ والقَصرِ والإظهارِ للقُرَّاءِ (ثُمَّةَ)

بمعنى: ثُمَّ العاطفة؛ لأن العرب أحيانا تزيد التاء في (ثُمَّ)، فيقولون: (ثُمَّةَ).

فمعنى البيت: إذا أردت أن تعرف القراء السبعة، فهم ابن العلاء وهو أبو عمرو بن العلاء، ثم الكسائي.

وحَمـزَةٌ واليَحصَـبِيْ وعاصِـمُ ونافِـعٌ وابـنُ كَثـيرٍ عالِـمُ

واليحصبي وهو ابن عامر اليحصبي فهؤلاء هم القراء السبعة.

وبعضُهـم يزيـدُ فـوقَ السَّـبعَةِ ثلاثـةً مـن جُملـةِ الأئمَّـةِ

يقول: إن بعض العلماء يزيد على القراء السبعة ثلاثة آخرين، وهم من جملة الأئمة فيصبح القراء عشرة.

فَهَاكَهُم: يَزيدُ يتلوهُ خَلَف مِمَّن وهكذا سَيعقَفوبُ

(فَهَاكَهُم) أي خذهم، خذ هؤلاء القراء.

(يَزيدُ) هو أبو جعفر يزيد بن القعقاع، واشتهر بكنيته أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني، و(خَلَف) هو خلف بن هشام البزار.

وقُل شُذوذٌ غيرُ تلكَ العَشرِ لِما أتى مُبَيِّنا في النَّشرِ

أي بهذا أن أي قراءات غير هذه القراءات العشرة فهي قراءات شاذة، فالقراءات العشر يقال عنها القراءات المتواترة، وما عداها من القراءات تسمى القراءات الشاذة.

ومَنشَؤُ اختِلافِهِم تَنَوَّعَا وإِنَّهُ لَظاهِرٌ لِمَن وعَى

كالْمَدِّ والإِدغامِ والأَداءِ والقَصرِ والإِظهارِ للقُرَّاءِ

يقول المؤلف عن منشأ اختلاف القراء: إنه قد تنوع سبب اختلافهم، فاختلفوا في أشياء متعددة ومتنوعة، ومنها اختلافهم في المد: مقادير المدود، واختلافهم في الإدغام: ما يدغم وما يظهر، واختلافهم في الأداء: كيفية تأدية الكلمات، أي كيفية النطق بها: مثلا بالإمالة أو بالفتح أو التفخيم أو الترقيق، فكل هذا يدخل في كيفة تأدية الكلمات، واختلافهم في القصر وعدمه أو في الإظهار وعدمه، فهنا المؤلف ضرب أمثلة لبعض أنواع أو أسباب الاختلاف بين القراء.

القراء العشرة:

- فأول القراء العشرة هو **نافع** واسمه أبو رويم نافع بن عبد الرحمن بن أبي

نعيم الليثي مولاهم، ومولاهم أي كان مولى لبني ليث أو لقبيلة ليث، الأصبهاني المدني، أي أصله من أصبهان، وهو إمام أهل المدينة، قد كان إمام أهل المدينة في القراءة رحمه الله تعالى وكان أسود اللون وكان من أصبهان، وجلس يقرئ الناس في مسجد رسول الله ﷺ أكثر من سبعين سنة، ولد رحمه الله سنة سبعين من الهجرة، وتوفي سنة تسعٍ وستين ومائة (١٦٩هـ) وله من العمر تسعٌ وتسعون سنة.

قرأ على سبعين من التابعين، منهم: أبو جعفر يزيد بن القعقاع، وهو أحد القراء العشرة، فهو شيخ نافع، وهو أحد القراء العشرة، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري، وشيبة بن نِصَاح، ويزيد بن رومان، فهؤلاء أبرز شيوخه الخمسة رحمهم الله تعالى.

ومن تلاميذه: **ورش وقالون**، وهما أشهر الرواة عنه، ومنهم أبو عمرو الذي هو أحد القراء السبعة، وهو تلميذ نافع أيضا، ومنهم مالك بن أنس والليث بن سعد الإمامان الجليلان، كل واحد منهما قرأ على نافع، ونافع هذا غير نافع مولى ابن عمر، فهناك نافع المحدث ونافع المقرئ، وكلاهما شيخ لمالك، أي الإمام مالك قرأ على نافع المقرئ وتلقى الحديث عن نافع المحدث.

ومن ثناء العلماء عليه وعلى قراءته: أن أهل المدينة أجمعوا على اختيار قراءته بعد زمن التابعين، وقال مالك: «**قراءة نافع سُنة**». وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: «**سألت أبي أي القراءات أحب إليك؟ قال: قراءة أهل المدينة**». ولا تزال قراءته يقرأ بها في بلاد المغرب العربي، وليبيا يقرأون برواية قالون عن نافع، وتونس كذلك، والجزائر والمغرب وموريتانيا برواية ورش عن نافع، وكذلك معظم بلاد غرب إفريقيا كنيجيريا وغرب إفريقيا كله يقرأون بقراءة نافع حتى غرب السودان

والبلاد الإسلامية كلها في غرب إفريقيا يقرأون بقراءة نافع.

ومما يؤثر عنه رحمه الله أنه كان إذا تكلم شم من فيه رائحة المسك، فقيل له: «أتطيبه؟ قال: لا ولكني رأيت فيما يرى النائم النبي ﷺ يقرأ في فيّ، فمن ذلك الوقت أشم من في هذه الرائحة» أي كان إذا قرأ القرآن شم الطيب من فمه، وكان ذلك لرؤيا رآها من ذلك اليوم كان قد رأى النبي ﷺ يقرأ القرآن في فمه، و من عقيدة أهل السنة الإيمان بكرامات الأولياء ما صح منها، إذا صح شيء منها وثبت فإننا نؤمن به، والإمام الشاطبي يقول:

وأما الكريم السر في الطيب نافع

فذاك الذي اختار المدينة منزلا

وكريم السر في الطيب: أي له سر كريم في الطيب الذي كان يشم منه رحمه الله، ولما حضرته الوفاة رحمه الله اجتمع حوله بنوه فقالوا: «أوصنا، فقال: {**اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين**}» فكانت وصيته رحمه الله.

وبالنسبة لسنده في القرآن: فبالطبع له أسانيد متعددة، وأبرز أسانيده أنه قرأ على شيبة بن نصاح عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ، وكذلك أيضا قرأ على أبي جعفر والأعرج اللذين قرآ على أبي هريرة وابن عباس، وأبو هريرة وابن عباس قرآ على أبي بن كعب وزيد بن ثابت، وهما قرآ على رسول الله ﷺ.

- نأتي إلى القارئ الثاني وهو **ابن كثير**: أبو معبد عبد الله بن كثير العطار الداري الفارسي المكي، وتلاحظون أن نافعا كان أصبهانيا من بلاد فارس، وابن كثير كان

فارسيا أيضا رحمه الله، وهو تابعيٌّ جليل من أهل مكة، كان أسمر اللون أبيض اللحية طويلا جسيما يخضب بالحناء، وكان فصيحا بليغا مفوها إماما في العربية عليه السكينة والوقار، انتهت إليه رئاسة أهل مكة في القراءة في زمن التابعين، ولد سنة ٤٥ للهجرة، وتوفي سنة (١٢٠هـ) عن خمس وسبعين سنة.

شيوخه: قرأ على أبي السائب عبد الله بن السائب المخزومي، وقرأ أيضا على مجاهد بن جبر، وعلى درباس مولى ابن عباس، وأسانيدهم بالنسبة لأبي السائب عبد الله بن السائب فقد قرأ أبو السائب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ، وقرأ أبو السائب أيضا على أبي بن كعب على النبي ﷺ، وأما مجاهد وابن درباس فقرآ على ابن عباس، وابن عباس قرأ على أبي بن كعب وزيد بن ثابت وهما قرآ على رسول الله ﷺ.

ومن تلاميذه: فقد قرأ عليه القرآن جماعة من الأئمة، منهم: سفيان بن عيينة وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، والخليل بن أحمد وأبو عمرو بن العلاء، والأخير هو أحد القراء السبعة، وراوياه **البَزِّي وقُنْبُل** رويا عنه بواسطة، وهما أشهر الرواة عنه لكن لم يتلقيا عنه مباشرة، وإنما روى عن تلاميذه وتلاميذ تلاميذه.

ومن ثناء العلماء عليه وعلى قراءته: فقد قال ابن مجاهد: «لم يزل ابن كثير هو الإمام المجتمع على قراءته في مكة حتى مات». وكان الإمام الشافعي يقرأ بقراءته، وقد أخذها عن إسماعيل بن قسطنطين تلميذ ابن كثير.

- القارئ الثالث هو **أبو عمرو بن العلاء**: واسمه أبو عمرو زَبَّان بن العَلاء، المازني البصري، وهو تابعي جليل، وكان عربيا صريحا، اثنان من القراء السبعة

كانا من العرب وخمسة كانوا من الموالي، والعربيان هما أبو عمرو وابن عامر كما في الشاطبية:

أبو عمرهم واليحصبي بن عامر صريحٌ، وباقيهم أحاط به الولا

أي خمسة من القراء السبعة كانوا من الموالي كانوا عبيدا وأعتقوا، واثنان كانوا من العرب وهما أبو عمرو، وعبد الله بن عامر.

وأبو عمرو كان مازنيا من بني مازن، قبيلة من العرب، وانتهت إليه رئاسة القراء والنحاة بالبصرة، فقد كان أعلم أهل زمانه بالقراءة وبالعربية، وكان من أهل الصدق والأمانة، ولد سنة ٦٨ هـ، وتوفي سنة (١٥٤ هـ).

شيوخه في القرآن: كان أكثر القراء رحلة وشيوخا، فكان أكثر القراء العشرة من جهة الشيوخ، فقد قرأ على أربعة من القراء العشرة، فقد قرأ على ابن كثير وعاصم وأبي جعفر ونافع، كما أنه قرأ على الحسن البصري، وابن محيصن من القراء الذين هم الزيادة على العشرة، وقرأ على مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، وأبي العالية وعطاء وعكرمة، ويحيى بن معمر، فكلُّ هؤلاء شيوخه، وقد قرأ على كل واحد منهم ختمة أو أكثر للقرآن الكريم.

وأما في الحديث الشريف فسمع من أنس بن مالك الصحابي رضي الله عنه، فهو معدود من التابعين، فقد سمع من أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ.

تلاميذه في القراءة: روى عنه جماعة من الأئمة، منهم: سيبويه وهو إمام النحاة، والأصمعي، ويحيى اليزيدي، وأبرز رواته **الدوري والسوسي**، رويا عن اليزيدي عنه.

ومن ثناء العلماء عليه وعلى قراءته: أن الحسن البصري مرَّ على أبي عمرو بن العلاء، وأبو عمرو من تلاميذ الحسن البصري، فمرَّ الحسن البصري على أبي عمرو بن العلاء وحلقته متوافرة، فقال: «**لا إله إلا الله، كلٌّ عز لم يوطد بعلم فإلى ذل يؤول**» فهذا الحسن يثني على أبي عمرو وحلقته ويقول: كل عز لم يوطد بعلم فإلى ذل يئول.

وقال شعبة بن الحجاج أمير المؤمنين في الحديث: «عليك بحرف أبي عمرو- أي بقراءة أبي عمرو-فإنه سيصير للناس إماما» وفي رواية: «سيصير للناس إسنادا» أي سوف يرجع الناس إلى قراءته، وسبحان الله، يقول ابن الجزري: «تحققت فراسة شعبة بن الحجاج» فأصبح العالم الإسلامي كله في زمن ابن الجزري في القرن التاسع والعاشر الهجري كان معظم العالم الإسلامي يقرأ برواية الدوري عن أبي عمرو، أي جاء وقتٌ وقراءة أبي عمرو هي أكثر القراءات انتشارا في العالم، لكن الآن انحصرت وأصبحت في السودان والصومال وشرق إفريقيا، لكن في زمن ابن الجزري وغيره فيحكي ابن الجزري أنه في زمانه في القرن التاسع والعاشر كان كل أهل مصر والشام والعراق والحجاز واليمن كلهم كانوا يقرءون بقراءة أبي عمرو بن العلاء.

فكانت قراءة نافع في المغرب فقط، وكان معظم العالم الإسلامي يقرأ بقراءة أبي عمرو، ثم سبحان الله انتشرت رواية حفص، فقد كانت رواية حفص شبه منحصرة في تركيا وما حولها، فجاء العثمانيون فنشروا رواية حفص في العالم الإسلامي، وأول مصحف طبعته الدولة العثمانية طبع برواية حفص، ووزعوه على البلاد، وعينوا قضاة ومقرئين، فانتشرت رواية حفص، وانقرضت قراءة أبي

عمرو، قال سفيان بن عيينة: «رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله اختلفت عليّ القراءات فبقراءة من تأمرني أن أقرأ؟ قال: اقرأ بقراءة أبي عمرو». وسفيان كان يقرأ برواية ابن كثير وكان مكيًّا، وقراءة ابن كثير كانت قراءة أهل مكة، ولكن رأى رؤيا فيها النبي ﷺ يقول له: اقرأ برواية أبي عمرو. وقيل للإمام أحمد رحمه الله: «أي القراءات تختار لي أن أقرأ بها؟ قال: عليك بحرف أبي عمرو، لغة قريش وفصحاء العرب».

وكما ذكرنا ما زالت مقروءا بها في السودان والصومال وشرق إفريقيا إلى اليوم.

وأمّا أسانيده في القرآن: فله أسانيد عديدة، منها أنه قرأ على أبي العالية عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ، وقد قرأ أبو العالية أربع ختمات أو ثلاث ختمات كاملة على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعمر قرأ القرآن على النبي ﷺ.

وقرأ أيضا أبو عمرو على يحيى بن يعمر الذي قرأ على أبي الأسود الدؤلي عن عثمان وعلي رضي الله عنهما عن النبي ﷺ.

- نأتي إلى القارئ الرابع **ابن عامر**: هو عبد الله بن عامر الدمشقي اليَحصَبي أو اليَحصُبي، تابعي جليل كان عربيا صريحا من قبيلة يحصب، أقام بدمشق وانتهت إليه رئاسة القراء بالشام في زمن التابعين وكان فصيحا مهيبا عالي القدر، ولد سنة ثمانٍ للهجرة قبل وفاة رسول الله ﷺ بسنتين، وتوفي بدمشق سنة ثماني عشرة ومائة (١١٨هـ) عن مائة وعشر سنين رحمه الله، و لم يهاجر إلى النبي ﷺ، لو حُمل إلى النبي ﷺ لكان صحابيا، لكن ولد سنة ثمانٍ للهجرة في حياة رسول الله ﷺ، لكن ولد في دمشق وتوفي بها.

شيوخه: قرأ على أبي الدرداء ﵁، وكان أبرز أصحاب أبي الدرداء، وكما ذكر الذهبي وغيره أن أبا الدرداء ﵁ لما ذهب إلى الشام إلى دمشق فأقام حلقا لإقراء القرآن الكريم، فكان يقرأ على أبي الدرداء ﵁ ألف وخمسمائة نفس كانوا يقرأون القرآن على أبي الدرداء في جامع بني أمية في دمشق، فقسمهم أبو الدرداء ﵁، وأبو الدرداء هو أحد الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ بجميع قراءاته، وقرأ القرآن كله على رسول الله ﷺ.

فأبو الدرداء ﵁ قسمهم حلقا فجعلهم مائة وخمسين حلقة، وجعل على كل حلقة عريفا ككبير للحلقة، فصار يقرئ العرفاء وهم مائة وخمسون عريفا، وكل واحد منهم يقرئ عشرة، ثم يدور على الحلق حلقة حلقة، فيجلس معهم ويسمع من قراءتهم، وتارة يجمعهم أجمعين، فيقرأ وهم يسمعون، فكان أبو الدرداء يقرأ ويسمعهم، ويقرئ المائة والخمسين وهم يقرئون من بعدهم، ويمر على الحلق المائة والخمسين حلقة حلقة، يجلس وسطهم ويسمع منهم قراءتهم، وكان أبرز هؤلاء العرفاء وأقربهم إليه هو عبد الله بن عامر رحمه الله، وهو الذي عهد إليه بالإقراء بعده، وهو الذي تولى الإقراء بعده في جامع دمشق بعد وفاة أبي الدرداء ﵁.

فجلس عبد الله بن عامر يقرئ الناس، وكان يصلي خلفه عمر بن عبد العزيز أيام خلافته، فكان عبد الله بن عامر هو إمام جامع بني أمية، ويصلي عمر بن عبد العزيز خلفه رحمه الله، فعبد الله بن عامر قرأ على أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ، فسنده من أعلى الأسانيد لأنه ليس بينه وبين رسول الله ﷺ إلا واسطة واحدة، وله سند آخر أنه قرأ على المغيرة بن شهاب المخزومي، والمغيرة بن شهاب قرأ على

عثمان بن عفان ﷺ عن رسول الله ﷺ، وهذا إسناد آخر.

أما الحديث: فسمعه من جماعة من الصحابة، فسمع من معاوية بن أبي سفيان وواثلة بن الأسقع والنعمان بن بشير، وأبي الدرداء رضي الله عنهم وعدد كبير من الصحابة الذين كانوا في الشام كانوا شيوخه في الحديث.

وأما تلاميذه في القراءة: فأشهر من روى عنه القراءة **هشام بن عمار، وعبد الله بن ذكوان**، فهما راويا عبد الله بن عامر بواسطة، أي لم يرويا عنه مباشرة، ولكن قرءا على تلميذه يحيى بين الحارث الذِّماري عن ابن عامر.

ومن ثناء العلماء عليه وعلى قراءته: أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ولاه الإمامة بالجامع الأموي وولاه مشيخة الإقراء والقضاء بدمشق، وأجمع أهل الشام على اختيار قراءته، وظلوا يقرأون بها إلى سنة خمسمائة من الهجرة، فظل أهل الشام يقرأون بقراءة ابن عامر خمسة قرون، ثم بدأت تحل محلها قراءة أبي عمرو ثم بعد ذلك جاءت رواية حفص.

- نأتي إلى القارئ الخامس وهو **عاصم**: عاصم بن بهدلة بن أبي النَّجود الحناط الكوفي التابعي الجليل رحمه الله،كان ضريرا وكان مولى وكان من أحسن الناس صوتا بالقرآن، وهو الذي جلس للإقراء في الكوفة مكان أبي عبد الرحمن السلمي، وأبو عبد الرحمن السلمي يلقب بمعلم الحسن والحسين، فكان يعلم الحسن والحسين القرآن رضي الله عنهما، وأبو عبد الرحمن السلمي هذا قرأ القرآن على خمسة من أصحاب رسول الله ﷺ، فقد قرأ على عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وأبي بن كعب، وابن مسعود، وبعثه عثمان يقرئ الناس في

الكوفة، أي ذهب إلى الكوفة يقرئ القرآن في عهد عثمان ﷺ.

فمن أيام عثمان ﷺ وهو في الكوفة يقرئ القرآن، وظل يقرئ القرآن في الكوفة إلى زمن الحجاج بن يوسف، فامتنع عن الإقراء، وكان أبرز تلاميذ أبي عبد الرحمن السلمي هو عاصم بن أبي النجود، وهو صاحب القراءة التي نقرأ بها الآن، وهو الذي تولى الإقراء بعده في مسجد الكوفة.

لا يعلم مولده تحديدا إلا أنه أدرك بعض الصحابة، فهو من التابعين وأدرك بعض الصحابة، ولم يحفظ سنة مولده، لكنه توفي سنة سبع وعشرين ومائة (١٢٧هـ) عن عمر كبير.

شيوخه في القرآن: قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي وأيضا على ذرّ بن حبيش وعلى سعد بن إلياس الشيباني، وأما في الحديث فسمع من أنس بن مالك، وأبي رمثة التميمي، والحارث بن حسان ﷺ، فهؤلاء من الصحابة الذين سمع منهم عاصم.

تلاميذه في القراءة: روى عنه القرآن جماعة من الأئمة منهم أبو عمرو وحمزة، يعنى: اثنان من القراء السبعة هم من تلاميذ عاصم، وكذا راوياه **شعبة** وهو أبو بكر بن عياش، و**حفص** بن سليمان، وروايتهما عنه أشهر الروايات، وقرأ عليه القرآن أيضا الحمادان: حماد بن زيد، وحماد بن سلمة، إمامان جليلان، والخليل بن أحمد وغيرهم.

ثناء العلماء عليه وعلى قراءته:

سئل عنه الإمام أحمد فقال: «رجل صالح ثقة خيِّر»، وكان أبو وائل لا يلقاه

إلا قبل كفه، وقال أبو إسحاق السبيعي: «ما رأيت أحدا أقرأ للقرآن من عاصم». وقراءته اليوم هي أشهر القراءات في العالم، وهذا من مناقبه، ومما أبقى الله له من الخير أنه إلى وقتنا هذا كثير من الناس يقرأ القرآن بقراءته، فله نصيب في الأجر لأن من دعى إلى هدى كان له مثل أجور من تبعه، فهو أقرأ حفصا وحفص أقرأ من بعده، ومن بعده أقرأ من بعده إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها سيكون له إن شاء الله نصيب من هذا الأجر الكبير.

وأبرز أسانيده: كما ذكرنا أنه قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي، وأبو عبد الرحمن قرأ على عثمان وعلي وزيد وأبي وغيرهم.

- أما القارئ السادس فهو **حمزة**: واسمه حمزة بن حبيب الزيات الكوفي مولى بني تيم، كان من أهل الكوفة، وكان من أئمة القراء بالكوفة رحمه الله تعالى، وانتهت إليه رئاسة القراء بها بعد عاصم والأعمش، أي كان شيخ القراء في الكوفة هو الأعمش ثم عاصم ثم حمزة، و كان قبلهم أبو عبد الرحمن السلمي رحمهم الله تعالى أجمعين، وكان يأكل من عمل يده فقد كان زياتا، فلقبه الزيات لأنه كان زياتا، إذ كان تاجر زيتٍ، ينتقل بين الكوفة وحلوان، وحلوان هذه مدينة في العراق ليست حلوان التي بمصر، وكان يجلب الزيت ويبيعه متنقلا بين الكوفة وحُلوان.

وكان ورعا لا يأخذ على القرآن أجرا، ومما أثر عنه في ذلك أنه كان يقرئ الناس في يوم شديد الحر، فأتاه أحد طلابه بماء بارد فأبى أن يشربه، وقال: «إني لا آخذ على القرآن أجرا» فلم يقبل شربة ماء بارد في يوم شديد الحر من أحد طلابه رحمه الله، وفي ذلك يقول الشاطبي:

وحمـزة مـا أزكاه مـن متـورع إمامـا صبـورا للقـران مرتـلا

وكان من الزهاد العباد رحمه الله تعالى، ولد ثمانين للهجرة، وتوفي بحلوان بالعراق سنة ستٍ وخمسين ومائة للهجرة (١٥٦هـ).

شيوخه في القرآن الكريم: قرأ على أبي إسحاق السبيعي، وأبو إسحاق السبيعي قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي، عن عثمان وعلي، ومن شيوخه أيضا حمران بن أعين، قرأ حمران على أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان وعليّ، وقرأ على أبي الأسود الدؤلي عن عليّ وعثمان أيضا رضي الله عنهما، ومن شيوخه أيضا الأعمش، والأعمش قرأ على يحيى بن وثاب، ويحيى بن وثاب قرأ على تلاميذ ابن مسعود: علقمة والأسود وعبيدة السلماني.

وكذلك من شيوخه أيضا في القرآن وأسانيده فيه أنه قرأ القرآن على جعفر الصادق، وهذا من أسانيد حمزة الجليلة رحمه الله في القرآن الكريم أنه قرأ ختمة كاملة على جعفر الصادق، وجعفر الصادق رحمه الله قرأ ختمة كاملة على أبيه محمد الباقر، ومحمد الباقر قرأ على أبيه زين العابدين عليّ بن الحسين، الذي قرأ على أبيه الحسين ﷺ، الذي قرأ على أبيه عليٍّ بن أبي طالب، وقرأ الحسين أيضا على أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان وعليّ، وأبو عبد الرحمن السلمي يقال له: معلم الحسن والحسين، فقد كان يقرئ الحسن والحسين رضي الله عنهما، فالحسين قرأ على أبي عبد الرحمن السلمي التابعي الجليل وقرأ على أبيه علي أيضا ﷺ، فهذا إسناد مسلسل بأئمة آل البيت. ونحن أهل السنة نحب آل بيت رسول الله ﷺ، ونقر بجلالتهم وإمامتهم في الدين رحمهم الله تعالى، والذي يقرأ

القرآن بقراءة حمزة، فهو يقرأ بقراءة هؤلاء الأئمة من آل البيت: جعفر الصادق عن محمد الباقر عن زين العابدين عن الحسين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، وهذه الأسانيد التي ذكرناها كلها تنتهي إلى عثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ.

وأما شيوخه في الحديث: فقد روى عن الأعمش وأبي إسحاق السبيعي، ومن جهة السن فقد أدرك بعض الصحابة، لكن لا تعرف له رواية عنهم، فهو طبعا كما ذكرنا ولد سنة ثمانين للهجرة، والصحابة عاشوا حتى سنة ١١٠ هـ، فكان يوجد صحابة على قيد الحياة حتى هذا العام، فمن جهة السن فقد عاش رحمه الله فترة في حياة الصحابة رضي الله عنهم لكنه كان صغيرا لا تعرف له رواية عن الصحابة مباشرة، فكان يروي عن التابعين.

تلاميذه في القراءة: منهم: سليم بن عيسى والكسائي الذي هو أحد القراء السبعة، وسليم هو شيخ **خلف وخلاد** وهما أشهر رواة قراءة حمزة، ومن تلاميذه رحمه الله سفيان الثوري، وعبد الله بن المبارك الإمام الجليل، وآخرون من كبار الأئمة.

ثناء العلماء عليه وعلى قراءته: قد أثنى العلماء عليه وعلى قراءته ثناء عطرا، قال سفيان الثوري رحمه الله: «**ما قرأ حمزة حرفا إلا بأثر**» أي ما كان يقرأ شيئا من تلقاء نفسه، فيقول: هذا الحرف أرويه عن فلان عن فلان عن فلان عن رسول الله ﷺ، وكان شيخه الأعمش إذا رآه قد أقبل قال: «**هذا حبر القرآن**» وكان إذا رآه مقبلا أيضا قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج:٣٤] فيثني عليه بأنه من المخبتين ويقول: هذا حبر القرآن، وقال أبو حنيفة النعمان-أحد الأئمة الأربعة-رحمه الله

لحمزة: «شيئان غلبتنا عليهما لسنا ننازعك فيهما: القرآن والفرائض» أي أحكام المواريث، وأبو حنيفة فقيه وإمام، لكن المواريث خاصة لها ارتباط بالحساب، فالبراعة في المواريث مرتبطة بالبراعة في الحساب وإتقانه.

وهنا مسألة: وهي أن بعض الفقهاء روي عنهم أنهم كرهوا القراءة بقراءة حمزة والكسائي، رَوي ذلك عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أنه كره القراءة بقراءة حمزة والكسائي في الصلاة، وقال: «لما فيهما من الإضجاع»، أي الإمالة الشديدة لأن قراءتهما تتميز بالإمالة لما في قراءة حمزة من الإفراط في المدود وتغيير الهمزات، فروي عن الإمام أحمد رحمه الله أنه كره القراءة بقراءة حمزة، لكن -في الحقيقة- لم يُوافَق على هذا، ونقل الأئمة إجماع العلماء على جواز القراءة بقراءته، وحتى الإمام أحمد نفسه روي عنه أنه لما سئل هل يعيد الصلاة من قرأ بقراءة حمزة؟ فقال: «لا يبلغ بها هذا كله».

فهو كان لا يستحب هذه القراءة، لكن قال: لا يبلغ بها إلى درجة أن يخطئ من قرأ بها، ولا أن يصل الأمر إلى درجة عدم صحة الصلاة، فقالوا: كأن هذا من باب المفاضلة أو الموازنة بين القراءات، فيفضل غيرها عليها، لكن هذا لا يمنع إجماع العلماء على صحة هذه القراءة وأنها من القراءات المتواترة، وهي معتمدة على لغات من لغات العرب التي كانوا يقرأون بها، ومروية بالأثر وبالإسناد إلى رسول الله ﷺ، فلم يوافَق الإمام أحمد على ما قال.

كذلك أيضا من ضمن الأجوبة قالوا: إنه ربما الذين نقلوا إلى الإمام أحمد قراءة حمزة كان عندهم إفراط ومجاوزة للحدِّ مثلا في مقادير المدود أو مجاوزة للحدِّ في الإمالة، فربما الذين نقلوا إليه القراءة كان الخطأ من تطبيقهم لها، فلذلك

لم يستحبها، ولم يحبذها، فربما كان بسبب خطأ ممن نقلوا إليه هذه القراءة من بعض المتعلمين الذين لم يتقنوها، ولم يؤدوها على أصولها؛ لأنه يحكى أن بعض من كان يقرأ بقراءة حمزة سكت حتى انقطع زر قميصه، وذلك في السكت الذي قبل الهمز في قراءة حمزة، فكأنه كان هناك إفراط ومبالغة في السكت، أي يحبس الهواء بشدة وبعنف. فبعض من كان يقرأ بقراءة حمزة ربما يكون عنده تكلف فهذا الذي أدى إلى تكلم البعض في هذه القراءة. لكن على كل حال الذي استقر عليه الأمر، وأجمع عليه علماء الإسلام سلفا وخلفا كما ذكر الحافظ الذهبي رحمه الله أنه الذي استقر عليه الأمر وأجمع عليه العلماء أن قراءة حمزة قراءة متواترة مقطوع بقرآنيتها وبصحة الصلاة بها، ويقول الذهبي: «من خالف ذلك في يومنا هذا يؤدب ويعاقب وتقام عليه الحجة» ولم يعد هناك مجال للكلام فيها.

- نأتي إلى القارئ السابع وهو الإمام **الكسائي**: وهو سابع القراء السبعة، وهو أبو الحسن علي بن حمزة الفارسي الكوفي مولى بني أسد، لقب بالكسائي لأنه أحرم وعليه كساء ساهيا، فكان محرما بحج أو عمرة فقال: لبيك اللهم بحجة، وعليه كساء نسي أن يخلعه قبل الإحرام، أي كان لابسا الإزار والرداء وعليهما كساء، فكان ينبغي أن يخلع الكساء ثم يحرم، ولكنه أحرم والكساء عليه، فلقب بالكسائي، يقول الشاطبي:

وأمـــا عليٌّ فالكســـائي نعتـــه لمـا كان في الإحـرام فيه تسربلا

ومن صفاته الخلقية والخلقية: أنه كان من أئمة القراء والنحاة بالكوفة، فكان إمام نحاة الكوفة، وكان قرين سيبويه، ونظيره وندّه في النحو، فقد كان سيبويه إمام نحاة البصرة، وكان الكسائي إمام نحاة الكوفة، وكان بينهما مناظرات تذكرها كتب

النحو مثل مناظرتهما في مسألة الزنبورية، فكانا يجتمعان ويتناظران ويتناقشان.

وكان إمام القراء في الكوفة بعد حمزة رحمه الله، فقد انتهت إليه إمامة القراءة في الكوفة بعد حمزة رحمه الله، وكان إذا كثر الناس عليه جلس على كرسي وتلا عليهم القرآن من أوله إلى آخره، وهم يسمعون منه ويضبطون عنه حتى مواضع وقفه وابتدائه، فكان يقرئ الناس القرآن فيقرأون عليه وهو يسمع، فإذا كثر عدد الطلاب عنده وضع كرسيا وجمعهم، وقرأ عليهم القرآن من أوله إلى آخره من حفظه، وهم يضبطون قراءته ويعلمون في مصاحفهم مواضع وقفه وابتدائه، وضبط قراءته. ولد تسع عشرة ومائة وتوفي سنة (١٨٩هـ) رحمه الله.

شيوخه في القرآن: قرأ على حمزة ومحمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وعلي بن عيسى الهمذاني، هؤلاء هم أبرز شيوخه، أما بالنسبة لأسانيد هؤلاء الشيوخ، طبعا قرأ على حمزة وقد ذكرنا أسانيد حمزة من قبل، أما بالنسبة لشيخه الثاني، محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، فابن أبي ليلى قرأ على المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الذي قرأ على أبي بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ.

فالحاصل أنه له أسانيد متعددة ترجع هذه الأسانيد إلى عبد الله بن مسعود وإلى أبيّ بن كعب، وإلى زيد بن ثابت وإلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم عن رسول الله ﷺ.

شيوخه في الحديث: فهو يروي الحديث عن حمزة الزيات وعن أبي بكر بن عياش، وهو شعبة الراوي عن عاصم.

تلاميذه في قراءة القرآن الكريم: أشهر رواته **حفصٌ الدوري، وأبو الحارث** واسمه الليث بن خالد، وهاتان روايتا قراءة الكسائي، وحفص الدوري نسبة إلى الدور وهي مدينة في العراق، وهذا طبعا غير حفص بن سليمان الذي يروي عن عاصم، فحفص الدوري الذي يروي عن الكسائي هو نفس الذي يروي عن أبي عمرو، فهناك رواية الدوري عن الكسائي، ورواية الدوري عن أبي عمرو، فهذا هو الدوري الذي يروي عن الكسائي.

وكذلك من تلاميذه في القرآن الكريم خلف، وهو خلف العاشر، وهذا أحد القراء العشرة، وهو من تلاميذ الكسائي، وقرأ عليه يعقوب الحضرمي أيضا، وهكذا يكون قد قرأ عليه اثنان من القراء العشرة، وقرأ عليه أبو عبيد القاسم بن سلام، وقرأ عليه الفرَّاء ويحيى بن آدم وكل هؤلاء من أئمة القراء وأئمة علماء النحو واللغة.

من ثناء العلماء عليه وعلى قراءته: أنه روى عنه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين الحديث، وأثنيا عليه ثناءً عظيما قال يحيى بن معين رحمه الله: «ما رأيت بعيني هاتين أصدق لهجة من الكسائي». وقال الشافعي: «من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي». ولما مات الكسائي قال هارون الرشيد الخليفة: «دفنا النحو» وذلك يوم وفاة الكسائي، فقد كان إمام النحاة رحمة الله عليه.

- نأتي إلى القارئ الثامن من القراء العشرة: هو **أبي جعفر** يزيد بن القعقاع المدني المخزومي مولاهم، فقد كان مولى بني مخزوم، وهو تابعي جليل رحمه الله، وقد كان إمام القراء بالمدينة، وقد أتي به وهو صغير إلى أم المؤمنين أم سلمة ﵂ فمسحت على رأسه ودعت له، وكان صواما قواما يصوم يوما ويفطر يوما

رحمه الله، وكان يقرئ الناس بالمدينة، وتوفي سنة (١٣٠ هـ) رحمه الله تعالى.

ولم تذكر سنة ولادته لكن قالوا: إنه كان يقرئ الناس بالمدينة في أيام وقعة الحرة، وقد كانت سنة ٦٣ هـ، فقد كان كبار قراء المدينة في تلك السنة، لكن لم يكن عمره معروفا في تلك السنة، ولكن بالتأكيد أن سنة ولادته كان قبل ٦٣هـ بكثير فمعناها أنه كان معمرا رحمه الله وعاش عمرا طويلا.

شيوخه في القرآن الكريم: قرأ على مولاه (سيده) عبد الله بن عياش المخزومي، وقرأ على ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم فهؤلاء شيوخه وكلهم من الصحابة: عبد الله بن عياش المخزومي، وعبد الله بن عباس، وأبو هريرة رضي الله عنهم، وهؤلاء الثلاثة كل واحد منهم قرأ على أبي بن كعب وعلى زيد بن ثابت وكل من أبي وزيد قرأ القرآن على رسول الله ﷺ، فإذن قراءة أبي جعفر عن أبي هريرة وابن عباس وابن عياش، ثلاثتهم عن أبي وزيد، وكليهما عن رسول الله ﷺ.

شيوخه في الحديث الشريف: فقد سمع الحديث من جابر بن عبد الله وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر، وأبي هريرة رضي الله عنهم وأرضاهم.

تلاميذه في القراءة: من تلاميذه نافع المقرئ، فنافع المقرئ أحد القراء السبعة هو من تلاميذ أبي جعفر، وذكرنا هذا عندما ذكرنا ترجمة نافع أنه قرأ على سبعين من التابعين منهم أبو جعفر يزيد بن القعقاع، وأشهر روايات قراءة أبي جعفر روايتا **ابن وردان وابن جماز**، وهما أبو موسى بن وردان وسليمان بن جماز.

ثناء العلماء عليه وعلى قراءته: فقد قدمه عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي

الله عنهما ليصلي بالناس وصلى خلفه وهذه منقبة جليلة، فقد كان يصلي خلفه عبد الله بن عمر بن الخطاب الصحابي الجليل العالم ﷺ، فقد كان يقدم أبا جعفر إماما ليصلي خلفه.

وقال مالك إمام أهل المدينة: «كان أبو جعفر رجلا صالحا». وقال يحيى بن معين: «كان أبو جعفر إمام أهل المدينة في القراءة، وكان ثقة». وقال نافع تلميذه الذي هو أحد القراء السبعة: «لما غسل أبو جعفر بعد وفاته نظروا ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف» أي منيرا، أي يضرب به المثل مثل ورقة المصحف في البهاء والنور والإضاءة ثم قال: «فما شك من حضره أنه نور القرآن».

- نأتي إلى القارئ التاسع وهو **يعقوب**: اسمه هو أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله البصري مولى الحضرميين، ومن صفاته الخِلْقِية والخُلُقِية أنه كان إمام أهل البصرة في القراءة بعد أبي عمرو، وكان إمام جامع البصرة، فكان إمام القراء في البصرة بعد أبي عمرو، وهو أبو عمرو بن العلاء البصري أحد القراء السبعة.

وكان ورعا زاهدا فقيها محدثا عالما بالعربية، وكان له جاهٌ عظيم بالبصرة، وقالوا: كان يحبس ويطلق كأنه الأمير، أي كان يأمر ويقول: احبسوا فلانا، وخذوا فلانا إلى الحبس، فيحبسونه، ويأمر بإطلاق المساجين لمن شاء أن يطلقه كأنه الأمير، أي كان له جاهٌ كبير في البصرة، وكان إمام جامعها، وكان فقيها محدثا عالما بالعربية رحمه الله تعالى. ولد سنة سبع عشرة ومائة للهجرة، وتوفي سنة خمس ومائة رحمه الله.

شيوخه في القرآن وأسانيده: قرأ على سلام بن سليمان الطويل، ومهدي بن ميمون، وأبي الأشهب جعفر بن حيان العطاردي، وأبرز أسانيده هذا الإسناد الذي عن شيخه الثالث أبي الأشهب جعفر بن حيان العطاردي الذي قرأ على أبي رجاء العطاردي الذي قرأ على أبي موسى الأشعري ﵁، وقرأ أبو موسى الأشعري على رسول الله ﷺ، وقال ابن الجزري: «وهذا إسناد في غاية العلو والصحة، ونقل إلينا فيه يعقوب قراءة أبي موسى الأشعري ﵁ مسلسلة بهذا الإسناد العالي عن أبي الأشهب العطاردي عن أبي رجاء العطاردي، عن أبي موسى الأشعري عن رسول الله ﷺ». وأبو موسى هو الذي كان النبي ﷺ يستمع إلى قراءته، وقال: «**لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**»، فقال أبو موسى: «**لو علمت أنك تستمع لحبرته لك تحبيرا**». وله أسانيد أخرى عن شيوخه سلام بن سليمان، ومهدي بن ميمون.

شيوخه في الحديث: فقد روى عن جده وروى عن زائدة بن قدامة، وأما تلاميذه في القراءة فأشهر الرواة عنه **رُوَيْس ورُوح**، ورويس هو محمد بن المتوكل اللؤلؤي الملقب برويس، وتلميذه الثاني روح بن عبد المؤمن رحمهما الله.

ثناء العلماء عليه وعلى قراءته: فقال أبو حاتم السجستاني: «هو أعلم من رأيت بالحروف والاختلاف في القراءة ومذاهب النحو، وأرواهم لحديث الفقهاء». وأبو حاتم السجستاني هو أحد الأئمة الكبار من علماء اللغة، والقراءات، وقال: «يعقوب هو أعلم من رأيت بالحروف» أي بالقراءات والاختلاف فيها، وبمذاهب النحو، وأرواهم لأحاديث الفقهاء، وقال أبو عمرو الداني رحمه الله: «ائتم بيعقوب في اختياره عامة البصريين بعد أبي عمرو». فمعظم البصريين بعد

وفاة أبي عمرو صاروا يقرءون بقراءة يعقوب الحضرمي، وقال طاهر بن غلبون يقول: «إمام الجامع بالبصرة لا يقرأ إلا بقراءة يعقوب».

وكان هذا الكلام حتى القرن الخامس الهجري، فقد استمرت قراءة يعقوب إلى القرن الخامس الهجري، إمام جامع البصرة لا يقرأ إلا بقراءة يعقوب الحضرمي في جامع البصرة.

- نأتي إلى الإمام العاشر وهو **خلف**: واسمه خَلَف البزار، أبو محمد خلف بن هشام بن ثعلب البزار البغدادي، كان من أئمة القراء والمحدثين بالكوفة، فقد كان إماما مقرئا محدثا من علماء الحديث والقراءات، وكان يبدأ بأصحاب القرآن ثم بأصحاب الحديث من طلابه، فكان يجلس كل يوم فيقرئ القرآن لطلاب القرآن ثم يجلس فيحدث المحدثين بحديث رسول الله ﷺ، وكان ثقة زاهدا عابدا صاحب سنة، حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين وطلب العلم، وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وكان له مال كثير أنفقه في طلب العلم، فقد قالوا: إنه ترك له أبوه مالا كثيرا فأنفقه في طلب العلم حتى أفنى هذا المال الكثير في الرحلة في طلب العلم، وسماع الحديث في الأمصار، وهكذا. ولد سنة خمسين ومائة وتوفي سنة تسع وعشرين ومائتين للهجرة (٢٢٩هـ) رحمه الله.

شيوخه في القرآن: قرأ على سُلَيْم صاحب حمزة عن سليم عن حمزة بأسانيده السابقة، وقرأ على يعقوب بن خليفة الأعشى وهو تلميذ شعبة، عن شعبة عن عاصم بأسانيده التي مر ذكرها، وروى الحروف عن الكسائي، فهو من تلاميذ الكسائي لذلك قال علماء القراءات: إن قراءة خلف لا تخرج عن قراءة حمزة، وقراءة الكسائي، ورواية شعبة عن عاصم لأنه أسانيده في القراءة هي هذه، وبالتتبع

تتبع العلماء قراءة خلف من أول القرآن إلى آخره فوجدوا أنها لا تخرج عن هذه القراءات الثلاثة: قراءة حمزة وقراءة الكسائي ورواية شعبة عن عاصم، حتى إنه ليست كل قراءة عاصم وإنما رواية شعبة عن عاصم، فهو يختار في كل موضع من مواضع الخلاف، فإما يختار أن يوافق حمزة، أو يوافق الكسائي أو يوافق شعبة، فأي موضع فيه اختلاف يختار ما يوافق واحدا من هذه القراءات التي رواها بأسانيده، ولذلك ابن الجزري يقول في الطيبة:

..... **ولا رمزٌ يرد لخلفٍ لأنه لم ينفرد**

أي كل قارئ رمز له برمز، ولكن لا رمز يرد لخلف؛ لأنه لم ينفرد، فليس له رمز على انفراد، فهناك رموز اجتماع، أي رمز خلف وحمزة أو خلف والكسائي أو خلف وشعبة، أي يجتمع مع غيره ولكن لا ينفرد أبدا، فليس هناك أي كلمة ينفرد بقراءتها عن بقية القراء.

شيوخه في الحديث: روى عن مالك وعن حماد بن زيد، وهما أبرز شيوخه في الحديث الشريف.

تلاميذه في القراءة: أشهر رواته **إدريس** بن عبد الكريم الحداد، و**إسحاق** بن إبراهيم بن عثمان المروزي، وهاتان روايتا قراءة خلف.

ثناء العلماء عليه وعلى قراءته: روى عنه مسلم وأبو داود وعبد الله بن أحمد بن حنبل، من أئمة الحديث الذين كانوا يحضرون مجالسه، ويروون عنه الحديث: الإمام مسلم الحافظ صاحب الصحيح، وأبو داود صاحب السنن، وعبد الله بن الإمام أحمد، وعبد الله كان من الحفاظ الكبار حفاظ الحديث، وقال عنه الإمام

أحمد بن حنبل لما سئل عنه: «هو والله عندنا الثقة الأمين» فحلف بالله إنه ثقة أمين، وكتب له شيخ سليم عندما غادر خلف بغداد وكان عمره تسع عشرة سنة، وكنا قد ذكرنا أنه طلب العلم وهو ابن عشر سنين، وهو من أهل بغداد فبدأ يطلب العلم في بغداد وهو ابن عشر سنين حتى سن تسع عشرة سنة.

ففي سن تسع عشرة سنة غادر بغداد، وبدأ يرحل في طلب العلم في الأمصار الأخرى، فكتب له شيخه كتاب تزكية له يحملها معه وهو متنقل خارج بغداد، فكتب له شيخه قال: «لم يخلف ببغداد أحدا أقرأ منه» فهو وهو عمره تسع عشرة سنة وشيخه سليم يثني عليه ويقول: إن هذا الشاب هو أقرأ أهل بغداد، فلم يخلف أحدا ببغداد أقرأ منه مع كثرة من كان ببغداد من القراء الكبار من أئمة القراءة، وكما ذكرنا أنه يروي قراءة حمزة، فقراءة حمزة لها روايتان: رواية خلف وخلاد، فخلف هو نفسه صاحب القراءة، فله قراءة وهي اختياره المستقل الذي اختاره وألّف به بين القراءات الثلاثة، وله روايته التي يرويها عن حمزة. وكما ذكرنا فإنه اختار قراءته من مجموع ما قرأ به على مشايخه، فأصبحت قراءته لا تخرج عن قراءة عاصم وحمزة والكسائي رحمهم الله تعالى.

وبقية القراء هم الأربعة أصحاب القراءات المتممة التي يقال لها الأربعة الزوائد، ويقال عنها القراءات الشاذة أيضا؛ لأن القراءات المتواترة هي هذه العشر فقط، وما عداها فيقال عنه القراءات الشاذة، ولكن القراءات الشاذة أصحها وأشهرها والذي لا زال يروى إلى وقتنا هذا بالأسانيد المتصلة ويُقرأ به:

- قراءة ابن محيصن.

- قراءة يحيى اليزيدي.
- قراءة الحسن البصري.
- قراءة الأعمش.

ولا نطيل بذكر تراجمهم، فهذه القراءات لا تزال تروى إلى يومنا هذا ويتلقاها طلاب العلم جيلا بعد جيل بالأسانيد إلى هؤلاء الأئمة بأسانيدهم عن رسول الله ﷺ، وبهذا ينتهي الكلام عن هذا الباب.

سُوَرُ القُرآنِ وآياتُهُ

وقِسمَةُ القُرآنِ مِن حيثُ السُّوَرْ مَزِيَّةٌ مَعلومَةٌ لِمَن سَبَر
أربَعَةٌ معْ مائةٍ وعَشرَةِ عِدادُ ما يُحَدُّ باسمِ سُورَةِ
وقَسَّموا التَّسويرَ في القُرآنِ سَبعاً طِولاً والمْئينَ الثَّانِي
ثُمَّ الْمَثاني بَعدَها الْمُفَصَّلُ وهٰكذا الأَخيرُ فيه فَصَّلوا
والأصلُ في التَّرتيبِ كانَ الْخُلفُ وثَلِّثِ الأقوالَ حيثُ الإلفُ
ورجِّحَنْ تَرتيبَهُ التَّوقِيفِي وهْوَ اختِيارُ الحافِظِ الحَصيفِ
وأجمَعوا في عِدَّةِ الآياتِ عَن سِتَّةِ الآلافِ ثُمَّ يَأْتِيْ
مِنَ المئينَ بَعدها اثنَتانِ وأجمَعوا في الآيِ للقُرآنِ
بِأَنَّهُ التَّوقيفُ للتَّرتيبِ مِن دونِ شَكٍّ ظاهرٍ مُريبِ

في هذا الفصل يتكلم عن سورة القرآن الكريم أو آيات القرآن الكريم فيقول: إن القرآن الكريم مقسم إلى سور قال:

وقِسمَةُ القُرآنِ مِن حيثُ السُّوَرْ مَزِيَّةٌ مَعلومَةٌ لِمَن سَبَر

أي القرآن الكريم مقسَّمٌ إلى سور، وهذا مزية للقرآن الكريم أنه لو كان مسرودا سردا من أوله إلى آخره بدون تقسيمه إلى سور لكان ذلك شاقا وصعبا ويصعب

حفظه، ويصعب العثور على ما يريده المسلم منه، فمن مزايا القرآن الكريم أنه مقسم إلى سور، وأن السورة الكريمة مقسمة إلى آيات.

وهنا يتكلم عن الحكم في تسوير القرآن الكريم، فقد ذكر العلماء عدة حكم نذكر بعضها هنا:

- فمنها أن كل سورة بمجردها معجزة وآية من آيات الله سبحانه وتعالى، فهذه الحكمة من الحكم أن يحصل التحدي بكل سورة من سور القرآن الكريم على حدة.

- وكذلك أيضا من الحكم أن كل سورة نمط وموضوع مستقل، فلها طريقة مستقلة، فلا يناسب أن يخلط بعضها ببعض بدون فصل بينها، وبدون تقسيم فسورة يوسف مثلا لها نمط مستقل حيث إنها من أولها إلى آخرها تتناول سورة واحدة، وسورة براءة تتكلم عن أحوال المنافقين، فكل سورة لها موضوع ولها مناسبة لا يحسن أن تخلط بغيرها.

- وكذلك أيضا من الحكمة أن الله سبحانه وتعالى جعل كتابه ينقسم إلى سور طوال وإلى سور متوسطة الطول وإلى سورة قصيرة؛ لينبه سبحانه وتعالى على أن طول السورة ليس شرطا في الإعجاز؛ لأن الله تعالى تحدى الخلق أن يأتوا بسورة ولو كأقصر سورة من سور القرآن الكريم التي هي سورة الكوثر، فسورة الكوثر سورة قصيرة وهي معجزة كسورة البقرة التي هي سورة طويلة.

- كذلك أيضا من الحكمة أن الله سبحانه وتعالى جعل سورا طوالا وسورا قصارا حتى يحصل التدرج في تعليم الأطفال للقرآن الكريم، فلو لم يكن في

القرآن الكريم سور قصيرة لما استطاع الطفل الصغير أن يحفظ القرآن الكريم مبتدئا بحفظ سور طويلة، وكذلك الأميّ والأعجميّ الذي لا يحسن العربية يشق عليهم حفظ السور الطوال، فجعل الله سبحانه وتعالى سورا قصيرة تشجعهم على الحفظ.

– كذلك أيضا من الحكم أن الكتاب إذا كان منقسما إلى أنواع وأصناف كان أحسن من أن يكون بابا واحدا، أي جعل الله تعالى القرآن الكريم مقسما إلى سور متعددة، وهذا التقسيم معروف حسنه في الطباع البشرية أن الكتاب إذا كان من أوله إلى آخره كله عبارة عن باب واحد أو فصل واحد لا يكون مستحسنا مثل ما لو كان مقسما إلى أبواب متعددة، وذلك في القرآن الكريم بانقسامه إلى سور.

– وكذلك من الحكم أيضا أن القارئ إذا ختم سورة ثم أخذ في سورة أخرى كان أنشط له وأبعث على التحصيل، مثل المسافر إذا قطع ميلا أو فرسخا نشطه للسير، أي المسافر وكان الطريق من أوله إلى آخره ليس مقسما إلى أقسام ولا أجزاء لأصابه الملل والفتور لكن إذا كان الطريق مقسما إلى أميال وإلى أجزاء ويشعر أنه الآن قطع كذا ميلا أو كذا فرسخا كان ذلك ينشط السائر، فكذلك القرآن الكريم مقسم إلى سور، والسور إلى آيات كلما تخطى عددا من الآيات أو عددا من السور نشطه ذلك وساعده على مواصلة قراءته أو مواصلة حفظه.

– وكذلك أن الحافظ لكتاب الله تعالى إذا حفظ سورة اعتقد أنه أخذ من كتاب الله قسما مستقلا فيعظم عنده ما حفظه، فهذا يجعل الإنسان يفتخر بما حفظ، ويصبح مسرورا وهذا شبيه بما سبق أنه لو كان القرآن كله متصلا وحفظ جزءا لكنه ليس مستقلا لا يشعر أنه أنجز إنجازا كبيرا بخلاف ما لو أنها سورة، فقارن

شعور من يحفظ القرآن الكريم عندما يحفظ مثلا أجزاءً من سورة بشعوره عندما يتم سورة، فإنه عندما يحفظ أجزاء من سورة لا يكون نفس مقدار الفرح والسرور والشعور بالإنجاز الذي يشعر به عندما ينتهي من سورة كاملة ويقول: قد حفظت سورة وأنهيت سورة كذا.

- وكذلك أيضا للتيسير على المسلمين في القراءة في الصلوات حتى يقرؤوا في الصلوات الخفيفة بالسور القصار وفي الصلوات الطويلة بالسور الطوال، وتحدد لهم ما يبدؤون به، وما ينتهون عنده إلى غير ذلك من فوائد تقسيم القرآن الكريم إلى سور.

كلمة (سورة) من ناحية المعنى اللغوي:

❁ بعضهم قال: أصلها (سؤرة) بالهمز ثم خففت وسهلت فقيل (سورة)، وفي هذه الحالة تصبح من: السؤر، وهو ما بقي من الشراب في الإناء، فالسورة هنا بمعنى أنها قطعة أو جزء من القرآن؛ لأن ما تبقى في الإناء هو جزء من الشراب، فالسورة هي جزء من القرآن الكريم أو قطعة منه.

❁ وقيل: السورة مأخوذة من (سورة البناء) أي: القطعة من البناء، فالقطعة من البناء يقال لها سورة.

❁ وقيل: مأخوذة من (سور المدينة) لإحاطتها بآياتها، واجتماعها كاجتماع البيوت في السور، وسمي السوار سوارا لأنه يحيط بالمعصم، وقيل: لارتفاعها لأنها كلام الله تعالى، فهذه كلها تعريفات لغوية للسورة.

أما التعريف الاصطلاحي للسورة:

فقالوا: قرآن يشتمل على آي ذي فاتحة وخاتمة، فقولهم: السورة هي قرآن أي جزء من القرآن، يشتمل على آي، أي على عدد من الآيات ثلاث آيات فأكثر، ذي فاتحة وخاتمة، أي لها فاتحة ولها خاتمة. وهناك تعريفات أخرى.

ثم ذكر عدد سور القرآن الكريم فقال:

أَربَعَةٌ مَعْ مائةٍ وعَشرَةِ عِدادُ ما يُحَدُّ باسمِ سُورَةِ

أي عدد ما هو محدود باسم سورة، أي يريد أن يقول: إن عدد سور القرآن الكريم مائة وأربعة عشرة سورة.

تقسيم سور القرآن الكريم

وقَسَّموا التَّسويرَ في القُرآنِ سَبعا طِوالا والمْئِينَ الثَّاني

ثُمَّ الْمَثانِي بَعدَها الْمُفَصَّلُ وهكذا الأَخيرُ فيه فَصَّلوا

فسور القرآن تنقسم إلى: الطوال والمئين والمثاني والمفصل، وهذا التقسيم مأخوذ من حديث رواه الإمام أحمد عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ الطِّوَالَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلَ الْمَثَانِي، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ**».

والسبع الطوال: هي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس، (البعض يقول: يونس)، والبعض يعد سورة التوبة مع الأنفال فيقول: هما بمثابة سورة واحدة ولذلك ليس بينهما بسملة، فلذلك يعدون الأنفال

مع التوبة بمثابة سورة واحدة، وتكون هي سابعة السبع الطوال، وبعضهم يعد التوبة فقط، ولا يعد الأنفال ولا يونس.

وأما المِئين: يقال: المئين أو المئون فهي ما ولي السبع الطوال، وسميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية أو تقارب مائة آية، وسميت المئين من المائة.

والمثاني: هي ما ولي المئين لأنها ثنتها أي كانت بعدها، فهي لها ثوان، فالثاني هو ما يأتي تابعا لشيء قبله، فالمثاني سميت بذلك لأنها تأتي بعد المئين، وهي السور التي تكون أقل من مائة آية، وفي نفس الوقت ليست من قصار السور، فهي بين ذلك من ناحية المقدار.

والمفصل: هو ما ولي المثاني، وهو الحزب الأخير من أحزاب القرآن الكريم، وقد سمي بذلك لكثرة الفصول التي بين السور، أي لوجود الفصل بين السورة بالبسملة، فسوره كثيرة، وهناك قول آخر في تسميته بالمفصل قيل: إنه سمي بالمفصل لأنه قليل المنسوخ، فالمفصل أي المحكم الذي ليس فيه منسوخ.

وبالنسبة لبداية المفصل: فهناك عدة أقوال وأشهرها أن يقال: إن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يحزبون القرآن الكريم إلى سبعة أحزاب فيقسمونه على أيام الأسبوع السبعة، فيختمون القرآن في السبعة أيام، فكان عدد من الصحابة يفعلون ذلك (تحزيب القرآن) فقسموا القرآن على سبعة أقسام:

- القسم الأول أو يسمونه الحزب الأول من أحزاب القرآن الكريم فيه ثلاث سور: البقرة وآل عمران والنساء أي مع الفاتحة أي لا يعدون الفاتحة، و لأنهم كانوا يقرءون في الصلاة والفاتحة تقرأ في كل ركعة فأرادوا ثلاث سور غير الفاتحة.

- الحزب الثاني خمس سور: المائدة، والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة.
- الحزب الثالث سبع سور.
- الحزب الرابع تسع سور.
- الحزب الخامس إحدى عشرة سورة.
- الحزب السادس ثلاث عشرة سورة.
- ثم الحزب السابع هو حزب المفصل، فبعضهم يقول: يبدأ من سورة الحجرات وبعضهم يقول: من سورة ق-وهما سورتان متجاورتان-إلى آخر القرآن.ويرمز لأوائل كل حزب بحرف دال على سورته بقولهم (فمي بشوق) الفاتحة المائدة يونس بني إسرائيل الشعراء والصافات ق

وكان النبي ﷺ في معظم صلواته يقرأ بسور المفصل في إمامة النبي ﷺ في الصلوات الجهرية في معظم الأحيان كان يقرأ من سور المفصل، يقولون: فنصلي الفجر بطوال المفصل، وصلاة كذا بقصار المفصل أو بأواسط المفصل، فكان يقرأ من سور هذا الحزب الأخير المفصل.

والأصلُ في التَّرتيبِ كانَ الْخُلفُ وثَلّـثِ الأقـوالَ حيـثُ الإلـفُ
ورجّحَــنْ تَرتيبَــهُ التَّوقِيــفِي وهْوَ اختِيــارُ الحافِظِ الحَصيفِ

قوله: **(والأصلُ في التَّرتيبِ كانَ الْخُلفُ)** أي وقع الخلاف في ترتيب القرآن الكريم: هل ترتيب القرآن الكريم توقيفي أم أنه اجتهادي من الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم؟

وقع الخلاف في هذا، و الكلام هنا عن ترتيب السور وليس عن ترتيب الآيات، فترتيب السور، بعضهم قال: كان توقيفيا، والبعض قال: إن الترتيب اجتهادي من الصحابة رضي الله عنهم.

❁ والذي قال: كان ترتيبها توقيفيا (وهو اختيار الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى) قال: «إن الصحابة رضي الله عنهم رتبوها على حسب ترتيب الختمة الأخيرة التي ختمها النبي ﷺ على جبريل عليه السلام» لأن هذه الختمة حضرها زيد بن ثابت وهو الذي أشرف على كتابة المصاحف، وكتبها مرتبة.

❁ وهناك قول: بأن ترتيب السور اجتهادي (باجتهاد من الصحابة) وأنهم لم يكن عندهم توقيف من النبي ﷺ، واستدلوا على ذلك لأن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاته أحيانا على غير ترتيب المصحف، فقد قرأ النبي ﷺ مرة في ركعة واحدة سورة البقرة ثم سورة النساء ثم سورة آل عمران، وكان أحيانا يخالف ترتيب السور، فبعض العلماء قال: إن الترتيب كان اجتهاديا.

❁ وهناك رأي ثالث قالوا: بعضه توقيفي وبعضه اجتهادي، فقالوا: هناك سور كان النبي ﷺ يرتبها، أي حفظت مرتبة عن النبي ﷺ، فكان ﷺ دائما يقرؤها بالترتيب، وهناك سور لم يكن النبي ﷺ يرتبها، فتارة يقدمها وتارة يؤخرها، فهذه اجتهد الصحابة فيها.

أما بالنسبة لعدد آيات القرآن الكريم فقال:

وأجمَعوا في عِدَّةِ الآياتِ ... عَن سِتَّةِ الآلافِ ثُمَّ يَاتِيْ

مِنَ المئينَ بَعدها اثنَتانِ ... .

طبعا هناك اختلاف في مسألة عدد آيات القرآن الكريم، ومرجع هذا الاختلاف في عد آي القرآن الكريم، فهو بالنسبة للمذاهب في عدد آيات القرآن الكريم يقول الإمام أبو عمرو الداني رحمه الله يعد المذاهب في عدد آيات القرآن الكريم: «أجمعوا على أن عدد آيات القرآن الكريم ستة آلاف آية ثم اختلفوا فيما يزيد على ذلك، فمنهم من لم يزد، فقال: ستة آلاف، ومنهم من قال: ستة آلاف ومائتا آية وأربع، وقيل: وأربع عشرة، أي ستة آلاف ومائتان وأربعة عشرة، وقيل: ستة آلاف مائتين وتسع عشرة آية، وقيل: ستة آلاف مائتين وخمسة وعشرين آية، وقيل: ستة آلاف ومائتين وستة وثلاثين آية».

في الحقيقة القول الأول وفيه أنهم قالوا: ستة آلاف ولم يزيدوا عليه، فقالوا هذا على سبيل التقريب؛ لأن اختلاف القراء في عدة الآي لا يصل إلى درجة اختلاف في المئات، فهذا على سبيل التقريب، فإذن كما ذكر الناظم هنا أنه يعتبر أن هناك إجماعا على أنه ستة آلاف ومن المئين اثنتان أي ومائتان، أي ستة آلاف ومائتين وبعد هذا وقع الخلاف، إما ستة آلاف مائتين وأربع أو وأربعة عشرة أو وتسعة عشرة أو وخمسة وعشرون أو ستة وثلاثون.

وسبب هذا الخلاف: هو تقسيم الآية الواحدة إلى آيتين أو دمج آيتين في آية، أي ليس سبب الخلاف أن بعض الآيات موجودة في قراءة وليست موجودة في أخرى كما يزعم المستشرقون والنصارى في طعنهم في القرآن الكريم، يردون هذه الأقوال ويقولون: المصحف الذي عندكم فيه آيات ناقصة أو آيات زائدة، فهذا ليس بصحيح، فالذي حدث هو أنهم أحيانا يختلفون في الآية الواحدة، فبعضهم يقسمها إلى آيتين وبعضهم يدمج آيتين في آية واحدة.

قال: لأن الصحابة رضي الله عنهم أخذوا عد الآي من وقوف النبي ﷺ، فكان النبي ﷺ يقف على رءوس الآي، فكانوا يأخذونها من وقوف النبي ﷺ، فربما بعضهم سمع النبي ﷺ وقف وقفا فعده آية، وآخر مثلا سمع النبي ﷺ وصل هذا الموضع فلم يعده، وأحيانا يقف النبي ﷺ وقوفا جائزة في أثناء الآية، فرأس الآية عنده وقف ولكن هذا لا يمنع الوقوف في أثناء الآية إذا تم المعنى، فأحيانا يحصل وقف، ويختلف الصحابة رضي الله عنهم هل هذا الوقف هو لتمام الآية أو أن هذا الوقف لاكتمال المعنى مع كون الآية لا يزال لها تتمة؟

فلذلك وقع الخلاف في عد الآي، وهناك سور حدد النبي ﷺ عدد آياتها كسورة الفاتحة فقد قال النبي ﷺ: «**هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي**» فوصف النبي ﷺ سورة الفاتحة بأنها سبع آيات لهذا فإن الفقهاء والقراء اختلفوا في البسملة: هل هي آية من الفاتحة أم لا، فالذي عدَّها آية قال: هي سبع آيات بالبسملة، ولذلك اضطر هؤلاء إلى جعل الآية الأخيرة تبدأ من قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧] آية واحدة كلها حتى تكون البسملة آية، ويكون المجموع سبع آيات.

والفريق الآخر قال: البسملة ليست آية من الفاتحة، فيقسم هذه الآية الأخيرة إلى آيتين فيقول: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾ [الفاتحة:٧] رأس آية، ثم ﴿غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٧] هذا آية أخرى مستقلة، ولكن المجموع سبع آيات عند الفريقين.

ليس هناك آية كاملة مختلف في قرآنيتها سوى البسملة، أي أن البعض يقول: هي من القرآن فيعدَّها آية، والبعض يقول: ليست من القرآن ولا يعدَّها آية، أي

(**بسم الله الرحمن الرحيم**) هي الآية الوحيدة التي اختلف هل هي من القرآن أو ليست من القرآن، ما عدا ذلك من الخلاف في عد الآي يرجع إلى تقسيم آية طويلة إلى آيتين أو دمج آيتين في آية واحدة.

و هذا علم مستقل هو علم عد الآي وذكروا له بعض الفوائد، ومنها:

- أن الفقهاء يذكرون أن من جهل سورة الفاتحة أو من لم يحفظ الفاتحة يجب عليه أن يقرأ سبع آيات من سواها، وإذا كان لا يحفظ الفاتحة ويحفظ غيرها من القرآن يجب عليه أن يقرأ سبع آيات من سواها، فهنا يجب عليه أن يعرف هل هذه آية كاملة أو ليست آية.

- وكذلك في خطبة الجمعة أوجبوا على الخطيب قراءة آية كاملة، وإذا كان الخطيب لا يعرف رأس الآية، فربما قرأ جزءا من آية يحسبه آية كاملة وهي ليست آية.

- وكذلك أيضا في الصلاة، فقد قالوا: لا يصح الوقف، أي إنهاء القراءة في الصلاة على نهاية الآية فلا يصح أن تقسم الآية على ركعتين.

وكان الشيخ ابن باز سئل مرة عن إمام قرأ آية الدين فقسمها على ركعتين كل ركعة يقرأ نصف الآية فالعادة أن المسنون أن الإنسان يختم قراءته بنهاية الآية ولا يقطع قراءته على جزء من الآية، وهناك سورة الملك قال فيها النبي ﷺ: «**سُورَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِصَاحِبِهَا حَتَّى أَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾** [المُلك:١]». ولكن مع ذلك بعضهم قال: ثلاثون وبعضهم قال: إحدى وثلاثون وفسروا الحديث قالوا: على أنه على سبيل التقريب فالعرب أحيانا

تقرب إلى أقرب ألفاظ العقود.

ولم يختلفوا في أن ترتيب الآيات توقيفي لأن جبريل عليه السلام كان ينزل على النبي ﷺ ويقول: اجعل آية كذا بعد آية كذا أو قبل آية كذا في سورة كذا، فيحدد له موضع الآية من السورة، ولذلك كما ذكر المؤلف قال:

.... وأجمَعوا في الآيِ للقُرآنِ

بِأنَّهُ التَّوقيفُ للتَّرتيبِ مِن دونِ شَكٍّ ظاهرٍ مُريبِ

أي ترتيب الآيات توقيفي، ولهذا يجوز في الصلاة تنكيس السور بمعنى أن يقرأ سورة قبل سورة مخالفا ترتيبها في المصحف، لكن لا يجوز تنكيس الآيات، أي أن يقرأ آية قبل آية في ترتيبها في المصحف.

وبالنسبة لأسماء السور الكريمة: فالصواب أن بعضه توقيفي وبعضه اجتهادي، فبعض السور سماها النبي ﷺ، وحفظت تسميتها عن النبي ﷺ، وبعضها اجتهادي، وقد يكون للسورة الواحدة أكثر من اسم، وكلها توقيفية أو يكون لها أسماء توقيفية، وأخرى اجتهادية، فالأمر في ذلك فيه سعة إن شاء الله.

أي هناك بعض السور وردت تسميتها في نصوص ثابتة عن النبي ﷺ في سورة البقرة وفي سورة آل عمران، قال النبي ﷺ: «**الْبَقَرَةُ وَآل عِمْرَانَ تَشْفَعَانِ لِصَاحِبِهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» وهناك سور جاء فيها أكثر من اسم توقيفي عن النبي ﷺ وهناك سور لها أسماء توقيفية وأخرى اجتهادية سماها بها الصحابة رضي الله عنهم.

الْمُحكَمُ وَالْمُتَشابِهُ فِي القُرآنِ

وفي الكتابِ ما يُقالُ: مُحكَمُ ... أو قُل بِهِ تَشابُهٌ لا يُعلَمُ
وفيهِ آيٌ قد تدلُّ أَنَّما ... كُلُّ الذي بهِ يكون مُحكما
دليلُ هٰذا آيَةٌ مِن هُودِ ... عليكَ باستِذكارِهِ المَعهودِ
بَل فيهِ آي ثُمةَ احتجوا بها ... فضمَّنوا جميعَهُ التَّشابُها
دليلهُ مِن قولِ خلاَّقِ البَشَر ... ما قد أتىٰ بسُورةِ وهْيَ الزُّمَر
وفيه آيٌ تجمعُ القِسمينِ ... بِآلِ عِمرانَ الدّليل العَينِي
والحقُّ أنَّ الكُلَّ لا يُعارَضُ ... والجَمعُ خيرُ ما يكونُ يُعرَضُ
فالكُلُّ فيه مُحكمُ الإتقانِ ... فصاحةً باللَّفظِ والمعاني
وَالكُلُّ يُبدي تارَةً تَشابُها ... مِثلُ الَّتِي لِمُحكَمٍ قُلنا بِها
أمَّا الذي يَحوي كِلا الأَمرَينِ ... فَهْوَ اختِلافٌ جاءَ في القَولَينِ
عَن قَولِهِ سُبحانه: والرَّاسِخُون ... فالجُلُّ قالَ: الواو فيه قد تكون
موضوعَةً في مَوقِعِ استِئنافِ ... عليهِ فالتَّوجيهِ غيرُ خافِ
والبَعضُ قال: الواوُ أصلاً عاطِفَهْ ... قَد يعلَمُ التَّأويلَ نَفسٌ عارِفَهْ

إن القرآن الكريم فيه ما يقال له محكم وفيه ما يقال له متشابه:

❁ فعندنا في كتاب الله سبحانه وتعالى آية في سورة هود تصف القرآن الكريم كله بأنه محكم، وهي قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود:١]. فهنا المقصود بكتاب أحكمت آياته، الإحكام هنا بمعنى: الإتقان وعدم تطرق النقص إليه، وعدم تطرق الاختلاف عليه أو في صحته أو في ثبوته، فهو كتاب محكم أي متقن لا يتطرق إليه شك، فهذا معنى الآية الكريمة التي وصفت القرآن الكريم كله بأنه محكم.

❁ وعندنا آية أخرى في سورة الزمر كما ذكر الناظم تفيد أن القرآن الكريم كله متشابه وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ [الزُّمَر:٢٣] معنى متشابها هنا يشبه بعضه بعضا في كونه كله حقا وصدقا، وفي كونه من عند الله سبحانه وتعالى، فهذا معنى أن القرآن الكريم كله متشابه؛ لأن الله وصف القرآن بأنه متشابه.

❁ ثم عندنا آية أخرى في سورة آل عمران وصف الله تعالى فيها القرآن بأنه بعضه محكم وبعضه متشابه، وهذه الآية: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ [آل عمران:٧]. فهنا وصف الله تعالى القرآن الكريم بأنه بعضه محكم وأن بعضه متشابه، والمقصود هنا بالمحكم والمتشابه عندما يوصف القرآن بأن بعضه محكم وبعضه متشابه، فالمعنى الإجمالي أن المحكم ما لا يحتمل إلا معنى واحدا والمتشابه هو ما يحتمل أكثر من معنى، وهذا التفسير الإجمالي للمحكم وللمتشابه.

فقيل: المحكم ما عرف المراد منه، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه، وقيل: المحكم ما وضح معناه، والمتشابه ما لم يتضح معناه، وقيل: المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجها واحدا، والمتشابه ما يحتمل أكثر من وجه،... إلى غير ذلك من تفسيرات المحكم والمتشابه.

فنحن إذن حين وصفنا القرآن الكريم كله بأنه محكم، فالمراد أنه متقن لا يتطرق إليه شك أو نقص، وإذا قلنا: إن القرآن الكريم كله متشابه أي يشبه بعضه بعضا في الحسن وفي الحق والصدق وأنه من عند الله، وإذا قلنا: إن بعضه محكم وبعضه متشابه، فهذا معناه أن بعضه واضح جلي لا يحتمل إلا معنى واحدا وبعضه يحتمل عدة معان أو استأثر الله تعالى بعلمه أو معناه غير واضح أو غير جلي، وهذا ما دلت عليه آية سورة آل عمران.

ثم ذكر الخلاف في تفسير قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧].

فهنا الخلاف بين المفسرين في الواو التي في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧].

بعض المفسرين منهم ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن هذه الواو عاطفة ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧] قال: «وأنا من الراسخين في العلم الذي يعلمون تأويله» و على هذا القول قالوا: إن المقصود بالتأويل: التفسير؛ لأن التأويل يأتي بمعنى التفسير، أي لا يعلم تفسير القرآن الكريم إلا الله

تعالى والراسخون في العلم الذين علمهم الله تعالى تفسيره.

والقول الآخر قالوا: إن الوقف هنا تام أو لازم ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧]. ويجب هنا أن تقف على هذا التفسير، وتكون الواو استئنافية أي لبداية كلام جديد ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران:٧]. فإذن لا يعلم تأويله إلا الله، فيكون هنا التأويل ليس بمعنى التفسير ولكن بمعنى ما يؤول إليه الأمر في العاقبة؛ لأن التأويل يأتي بمعنى ما يؤول إليه الأمر في العاقبة؛ لأن كلمة التأويل جاءت في كتاب الله سبحانه وتعالى بمعنى تحقيق الشيء وما يؤول إليه في العاقبة، كما قال تعالى عن يوم القيامة: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٥٣].

فمعنى يوم يأتي تأويله أي وقوعه، فالآن يوم القيامة لم يأت تأويله، أي لم يقع بعد، فالله تعالى يخبرنا عنه، لكن تأويل يوم القيامة أي وقوعه على الحقيقة، فإذن عاقبة الأشياء وما تؤول إليه في ثاني الحال أو في العاقبة أو في المآل فهذا استأثر الله تعالى به، لكن التفسير يعلمه الله تعالى، وعلمه الله تعالى للراسخين في العلم، وعلى كل حال سيأتينا إن شاء الله أن التفسير على أقسام منها ما استأثر الله به ومنها ما أطلع الله عليه خلقه وعلمهم إياه.

إذا قلنا بأن الواو عاطفة كما قال ابن عباس رضي الله عنهما فتكون الجملة: ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران:٧] تكون جملة حال أي يكون المعنى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧] حال كونهم قائلين: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧].

على كل حال ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة موقف المؤمن من المحكم والمتشابه: أن المؤمنين يردون المتشابه إلى المحكم، أي المؤمن إذا وجد آية في كتاب الله تعالى معناها غير واضح أو تحتمل أكثر من معنى فسرها بالمعنى الذي تتوافق به مع الآية المحكمة أو لم يعارض بها الآيات المحكمة، فلا يأتي إلى الآيات المتشابهة ويفسرها تفسيرا تصبح به مصادمة للآيات المحكمة، وإنما الأصل هو الآيات المحكمة الواضحة الجلية التي لا تحتمل إلا معنى واحدا ودلالتها واضحة وظاهرة فهذا هو الأصل والمتشابه يرد إلى المحكم.

فهذا موقف المؤمنين وموقف الراسخين في العلم، وأما موقف الذين في قلوبهم زيغ فطريقتهم أنهم يتركون الآيات المحكمة الواضحة الجلية لأنها تصادم ما يدعون إليه، ويبحثون عن الآيات المتشابهة ويأخذونها ويفسرونها تفسيرا تصبح به مصادمة للآيات المحكمة، ثم يضربون كتاب الله بعضه ببعض، فهذه طريقة الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله حتى يحرفوه عن المعنى الصحيح.

الْمُتَشابِهُ فِي آياتِ الصِّفاتِ

وحَقِّــقِ الْمَقُــولَ في الصِّفــاتِ ... فإنَّمــا التَّفصيــلُ فيــهِ يَــأْتِي
أَطلِــقْ تَشــابُهاً علىٰ الكَيْفِيَّــةِ ... ولْتَعلَــمِ الْمَعــنَىٰ بِــلا بِدعِيَّــةِ
كَقَــولِ مالــكٍ في الاســتِواءِ ... وهٰكَــذا فَقِــسْ علىٰ السَّــواءِ

في هذه الأبيات يشير إلى الموقف الصحيح من آيات الصفات وعلاقتها بمسألة المحكم والمتشابه، فمن طريقة أهل البدع أنهم يزعمون أن آيات الصفات من ضمن الآيات المتشابهة، فيقولون: آيات الصفات آيات متشابهة ولا نفهم معناها، ويريدون تفويض المعنى، فيقولون: آيات الصفات مثلها مثل ﴿الٓمٓصٓ﴾ [الأعراف:١]. و﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم:١]. فيقولون: لا نفهم معناها، ولا نفهم منها شيئا ومما استأثر الله تعالى بعلمه، ويجعلون قوله تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]. وقوله تعالى: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰٓ عَيۡنِيٓ﴾ [طه:٣٩]. وقوله تعالى: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ [المجادلة:١٤]. وقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤]. يجعلون هذه الآيات متشابهة ولا نفهم منها شيئا ومثلها مثل فواتح السور والحروف المقطعة.

فهذا قول باطل وليس بصحيح، ولكن الصواب أن آيات الصفات آيات مفهومة المعنى، ومذهب السلف الصالح رضوان الله عليهم أنهم كانوا يفهمون معاني آيات الصفات، ويفسرونها ففسروا ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥] قالوا: علا وصعد واستقر وارتفع، ففهموا معنى الاستواء، وفسروا آيات الاستواء وغيرها من آيات الصفات فهموا معناها وفسروها.

ولا يعقل أن تكون آيات الصفات متشابهة، وهي أعظم آي القرآن الكريم، فأعظم آية في القرآن الكريم آية الكرسي، وكلها صفات الله سبحانه وتعالى، فأعظم سورة في القرآن الكريم سورة الإخلاص كلها صفات الله تعالى، فلا يعقل أن المقصود الأعظم لكتاب الله تعالى والذي لا تخلو منه آية من كتاب الله يكون كله متشابها لا يفهم معناه ولا يعلم مراده أو يحتمل وجوها متعددة فنتركها ولا نفسرها.

لكن في نفس الوقت أيضا فإن طريقة السلف تفويض الكيفية، أي كيفية الصفات هذه لا نعلمها، فنفهم المعنى ولا نفوضه، ولكن نفوض الكيفية، فهناك تفويض ممدوح وتفويض مذموم فالتفويض المحمود أو الممدوح هو تفويض الكيفية، أي نفهم معنى الاستواء أنه بمعنى علا وصعد واستقر، وارتفع، ولكن كيف استوى هذا لا نعلمه، فالكيفية نفوضها إلى الله تعالى.

فهنا المؤلف يقول: إن الذين قالوا: آيات الصفات متشابهة، من قسم المتشابه، فقال: هؤلاء إذا قصدوا أنها متشابهة من جهة المعنى فهذا كلام غير صحيح، بل معناها محكم، فهي من جهة المعنى محكمة واضحة جلية ومعناها ظاهر وواضح، ولكن إذا قصدوا متشابهة أي من جهة الكيفية، فإننا لا نفهم كيفية الصفات ونفوضها إلى الله تعالى، فهذا صحيح، ولذلك قالوا: التشابه في آيات الصفات، فيه تفصيل: إذا قصد التشابه في الكيفية فهذا صحيح، وأما المعنى فهو معلوم وقال كما قال الإمام مالك رحمه الله عندما قال: «الاستواء معلوم والكيف مجهول»، ومعنى (الاستواء معلوم) أي معناه معلوم وواضح لكن كيفيته مجهولة ويقول: قس على ذلك بقية آيات الصفات.

الإِعْجازُ فِي القُرآنِ

أُنْبِيكَ ماذا قِيلَ في الإِعجازِ ... في جُملَةِ القُرآنِ بالإِيجازِ
تَنَوَّعَت أَقوالُهُم في أوجُهِ ... إعجازِهِ والحَقُّ للمُستَنبِهِ
أَنَّ القُرَانَ مُعجِزٌ بِكُلِّهِ ... بِلَفظِهِ وشَرعِهِ وعِلمِهِ
وتَعجَزُ العُقولُ عَن مِثالِهِ ... وسُورَةٍ والعَشرِ مِن مَقالِهِ

إعجاز القرآن الكريم: مأخوذ من كون القرآن الكريم كان معجزة لرسول الله ﷺ، وبعض العلماء يسمي خوارق العادات التي تقع للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم معجزات، وبعضهم يسميها آيات وهو الاسم المفضل لأنه الذي استعمله القرآن الكريم، فإن الله عز وجل سمى خوارق العادات التي أجراها لأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم الآيات، فالقرآن الكريم كان آية لنبينا محمد ﷺ أو معجزة له ﷺ.

وجاء في تعريف المعجزة تعريفات، منها: أنها أمر خارج للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة، فهو أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، بمعنى الأنبياء يتحدون الكافرين بهذه الأمور، ويتحدون أن يأتوا بمثل هذه الأمور، وقولهم: سالم عن المعارضة، بمعنى أنه لا يستطيع أحد أن يعارضه أو يأتي بمثله، فهذه من تعاريف المعجزة.

وخوارق العادات التي تقع للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم تسمى معجزات

اصطلاحا، وخوارق العادات التي تقع لأولياء الله الصالحين وأولياء الله المؤمنين الأتقياء تسمى كرامات، وكرامات الأولياء هي معجزة لنبيهم، فكرامات أتباع نبي من الأنبياء هي من معجزات نبيهم، فكرامات أمة محمد ﷺ هي معجزة لنبينا محمد ﷺ.

وهناك خوراق عادات قد تقع للسحرة والمشعوذين والمنحرفين عن الطريق المستقيم، فهذه الخوارق تسمى الخوارق الشيطانية، وتكون من تلاعب الشيطان، ومن السحر والشعوذة، ولا تكون دليلا على صحة ما يدعو إليه صاحبها، فالقصد أن المسلم ينظر إلى من أتى بهذا الخارق فإن كان مستقيما على الحق كان هذا الخارق كرامة له، وأما إذا كان ضالا منحرفا وجاء بشيء من خوارق العادات فإنها تكون من السحر والشعوذة، ومن تلاعب الشياطين.

معجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كانت في العادة من جنس ما برع فيه أقوامهم، فكانت معجزات موسى عليه السلام عديدة منها قلب العصا حية تسعى، وأن يدخل يده في جيبه، والجيب هو فتحة صدر القميص فيدخل يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، أي من غير أن تكون مصابة ببرص أو شيء، لكن يخرج يده بيضاء فتكون شيئا عجيبا، فكانت هذه المعجزات لا يستطيع السحرة أن يأتوا بمثلها وكان عليه السلام في قوم قد اشتهروا بالسحر وكثر فيهم السحر.

وكانت معجزات عيسى عليه السلام من جنس ما برع فيه قومه وهو الطب، فكانوا قد برعوا في الطب وبلغوا فيه مبلغا كبيرا، فكانت معجزات عيسى عليه السلام أنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، وهو ما يعجز الأطباء

عن أن يأتوا بمثله، فأما نبينا محمد ﷺ فقد بعث في العرب وكان العرب قد تميزوا بالبلاغة والبيان، وحسن التعبير وجمال الأسلوب، فجاء القرآن الكريم معجزة لهم من هذا الباب.

ومذهب الحنابلة ومن وافقهم أن إعجاز القرآن في نظمه ولفظه، وأما المعنى ففيه خلاف عندهم هل هو معجز أو لا فهي ثلاثة أمور، و المذهب هو أن الإعجاز في كل من اللفظ والنظم وأما المعنى فهو معجز في الأصح

فاللفظ هو الكلمات المفردة وما فيها من الفصاحة من جهة عدم تنافر الحروف وعدم ثقلها في السمع والنطق وكون كل لفظة هي أفضل لفظة تدل على المعنى المراد بها في هذا السياق لا يمكن أن يضع أحد مكانها لفظة أخرى أفصح منها وأبلغ منها في الدلالة على المعنى المراد إلخ

وتعريفات النظم كثيرة فهو في اللغة ضم حبات اللؤلؤ في خيط لتصير عقدا والتعريف الاصطلاحي يدور حول كون نظم القرآن هو طريقة ترتيب ألفاظه في الجملة وطريقة ترتيب الجمل وما يتعلق بذلك من الحذف والإثبات والتقديم والتأخير والتأكيد وعدمه وطريقة التقسيم إلى سور والسور إلى آيات منها الطويل ومنها القصير بحيث صار أسلوب القرآن لا هو شعر ولا هو شبيه بالنثر المعروف عند العرب فهو أسلوب جديد أو طريقة جديدة في النظم فريدة من نوعها لا يمكن لشاعر ولا ناثر أن يرتب كلماته وجمله على طريقة النظم القرآني

وأما من جهة معناه، فهناك إعجازٌ تشريعيٌّ في القرآن الكريم، فيه شرائع محكمة إذا أخذ بها الناس صلحت أمورهم واستقامت معايشهم واستقام أمر دينهم

ودنياهم، وإعجازه من جهة الإخبار بالأمور المغيبات، والأمور المستقبلية، فقد أخبر القرآن الكريم بأشياء مستقبلية ووقعت مثلما أخبر، وإخباره عن الأمور السابقة بما يطابق حقيقتها، ويوافق أصولها رغم عدم اطلاع النبي ﷺ على هذه الأمور السابقة.

وكان القرآن الكريم نوعا من أنواع معجزات رسول الله ﷺ، وقد أوتي النبي ﷺ معجزات عديدة، ويتميز القرآن الكريم بأنه معجزة باقية إلى يوم القيامة، فلما كانت رسالة نبينا محمد ﷺ الرسالة الباقية الخاتمة إلى يوم القيامة، فأعطاه الله سبحانه وتعالى معجزة باقية إلى يوم القيامة لأن الأنبياء السابقين كانت رسالتهم محدودة ومحصورة بعصر معين، فكانت معجزاتهم محدودة بزمن أو بوقت وانقرضت بانقراض عصورهم.

وأما نبينا ﷺ فأعطاه الله تعالى معجزات مؤقتة حسية يراها من كان في عصره ﷺ مثل تفجر الماء من بين أصابعه وتسبيح الحصى بين يديه، وكون الشجر يستجيب لأمره ويتحرك من مكانه فيأتي ثم يعود وانشقاق القمر، وهكذا أمور كثيرة وقعت لنبينا محمد ﷺ، فكانت هذه معجزات محسوسة وقعت في عصر معين، وأعطاه الله تعالى القرآن الكريم معجزة باقية إلى يوم القيامة.

جاء في صحيح البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا**». ومعنى الآيات المعجزات أو خوارق العادات.

فإذن القرآن الكريم معجز في ألفاظه ومعجز في معانيه، وقد تحدى الله سبحانه

وتعالى الكافرين أن يأتوا بمثل هذا القرآن الكريم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [الطور:٣٤]. وأمهلهم الله تعالى سنين طوالا أن يأتوا بمثل القرآن الكريم وعجزوا عن ذلك، وبعد أن تحداهم الله تعالى أن يأتوا بمثل القرآن الكريم، تحداهم الله تعالى أن يأتوا بعشر سور منه فقال سبحانه: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [هود:١٣]. وتحداهم الله سبحانه وتعالى أن يأتوا بسورة واحدة فقال: ﴿ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [يونس:٣٨] وقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة:٢٣] وقال الله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨].

وقال السيوطي رحمه الله: «لم ينقل عن أحد منهم أنه حدث نفسه بشيء من ذلك ولا رامه، بل عدلوا إلى العناد تارة وإلى الاستهزاء أخرى، فتارة قالوا: سحر وتارة قالوا: شعر وتارة قالوا: أساطير الأولين، وكل ذلك من التحير والانقطاع، فعجز المشركون أن يأتوا بمثله رغم أنهم كانوا أرباب الفصاحة والبيان وبلغوا في فنون القول من شعر وخطابة وغير ذلك مبلغا عظيما ومع ذلك عجزوا عن الإتيان بمثل هذا القرآن الكريم».

وأحد أئمة المعتزلة يقال له النَّظَّام المعتزلي قال: «إعجاز القرآن الكريم هو بالصَّرفة» وقصده بالصرفة قال: إن القرآن الكريم إعجازه في أن الله تعالى صرف الناس عن أن يأتوا بمثله، فصرف العرب عن معارضته، وسلب عقولهم، وكان مقدورا لهم لكن عاقهم أمرٌ خارجي.

ففي دعوى هذا المعتزلي ومن وافقه أن إعجاز القرآن الكريم ليس في ذات القرآن الكريم أنه لا يستطاع أن يؤتى بمثله، فيقول: إن العرب كانوا يقدرون على أن يأتوا بمثل القرآن ولكن الله صرفهم عنه وصدهم عن ذلك فلم يعارضوه ولم يأتوا بمثله.

- لكن ردَّ أهل السنة كلامه وقالوا: إن هذا قول باطل، والقرآن الكريم معجز في ذاته، وليس لأن الله تعالى صرفهم عن الإتيان بمثله، ولكن القرآن في ذاته لا يستطاع أن يؤتى بمثله، ولكن كلام النظام يقول: إن القرآن الكريم مثله مثل كلام العرب، ولولا أن الله صرفهم عن أن يحاولوا الإتيان بمثله لكان في مقدورهم ذلك، تعالى الله عن ذلك.

- فالصواب أن القرآن الكريم معجز في ذاته، في لفظه ومعناه وما فيه من الشرائع والعلوم والإخبار بالمغيبات والإخبار عن الأمور السابقة ما لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله، ولكن في نفس الوقت قال العلماء: إنه لا مانع أن يقال: إنه من وجوه إعجاز القرآن الكريم أن الله تعالى صرف الله الناس عن الإتيان بمثله، لكن حتى لو حاولوا أن يأتوا بمثله فإنهم لن يستطيعوا ذلك، فإذا ذكر هذا كوجه إضافي أن الله صرف الناس عن الإتيان بمثل القرآن وصرفهم عن معارضة القرآن، فإذا ذكر هذا كوجه من وجوه الإعجاز مع قولنا بأنهم حتى لو حاولوا ولو فرض أن الله تعالى لم يصرفهم عن معارضة القرآن وحاولوا ذلك لما استطاعوا؛ لأن القرآن الكريم معجز في ذاته وفي ألفاظه وفي معانيه.

فوجوه إعجاز القرآن الكريم عديدة، منها:

- إخباره عن الغيوب المستقبلة، وإخباره عن قصص الأولين وسائر المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها، فالقرآن الكريم يقص علينا خبر الأمم السابقة حكاية من شهد هذه الوقائع وتفاصيلها وحكاية من حضرها، ولا يقص القرآن الكريم علينا شيئا إلا ويجيء مطابقا لحقيقة الأمر.

- ومن إعجاز القرآن الكريم إخباره عمَّا تضمره النفوس من غير أن تتكلم به أو تفعله فإن الله سبحانه وتعالى أخبر الناس في زمن نزول القرآن عن أشياء تخفيها صدورهم، وأخبر الله تعالى عنها كقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ [آل عمران:١٢٢] أي مجموعتان من الصحابة في غزوة أحد، أي قبيلتان أو فئتان منهم همتا بالفشل أي بالرجوع والانصراف عن مواصلة الغزو، ولكن الله تعالى ثبت قلوبهما فكان هذا مما أضمروه في قلوبهم ولم يظهروه، وأطلع الله تعالى نبيه ﷺ على ذلك، وقوله سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة:٨].

ومن الإخبار بالمغيبات قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤﴾ [الروم: ٢-٤]. وحسب التوقعات البشرية كان الروم قد هزموا هزيمة لا يتوقع أحد أن تقوم لهم بعدها قائمة، فأخبر الله تعالى أن الروم سيغلبون الفرس في بضع سنين، ووقع مثل ما أخبر الله تعالى بعد سبع سنين من نزول الآية الكريمة، والبضع: من ثلاث إلى تسع، فبعد سبع سنين تقريبا من نزول الآية الكريمة انتصر الروم على الفرس انتصارا عظيما باهرا مثل ما أخبر الله تعالى، وقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ

﴿وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح:٢٧]. فوقع مثل ما أخبر الله سبحانه وتعالى.

- وكذلك ما ذكرنا من فصاحة القرآن الكريم وبلاغته وجمال أسلوبه بما أعجز بلغاء العرب عن أن يأتوا بمثله، فما من معنى عبر عنه في القرآن الكريم إلا وكان التعبير القرآني الكريم هو أفضل وأكمل أسلوب يمكن أن يعبر به عن هذا المعنى، فلو حاول إنسان أن يستبدل لفظا من ألفاظ القرآن الكريم بلفظ آخر لا يمكن أن يكون في حسن اللفظ القرآني ولا مؤديا المعنى بكماله كما يؤديه اللفظ القرآني، أو حاول أن يقدم أو يؤخر أو يحذف أو يضيف لما استطاع أن يوصل المعنى بأجمل ولا بأفصح ولا أبين مما في القرآن الكريم.

- وكذلك مما جدَّ في العصر الحاضر وهو مسألة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم وهذا الأمر يحتاج إلى ضوابط، ومسألة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أي مطابقة ما في القرآن الكريم للحقائق العلمية التي تم اكتشافها والتعرف عليها في العصر الحديث مثل ما أفاده قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام:١٢٥]. فالآية أفادت أن من صعد إلى السماء وارتفع إلى فوق فإن صدره يضيق، واكتشف الآن أنه عند الصعود إلى طبقات عليا يقل الأكسجين ويضيق الصدر بسبب ذلك، ونحو ذلك من الأمور التي يوافق فيها القرآن الكريم ما عثر عليه وعرف من الحقائق العلمية.

لكن يشترط لذلك ضوابط:

- منها أن تكون هذه الحقيقة العلمية حقيقة ثابتة لا مجال للشك فيها أو الطعن فيها، أي تكون أمرا قطعيا ثابتا بحس ومشاهدة وليس مجرد نظرية قابلة للصواب

والخطأ لأن بعض الناس يتعسف في هذا الباب ويأتي إلى نظريات وآراء يذكرها بعض علماء الفيزياء أو الكيمياء أو الفلك، وهي قابلة للأخذ والرد، ويمكن أن يظهر خطؤها فيما بعد، فيحمل الآيات القرآنية عليها حملا، ويدعي أن هذه الآية تدل على صحة النظرية الفلانية، ثم بعد ذلك يكتشف خطأ هذه النظرية وتظهر نظرية أخرى أكمل منها وأصح، وهذا فيه تعريض القرآن الكريم إلى أن يطعن فيه، وأن يرتاب فيه المبطلون، فهذا من الباطل، فلا يجوز بحال من القرآن أن تفسر آيات القرآن الكريم بما يوافق نظرية غير مقطوع بصحتها.

ولكن الحقائق العلمية التي لا مجال للشك فيها، وقد ثبتت قطعا يمكن أن يقال: إن الآية الكريمة تشير إليها، بشرط أن يذكر ذلك أيضا على سبيل الظن وليس على سبيل القطع، أي لا يقول القائل: هذه الآية إنما يراد بها هذا المعنى على سبيل القطع، وإنما على سبيل الظن لأن هذا أمر اجتهادي، فيقال: لعل الآية الكريمة فيها إشارة إلى هذا المعنى، وأيضا أن يكون اللفظ لغة صالحا للدلالة على هذا المعنى الذي يراد، وأن يسلم هذا التفسير من المعارضات، فلا يكون معارضا لنص آخر من نصوص الكتاب والسنة.

- وكذلك أيضا ألا يكون هذا على حساب إبطال المعنى الأصلي الحقيقي للآية الكريمة، أي هذا يكون معنى إشاريا تشير إليه الآية، لكن هذا المعنى ليس بديلا عن المعنى الأصلي الذي فسرت به الآية وفسرها به النبي ﷺ وصحابته الكرام، فلا نلغي هذا التفسير ونفسر الآية بتفسير آخر يوافق الحقائق العلمية، ويجعلها بديلا عن التفسير الأصلي، ولكن نقول: التفسير الأصلي ثابت ونؤمن به ونعمل به ويضاف إليه أن الآية الكريمة تحتمل معاني عديدة ويكون هذا معنى

من ضمن المعاني التي تشير إليها الآية على سبيل الظن والاجتهاد، ويكون هذا وجها من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

فمثلا في قوله تعالى: ﴿ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الروم:٣] ف(أدنى) لها معانٍ، وقد فسرت أنها بمعنى: أقرب الأرض إليكم، فهذا هو التفسير الأصلي، وبعض الناس وجدوا أن منطقة البحر الميت هي أخفض منطقة في الأرض، فقالوا: في أدنى الأرض هذه من الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، والله تعالى أعلم، فيمكن أن يقال: إنه يحتمل أن يكون هذا المعنى قد أشارت إليه الآية أيضا وأن يكون المراد بالدنو القرب، وبالإضافة إلى ذلك أيضا انخفاض هذا الموضع.

أُنْبِيكَ ماذا قِيلَ في الإِعجازِ في جُمْلَةِ القُرآنِ بالإِيجازِ

أُنْبِيكَ أي: أخبرك، فمعنى البيت: أخبرك **ماذا قِيلَ في الإِعجازِ في جُمْلَةِ القُرآنِ**، أي ما هي أقوالهم في إعجاز القرآن الكريم إجمالا، أي الإعجاز للقرآن الكريم كله، وذلك **بالإِيجازِ** أي: باختصار، أي سأخبرك باختصار عن أقوال العلماء في إعجاز القرآن الكريم جملة؛ لأن هناك إعجازا لكل آية على حدة أو لكل سورة على حدة، وهناك إعجاز للقرآن الكريم جملة.

تَنَوَّعَت أَقوالُهُم في أوجُهِ إعجازِهِ والحَقُّ للمُستَنبِهِ

أي تعددت أقوال العلماء في أوجه إعجاز القرآن الكريم، **والحَقُّ للمُستَنبِهِ** أي للمتنبه، فالمستنبه: من النباهة وهي الفطنة والاستفسار.

أَنَّ القُرآنَ مُعجِزٌ بِكُلِّهِ بِلَفظِهِ وشَرعِهِ وعِلمِهِ

يخبر أن بعض الناس قالوا: إن إعجاز القرآن في ألفاظه وقالوا: إن إعجازه

في تشريعه، إن تشريعه محكم لا يستطيع أحد أن يشرع تشريعا أكمل من تشريع القرآن الكريم، وبعضهم قال: إن إعجازه في علومه، أي العلوم التي اشتمل عليها القرآن الكريم، فقد اشتمل على علوم لم يشتمل عليها كتاب آخر، فيقول: الحق أن القرآن الكريم معجز بكلِّ هذه الأمور، فهو معجز إعجازا في ألفاظه، وإعجازا في تشريعاته، وإعجازا في علومه.

وتَعجَـزُ العُقـولُ عَـن مِثـالِهِ وسُـورَةٍ والعَـشرِ مِـن مَقـالِهِ

فيقول أيضا إن العقول تعجز عن الإتيان بمثل القرآن الكريم، وتعجز عن الإتيان بسورة مماثلة لسورة من سور القرآن الكريم، وتعجز العقول عن الإتيان بعشر سور من سور القرآن الكريم.

ذكرنا أن الله سبحانه وتعالى تحدى الناس عن الإتيان بسورة من سور القرآن الكريم، وأقصر سور القرآن الكريم هي سورة الكوثر، فالإعجاز هو في الإتيان بسورة من سور القرآن الكريم، وبعض العلماء يقول: بسورة أو قدرها من الكلام، أي بسورة من سور القرآن الكريم أو ما يساوي سورة، أي بعض سورة أخرى، لكن تكون مجموعة آيات تساوي سورة من سور القرآن، وأقل سورة تكون ثلاث آيات.

وقال بعض العلماء: إن الإعجاز في القرآن الكريم يكون بسورة طويلة أو قصيرة أو ما يماثل أو يساوي سورة أو ما هو قدر سورة من القرآن الكريم، لكن لا يكون الإعجاز مثلا بكلمة واحدة على حدة، ولكن الإعجاز بمجموعة آيات من آيات القرآن الكريم ثلاث آيات أو ما يساوي أقصر سورة من سور القرآن الكريم.

وبعض العلماء قالوا: إنه يتعلق الإعجاز بقليل القرآن وكثيره، لكن أجابوا عن ذلك قالوا: الحديث التام لا تتحصل حكايته في أقل من كلمات سورة قصيرة لأن الإعجاز في القرآن الكريم يتضمن أسلوب التعبير بما فيه من تقديم وتأخير، وترتيب الكلمات والحروف، أي لا يكون أحد قد أتى بمثل القرآن إذا استبدل حرفا بحرف أو كلمة بكلمة، ويقول: هأنا قد أتيت بمثل القرآن الكريم، فيقال له: التحدي أن يأتي بسورة تماثل سور القرآن الكريم، ولا يستطيع أحد ذلك.

أَمثالُ القُرآنِ

تَشبيهُ شيءٍ بالذي في حكمِهِ ... فَهْوَ المثالُ ولتَنل مِن عِلمِهِ

وثَلِّثِ الأنواعَ للأَمثالِ ... وهاكها مذكورةً كالتَّالِي:

فالأَوَّلُ: الأَمثالُ بالتَّصريحِ ... للمَدحِ والتَّذكيرِ والتَّجريحِ

ثمَّ التي يدعونها بالكامِنَه ... وهْيَ التي تُحْيِي النّفوسَ الآمِنَهْ

والثَّالثُ: الأمثالُ هْيَ الْمُرسَلَهْ ... من غير تصريحٍ بلَفظٍ أو صِلَهْ

انتقل الناظم إلى الكلام عن أمثال القرآن الكريم:

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الزُّمَر:٢٧] وقال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣] وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى خَمْسَةِ أَوْجُهٍ: حَلَالٍ وَحَرَامٍ، وَمُحْكَمٍ وَمُتَشَابِهٍ وَأَمْثَالٍ، فَاعْمَلُوا بِالْحَلَالِ، وَاجْتَنِبُوا الْحَرَامَ وَاتَّبِعُوا الْمُحْكَمَ، وَآمِنُوا بِالْمُتَشَابِهِ، وَاعْتَبِرُوا بِالْأَمْثَالِ**».

والمحكم كما ذكرنا من قبل هو: ما لا يحتمل إلا معنى واحدا، والمتشابه هو: ما يحتمل أكثر من معنى، والاعتبار يأتي بمعنى: الاتعاظ والقياس على مثالها، أن يقاس عليها ويبنى عليها ويلحق بها ما يشابهها فيعطى حكمها، فضرب الله سبحانه وتعالى الأمثال في القرآن الكريم تذكيرا ووعظا وحثا على فعل الخير

وزجرا عن فعل الشر، ولتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس، فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص فتكون أثبت في الذهن، فالأمثال تصور المعاني في صورة محسوسة مما يساعد على ثباتها في الأذهان.

بعد ذلك نأتي إلى تقسيم الأمثال في القرآن الكريم:

فأكثر العلماء يذكرون أن الأمثال تنقسم إلى قسمين: قسم ظاهر وقسم كامن، والمؤلف هنا جعل الأمثال تنقسم إلى ثلاثة أقسام: الظاهر والكامن والمرسل.

المقصود بالظاهر: من أمثلته قول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة:١٧]. فقالوا: الظاهر هو الذي فيه تصريح بلفظ المثل، أي يكون لفظ المثل مصرحا به ويوجد عندنا مشبَّه ومشبَّه به، أي يقول سبحانه وتعالى: مثل كذا ككذا، فهذا المثل الظاهر الذي صرح فيه بلفظ المثل، فهنا ضرب الله تعالى مثلا للمنافقين بالنار ومثلا آخر بالمطر قال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة:١٧]. وقال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ [البقرة:١٩].

فالقسم الأول هو الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم، فقالوا: هذا مثل للمنافق الذي آمن ثم كفر، وثبت على كفره، أي آمن فأنار قلبه بنور الإيمان وأبصر طريق الحق من طريق الضلال ثم كفر والعياذ بالله تعالى فانطفأ ما معه من النور وأصبح في ظلمة الكفر، فهذا ضرب الله له المثل كالذي استوقد نارا، كشخص أوقد نارا فلما أضاءت له ما حوله ذهب الله بنورهم، فانطفأت هذه

النار وأصبح في ظلمة لا يبصر شيئا ولا يستدل على طريق.

والقسم الثاني من المنافقين هو الذي يكون في قلبه إيمان ونفاق، ويؤمن تارة وينافق تارة، فقلبه فيه اختلاط بين الإيمان والنفاق، فهذا مثله كمثل مطر، فضرب الله لهم المثل بمطر والمطر فيه ثلاثة أشياء: فيه ظلمات ورعد وبرق، فقالوا: هذا مثال لظلمات الكفر في قلب المنافق، والبرق هو نور الإيمان، وهنا شبه النور الذي معه بالبرق لأن البرق يسطع في لحظات قليلة ثم ينقطع، فعند برق أي نور عظيم، ولكن للحظات قليلة ثم ينطفئ هذا النور، لكن الظلمات هي الكثيرة في قلبه والرعد هو ما يقرع قلبه من المواعظ ومن حجج الله الباهرة التي تقرع قلبه فتجعله يراجع نفسه أحيانا فيأتيه هذا البرق الإيماني ثم ينطفئ مرة أخرى، ويعود إلى الظلمات والعياذ بالله تعالى، فهذا مثل ظاهر.

أما الأمثال الكامنة فهي التي ليس فيها تصريح بلفظ المثل ولكنها في نفس الوقت كانت أمثالا تضرب في الجاهلية أو قبل نزول القرآن الكريم، فكانت أمثالا يتداولها الناس قبل نزول القرآن الكريم، فجاء القرآن الكريم بعبارات أبلغ وأحسن تؤدي معنى الأمثال التي كان الناس يستعملونها في الجاهلية، فهذه الأمثال الكامنة، أي غير مصرح بها، ولكنها كانت أمثالا يستعملها الناس وجاء القرآن الكريم في بعض الآيات الكريمة بمعاني هذه الأمثال التي كان الناس يستعملونها لكن بألفاظ أجمل، وأسلوب أحسن.

وقد ورد ذلك كما نقل الإمام السيوطي رحمه الله عن الماوردي بإسناده عن إبراهيم بن مضاربٍ قال: «سمعت أبي يقول: سألت الحسين بن الفضل، فقلت: إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن، فهل تجد في كتاب الله خير الأمور

أوساطها؟ هنا سئل الحسين بن الفضل وقيل له: إنك تخرج الأمثال الكامنة، أمثال العرب والعجم التي كانوا يستعملونها، فتخرج الآيات القرآنية التي تفيد معاني هذه الأمثال، فقال: هناك مثل كان الناس يستعملونه يقولون: خير الأمور أوساطها، فهل في القرآن الكريم ما يفيد هذا المثل؟ فقال الحسين: نعم في أربعة مواضع ﴿لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة:٦٨]. وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:٦٧]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء:٢٩]. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:١١٠].

فقال: إذن هذه أربع آيات كمن فيها المثل الشائع خير الأمور أوساطها، فكمن هذا المثل في هذه الآيات الكريمة.

قال: قلت: فهل تجد في كتاب الله من جهل شيئا عاداه؟ قال: نعم في موضعين: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ﴾ [يونس:٣٩]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف:١١].

قال: فهل تجد في كتاب الله: احذر شر من أحسنت إليه؟ فقال: نعم، قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [التوبة:٧٤] أي ما سبب نقمتهم على هذا الدين وعلى الرسول ﷺ إلا أن الله تعالى أغناهم وأن الرسول ﷺ أغناهم فلأجل ذلك حقدوا على دين الله وعلى رسوله ﷺ.

قال: فهل تجد في كتاب الله ليس الخبر كالعيان؟ قال: في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ﴾ [البقرة:٢٦٠]. قال: فهل تجد في الحركات بركات؟ قال: في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا

وَسَعَةً﴾ [النساء:١٠٠]. قال: فهل تجد كما تدين تدان؟ قال: في قوله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣]». وذكر أمثالا أخرى عديدة يمكن الرجوع إليها إن شاء الله في كتاب الإتقان للإمام السيوطي رحمه الله تعالى.

أما المقصود بالأمثال المرسلة فقالوا: هي جمل لا يكون فيها معنى مَثَلٍ من الأمثال الشائعة التي كان العرب يستعملونها أو كان الناس يستعملونها سابقا ولكنها جمل وجيزة ليس فيها لفظ المثل ولا لفظ التشبيه، ولا يكمن فيها مَثَلٌ محدد من الأمثال التي كان يستعملها الناس، ولكنها جمل وجيزة تصلح أن يمثل بها ويضرب بها المثل في الحوادث، أي هي أمثال قرآنية أخذها الناس من القرآن الكريم، وصاروا يستعملونها في المواقف المشبهة لموضع ورودها في القرآن الكريم فيقتبسون هذا المثل القرآني ويستعملونه مثل قوله تعالى: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف:٤١]. فقد وردت في سياق قصة معينة في القرآن الكريم، وكما يقولون: فطارت مثلا أي أصبحت مثلا يستعملها الناس عندما ينحسم أمر من الأمور، فيقولون: (قضي الأمر الذي فيه تستفتيان).

وقوله عز وجل: ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود:٨١] فهذه جملة قرآنية وردت في سياق قصة لوط عليه السلام وإهلاك قومه، وصارت تستعمل مثلا لمن استبطأ خيرا أو نجاة من شيء مؤذٍ، وكان هذا الخير قريبا أو وقت النجاة كان قريبا فيقال له: (أليس الصبح بقريب؟!) أي اقترب وقت الفرج ووقت النجاة، فهذا ليس مثلا كان الناس يستعملونه، ولكنها جمل قرآنية وجيزة، طار الناس بها، وأصبحوا يمثلون بها لما يشابهها من الوقائع والأحداث التي تقع لهم، ومثل قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدَّثر:٣٨].

فإذن النوع الأول وهو الأمثال المُصَرِّحة، هي ما صُرِّحَ فيه بلفظ المثل أو ما يدل على التشبيه، أدوات التشبيه مثل الكاف وكأن

والنوع الثاني هو الأمثال الكامنة التي لا يصرح فيها بلفظ المثل، ولكنها كَمُنَ فيها معنى مثل من الأمثال التي كان الناس يتداولونها. يقول الناظم:

تَشبيهُ شيءٍ بالذي في حكمِهِ فَهْوَ المثالُ ولتَنل مِن عِلمِهِ

تعريف المثال: تشبيه شيء بالذي فيه حكمه، فهذا هو تعريف المثل أو المثال، وقوله: **(ولتَنل مِن عِلمِهِ)** أي: يوصيك أن تنال علم أمثلة القرآن الكريم.

وثَلِّثِ الأنواعَ للأَمثالِ وهاكها مذكورةً كالتَّالِي

قوله: (وثَلِّثِ الأنواعَ للأَمثالِ) أي أمثال الأنواع ثلاثة، قوله: (وهاكها) أي خذها مذكورة كالتالي:

فالأَوَّلُ: الأَمثالُ بالتَّصريحِ للمَدحِ والتَّذكيرِ والتَّجريحِ

فأول نوع هو الأمثال المصرِّحة التي ذكر فيها لفظ مَثَل أو مِثْل أو كاف التشبيه، ومن فوائدها: أنها تأتي للمدح وللتذكير وللذم الذي هو التجريح.

ثمَّ التي يدعونها بالكامِنَه وهْيَ التي تُحْيِي النّفوسَ الآمِنَهْ

النوع الثاني من الأمثال هو الأمثال الكامنة، وقد سبق شرحها.

والثَّالثُ: الأمثالُ وهْيَ الْمُرسَلَهْ من غير تصريحٍ بلَفظٍ أو صِلَهْ

أي ومن غير أن يكون المثل متصلا بمثل شائع مستعمل، وجاء اللفظ القرآني كما كان الناس يستعملونها.

أَقْسَامُ القُرآنِ

وإن تُـرِدْ أن تَعـرِفَ الأَقسـاما ... كَيـلا تكـونَ جاهِـلاً مُلامـا
فَـهْيَ الـتي تُـرادُ باليَمـينِ ... وصِيغَـةُ اليَمـينِ في الْمُبـين
بالفِعـلِ ثُـمَّ مُقسَـمٍ عليـهِ ... ومُقسَـمٍ بـهِ أَضِـف إليـهِ
تعـدَّىٰ الفعـل له بالبـاءِ ... كُفيـت بالنّظـم عَـنِ العَنـاءِ
ومُقسَـمٌ بـهِ مِـنَ القُـرَانِ ... فإنَّـهُ مُنَـوَّعُ البَيـانِ
كَأَنْ يَكـونَ مُقسِـماً بِذاتِـهِ ... أَو مُقسِـماً بِبعـضِ مَخلُوقاتِـهِ
فمَـرَّةً يكـونُ منـهُ مُظهَـرا ... وتـارَةً يكـونُ فيـهِ مُضمَـرا

انتقل الناظم للكلام عن أقسام القرآن الكريم، والأقسام: من (القَسَم)، فالأقسام جمع قسم، وهو الحلف أو اليمين.

أقسم الله سبحانه وتعالى بنفسه في سبعة مواضع وهي:

- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [يونس:٥٣].
- وقوله: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن:٧].
- وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ﴾ [مريم:٦٨].
- وقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر:٩٢].
- وقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء:٦٥].

- وقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج:٤٠].

- وقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ﴾ [الذاريات:٢٣].

فهذه سبعة مواضع أقسم الله سبحانه وتعالى فيها بنفسه.

قالوا: والباقي كله قسم بمخلوقاته، فباقي الأقسام القرآنية يقسم الله سبحانه وتعالى فيها بمخلوقاته كقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾ [الصافات:١]. ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس:١]. ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ [الليل:١]. ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [الضحى: ١-٢] إلى آخره.

والله سبحانه وتعالى لا يقسم بمخلوق إلا باسم معظم، ومن أغراض القسم بهذا المخلوق في كتاب الله سبحانه وتعالى التنبيه إلى شرفه ولفت النظر إلى العناية به، والتأمل فيه إذا كان آية من الآيات الدالة على قدرة الله تعالى وحكمته ووحدانيته.

وهنا يأتي السؤال فنقول: إن الله سبحانه وتعالى أقسم بالمخلوقات مع أن النبي ﷺ نهانا عن الحلف بغير الله، وقال: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**» فلماذا ورد القسم بالمخلوقات في كتاب الله تعالى مع أنه منهي عنه وهو من الشرك بالله تعالى؟

فالجواب يقال: إن المخلوق لا يجوز له أن يحلف إلا بالخالق سبحانه وتعالى، أمَّا الله سبحانه وتعالى فيقسم بما يشاء ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٣] وقد أجاب العلماء بأجوبة من قولهم: إن المقسِم لا يقسم إلا بما يجله أو بما هو فوقه، والله سبحانه وتعالى ليس فوقه شيء، أي المقسم كان يقسم

بشيء يجله، وبشيء هو فوقه في المنزلة والقدر، والله سبحانه وتعالى ليس فوقه شيء، فلذلك أقسم الله سبحانه وتعالى بنفسه تارة وبمصنوعاته تارة، بمخلوقاته تارة لأنها تدل على قدرته ووحدانيته.

ومن العلماء من قال: إن هذه الأقسام بالمخلوقات هي على حذف مضاف تحتاج إلى تقدير مضاف فإذا قلت: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ [التين:١] فيقولون: أي ورب التين والزيتون، أي هنا لفظ رب محذوف، وهو مضمر أي يقدر في الكلام، لكن كما ذكرنا فإن الله سبحانه وتعالى ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء:٢٣] والله تعالى يقسم بما يشاء، ولكننا نهينها عن القسم إلا بالله سبحانه وتعالى.

وفائدة القسم: تحقيق الخبر وتوكيده، تأكيد الخبر، فالناس كانوا إذا خاطبوا من لا علم له بالشيء فيعطوه الكلام مجردا عن التوكيد وعن القسم، فمثلا شخص لا يدري هل حضر زيد أو لم يحضر فتقول له: حضر زيد، فإذا كان جاهلا فيكفيه أن تخبره وتعلمه، وأما النوع الثاني فهو مخاطبة الشاكّ، فهذا يحتاج إلى مؤكد واحد، فيكفي أن تؤكد هل الكلام مثلا بلام التوكيد، أو بإن أو كذا، فتقول له: لزيد قائم أو لزيد حاضر أو إن زيدا حاضر ونحو ذلك فتؤكد بمؤكد واحد ثم يأتي النوع الثالث وهو خطاب المكذِّب، فإذا خاطبت شخصا مكذبا ليس أنه متردد في تصديق الشيء، ولكنه مكذب، فهذا يحتاج إلى التأكيد بمؤكدين أو أكثر.

ومن أقوى المؤكدات التي تؤكد له الكلام في مخاطبة من يكذب حتى تقاوم تكذيبه وتخبره بأن هذا الأمر حق، فتؤكد بمؤكدين أو أكثر فمن ضمن المؤكدات مثلا يمكن أن تجمع بين إن واللام فتقول: إن زيدا لحاضر أو لقائم، ويمكن أن تزيد بالقسم، فتقول: والله إن زيدا حاضر، أو والله إن زيدا لحاضر، فكلما تعددت

المؤكدات كان ذلك زيادة في ردع المكذب، فالقسم يؤتى به لتحقيق الخبر وتأكيد الخبر.

وذكر السيوطي رحمه الله فائدة القسم في القرآن الكريم، فقال: «القسم من الله سبحانه وتعالى إن كان لأجل المؤمن فالمؤمن مصدق بمجرد الإخبار من غير قسم». فيقول: هل الله سبحانه وتعالى أقسم في كتابه الكريم للمؤمن أو للكافر، فإذا كان القسم للمؤمن فالمؤمن مصدق بغير القسم، فمجرد أن يخبره الله تعالى بأمر سيقول: سمعنا وأطعنا ويصدق، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيد الكفار مهما أقسم الله تعالى لهم فهم لا يؤمنون. فكيف نجيب عن هذا الإشكال؟

فأجاب بأجوبة فقال: «إن القرآن الكريم نزل بلغة العرب ومن عادتهم القسم إذا أرادوا تأكيد أمر، فأقسم الله تعالى في الأمور التي أراد سبحانه أن يؤكدها وفي الحقيقة إن القسم له فائدة سواء في حق المؤمن أو في حق الكافر، ففي حق المؤمن يزداد المؤمن تصديقا لأن التصديق يزداد بزيادة الأدلة وزيادة البراهين، وكلما أقسم الله تعالى على أمر حتى في حق المؤمن فإن المؤمن يزداد تصديقا ويزداد إيمانا ويزداد عناية بهذا الشيء الذي أقسم الله تعالى عليه، ويزداد اهتماما به».

وأيضا من فوائد القسم: الاهتمام بالمقسم به، أي عند المقسم عليه، أي مثل الأقسام في سورة الشمس، فقد أقسم الله تعالى عدة أقسام من أول السورة حتى قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:١٠] فهنا جواب القسم أو المقسم عليه، فالمعنى الذي أقسم الله سبحانه وتعالى لأجله أنه قد أفلح من زكى نفسه وخاب من دسَّى نفسه، أي: أهمل تربيتها وتزكيتها.

فإذن المؤمن إذا سمع هذه الأقسام العديدة من رب العالمين سبحانه وتعالى على هذه الحقيقة، فلا شك أنه يزداد بها عناية، ويزداد بها اهتماما، فهذا الأمر مثلا أقسم الله عليه أحد عشر قسما متتابعا، فأقسم الله تعالى بها حتى يقرر هذه الحقيقة، فالمؤمن يصدق لو أن الله تعالى قال مباشرة: أفلح من زكى نفسه لصدق المؤمن، ولكن عندما تأتي هذه الأقسام فإن المؤمن يزداد انتباها لهذه الحقيقة، وكذلك أيضا تلفت النظر إلى هذه الأمور التي أقسم الله تعالى بها: الشمس والضحى والليل وكذا، فيتأمل المسلم في هذه الآيات ويستدل بها على قدرة الله سبحانه وتعالى.

وإن تُـرِدْ أن تَعـرِفَ الأَقسـاما كَيـلا تكـونَ جاهِـلا مُلامـا

إذا أردت أن تعرف أقسام القرآن حتى لا تكون **جاهِلا** وحتى لا تكون **مُلاما** أي: مستحقا للوم.

فَـهْيَ الـتي تُـرادُ باليَمـينِ وصِيغَـةُ اليَمـينِ في الْمُبـين

فالأقسام: هي اليمين أو الحلف، والمقصود بالمبين القرآن الكريم، فيقول: صيغة اليمين في القرآن الكريم:

بالفِعـلِ ثُـمَّ مُقسَـمٍ عليـهِ ومُقسَـمٍ بـهِ أَضِـف إليـهِ
تعـدَّى الفعـل له بالبـاءِ كُفيـت بالنّظـم عَـنِ العَنـاءِ

يقول: إن صيغة القسم فيها: مقسم به ومقسم عليه وفعل القسم الذي يتعدى بالباء، كقولك مثلا إذا قلت: أقسم بالله أن زيدا حاضر، ف (أقسم) هذا الفعل الذي تعدى بالباء، والمقسم به هو: (الله) الاسم المجرور بحرف القسم،

والمقسم عليه في هذا المثال: أن زيدا حاضر، وفعل القسم أحيانا يكون مصرحا به، وأحيانا يحذف فعل القسم كما سيبين المؤلف، أي أحيانا تجد فعل القسم (أقسم) أو (أحلف)، أو (حلفت) أو (أقسمت)، ففعل القسم أحيانا يصرح به وأحيانا يحذف.

وبالنسبة لحروف القسم فهي ثلاثة يؤتى بها للقسم، وهي الواو والتاء والباء، أي والله وبالله وتالله. وحروف القسم تكون حروف جرٍّ.

وورد في القرآن الكريم من هذه الحروف:

- الواو كثيرا في قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾[الشمس: ١-٢].

- والتاء وردت في مثل قوله تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم﴾[الأنبياء:٥٧].

- وأما الباء فقد قالوا: لم ترد الباء حرف قسم في القرآن الكريم إلا في وجه في الوقوف يسمى وقف تعسف فبعض الناس يقرأ {يا بني لا تشرك} وهنا يقف ثم يقول: ﴿بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[لقمان:١٣]. فيجعل الباء حرفا هنا حرف قسم.

ولكن في الحقيقة هذا وقف غير محبب؛ لأن التفسير المأثور المعروف أنه لا تشرك بالله، فهنا الجار والمجرور متعلق بالفعل تشرك، وليس متعلقا بفعل محذوف تقديره أقسم، فهنا الآن سيغير التفسير ويجعل متعلقا بفعل محذوف تقديره: أقسم.

ولكن الباء وردت في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ [المعارج:٤٠].

وقالوا: في لفظ الجلالة تستعمل الحروف الثلاثة، أي في اللغة يجوز استعمال الواو والباء والتاء مع لفظ الجلالة ومع لفظ رب، فقالوا: تأتي الواو والتاء فيقال: ورب الكعبة وترب الكعبة، وكما قلنا مع الباء قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ [المعارج:٤٠] لكن الواو هي أكثر الحروف شيوعا وتستعمل في كل مقسم به.

فقال: إن صيغة اليمين تكون بالفعل ثم مقسم عليه، ومقسم به، أضف إليه تعدي الفعل له بالباء، أي فعل القسم يتعدى للمقسم به بالباء.

ومُقسَـمٌ بــهِ مِــنَ القُــرَانِ فإنَّــهُ مُنَــوَّعُ البَيــانِ

أي الذي أقسم الله تعالى به في القرآن الكريم قد تنوع.

كَأَنْ يَكــونَ مُقسِــما بِذاتِــهِ أَو مُقسِــما بِبعــضِ مَخلُوقاتِــهِ

فأحيانا يقسم الله تعالى بذاته، وأحيانا يقسم ببعض مخلوقاته التي تدلُّ على عظيم قدرته.

فمَــرَّةً يكــونُ منــهُ مُظهَــرا وتــارَةً يكــونُ فيــهِ مُضمَــرا

أي: أحيانا يصرح بالقسم وأحيانا يضمر القسم.

وهنا أيضا مسألة، قالوا: إن القسم المضمر هو الذي حذف فيه فعل القسم والمقسم به وأتي بلام داخلة على جواب القسم تدل على قسم، فأحيانا يحذف فعل القسم ويحذف المقسم به ويؤتى باللام الواقعة في جواب القسم فتدل على قسم مقدر أو مضمر، فأحيانا فقط يحذف فعل القسم، لكن يذكر المقسم به، فهذا يعتبر من النوع الظاهر، أي سواء صرح بالفعل أو حذف الفعل لكنه ذكر

المقسم به فهذان يعتبران من القسم الظاهر، أما القسم المضمر فهو الذي حذف فيه فعل القسم، وحذف فيه المقسم به وأتي فقط بالمقسم عليه، مبدوءا بلام واقعة في جواب القسم تدل على القسم المحذوف.

مثل قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٨٦] فهنا لم يذكر فعل القسم ولا المقسم به ولا حرف القسم، فكل هذا محذوف، وفقط أتي بجواب القسم مبدوءا باللام فعرفنا أن هناك قسما مقدرا مضمرا، فاللام هي التي تدلك على القسم المقدر أو المضمر، ومن هذا نعلم أن اللام في قوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ [آل عمران:١٨٦] هذه اللام الواقعة في جواب القسم يكون معها نون التوكيد كما رأيتم: ﴿لَتُبْلَوُنَّ﴾ [آل عمران:١٨٦] فيكون معها نون التوكيد، وتدخل على الأفعال كما في هذا المثال.

لكن هناك لام أخرى تدخل على الأسماء كما في قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحِجر:٧٢]. فهذه اللام لا يعتبرونها لام قسم، وإنما يعتبرونها لامًا ابتدائية، وهذا محله في النحو، فهذه ليس لام قسم، وإنما دخل على المبتدأ، وأحيانا تزحلق إلى الخبر وتسمى المزحلقة.

أُصولُ التَّفسيرِ

مَن يطلُبُ التَّعريفَ ليسَ يتعَبُ لأَنَّه الْمَعنَىٰ الَّذي يُرَكَّبُ
فالأَصلُ: ما يُبنَىٰ عليهِ الغَيرُ فاحفَظهُ يا نَجيبُ فَهْوَ خَيرُ
وَعَرَّفُوا الْمُرادَ بالتَّفسيرِ: بالكَشفِ والتَّبيينِ والتَّنويرِ
وقيلَ بالتَّأويلِ في التَّرادُفِ وهْوَ الذي له اختياراً قد قُفِي
وجُملَةُ التَّعريفِ بالتَّركيبِ مَعلومَةٌ للنَّاظِرِ اللَّبيبِ
وَهْوَ: القَواعِدُ التي تكونُ مُعَوَّلَ التَّفسيرِ لا ظُنونُ
لأَجلِ أَن يُصَحِّحَ التَّفسيرُ ويَبعُدَ التَّحريفُ والتَّقصيرُ

بعد ذلك انتقل إلى أصول التفسير فبين معنى التفسير

التفسير (لغةً): هو تفعيل من (الفسر)، والفسر هو: البيان والكشف، إذن فالمعنى اللغوي للتفسير هو: التبيين، ويعبر عن التفسير أحيانا بالتأويل، فبعض العلماء أحيانا يستعملون كلمة التفسير بدلا من التأويل مثل تفسير الطبري، تفسير الإمام الطبري الذي يلقب بشيخ المفسرين، فكتابه: الجامع في تأويل القرآن الكريم، أي في تفسير القرآن الكريم.

وفي كل آية من آيات القرآن الكريم يقول: القول في تأويل قوله تعالى كذا، ثم يذكر تفسير الآية الكريمة، فيستعمل التأويل بمعنى التفسير، فالتأويل (في اللغة)

هو: الرجوع، لذلك إذا استعملنا التأويل بمعنى التفسير فيكون هنا صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني.

- **وقيل** التفسير والتأويل لغة بمعنى واحد.

- وقيل: التفسير أعم من التأويل، فقالوا: التفسير يستعمل في الألفاظ ومفردات الألفاظ، والتأويل في الجمل والمعاني، أي كل لفظة يكون لها تفسير للفظة على حدة، لكن التأويل يكون لتراكيب، أي تركيب الجملة تؤول، أي التأويل هو تفسير الجملة وأما التفسير فهو بيان معاني المفردات.

- وقال بعض العلماء: التفسير بيان لفظ لا يحتمل إلا وجها واحدا، والتأويل توجيه لفظ متوجه إلى معان مختلفة إلى واحد منها بما ظهر من الأدلة، فقالوا: التفسير هو اللفظ الذي لا يحتمل إلا معنى واحدا فنفسره أي نبين هذا المعنى الواحد، وأما التأويل فهو أن يكون اللفظ محتملا لمعاني، وهذا هو اللفظ المتشابه، فنحن عندنا محكم ومتشابه، فالمحكم لا يحتمل إلا معنى واحدا، فإذا بينت هذا المعنى الواحد يسمى تفسيرا، والمتشابه هو ما يحتمل أكثر من معنى، لكن بعض هذه المعاني مرادة وبعضها غير مراد، فإذا حددت المعنى المراد ونفيت عن اللفظ المعاني التي ليست مرادة فهذا يسمى تأويلا.

- كذلك أيضا قالوا: إن التأويل يستعمل بمعان، فكلمة التأويل لها عدة استعمالات: فأحيانا يأتي التأويل بمعنى التفسير كما ذكرنا، وأحيانا يأتي التأويل بمعنى صرف اللفظ عن المعنى المتبادر منه إلى معنى آخر محتمل مرجوح، أن الإنسان يصرف اللفظ عن المعنى الظاهر الذي يتبادر منه إلى المعنى المحتمل

المرجوح، أن يكون اللفظ له معنى يتبادر إلى الذهن، ومعنى آخر يحتمله اللفظ، ولكنه معنى مستبعد، فالتأويل أن تصرف اللفظ عن المعنى الظاهر المتبادل إلى المعنى الآخر البعيد، وهذا التأويل قد يكون صحيحا وقد يكون فاسدا إذا كان هناك أدلة تجعلنا لا نستطيع أن نفسر اللفظ بالمعنى الظاهر المتبادر.

إذا فسرنا اللفظ بالمعنى الظاهر الذي يتبادر إلى الذهن سيصبح هذا النص معارضا للنصوص الأخرى، فنضطر إلى أن نصرف اللفظ عن هذا المعنى الذي تبادر إلى الذهن منه ونفسر بالمعنى الآخر المحتمل الذي هو بعيد، فهذا يكون تأويلا صحيحا فأحيانا تأتي نصوص ظاهرها التعارض عند الفقهاء وعند المفسرين، فيوفقون بين النصوص بأن يصرفوا أحد النصين عن المعنى المتبادر منه إلى معنى آخر حتى يصبح موافقا للنصوص الأخرى، فيكون هذا تأويلا صحيحا.

وأما إذا كان بغير دليل يقتضي ذلك، أي ليس هناك دليل يوجب علينا أن نترك المعنى الظاهر المتبادر ونذهب إلى المعنى الآخر المحتمل المرجوح، فيكون من التأويلات الفاسدة، فالأصل أن تفهم اللفظ على المعنى الظاهر إلا إذا كان هناك عذر يمنعك من فهمه على المعنى الظاهر فتكون مضطرا إلى التأويل.

ويأتي التأويل أحيانا أيضا بمعنى ما يؤول إليه الأمر في العاقبة، أي ما يصير إليه الأمر في العاقبة، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾ [الأعراف:٥٣] أي: تأويل يوم القيامة، أي: وقوع يوم القيامة، فالآن عندنا إخبار عن يوم القيامة أنه سيكون فيه كذا وكذا، فيوم يأتي تأويله أي تحقيق هذه الأشياء في العاقبة، أي ما يصير إليه الأمر ويؤول إليه الأمر في العاقبة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن

قَبْلُ ﴾[يوسف: ١٠٠] أي وقوع الرؤيا وتحقق ما فيها.

والله سبحانه وتعالى أرسل كل رسول بلسان قومه، وأنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم باللغة العربية التي هي لغة نبينا محمد ﷺ، ولغة العرب الذي بعث فيهم النبي ﷺ، ومع ذلك فقد احتيج إلى التفسير وغمضت بعض المعاني واحتاجت إلى أن يضع العلماء كتبا في تفسير القرآن الكريم لحكم ولمعان متعددة، وسيأتي إن شاء الله أن القرآن الكريم منه أشياء تعلمها العرب من لغتها، ومنها أشياء لا يكفي فيها اللسان العربي بل تحتاج إلى معرفة المعنى الشرعي الذي أراده الله سبحانه وتعالى؛ لأن هناك ألفاظا نقلها القرآن الكريم عن الاستعمال الذي كان العرب يستعملونه، واحتاجت إلى بيان المعنى الشرعي.

حتى المعنى اللغوي فإن الناس دخل في لسانهم عجمة، أي العرب كانوا فصحاء ويفهمون اللغة لكن بعد ذلك دخلت العجمة في لسان الناس وصار يغيب عنهم كثير من معاني الكلمات العربية.

حكم تفسير القرآن الكريم وفضله وشرفه: فإن الله تعالى قال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[البقرة:٢٦٩]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الحكمة المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه». ودعا النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما فقال: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ» هنا علمه التأويل أي علمه تفسير القرآن الكريم، فلولا أن تفسير القرآن الكريم شرف وفضل، لما دعا به النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما.

وقال عمرو بن مرة: «ما مررت بآية في كتاب الله لا أعرفها إلا حزنتني» أي أصابني ذلك الحزن والأسف، ثم قال: لأني سمعت الله يقول: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣].. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «إني لأمر بالآية في كتاب الله فأقول: لو أن كل المسلمين يعلمون منها ما أعلم». وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني تبلغه الإبل لرحلت إليه».

فكان الصحابة رضي الله عنهم يعتنون بتفسير القرآن الكريم، ويتنافسون في تعلم هذا العلم الجليل، فأجمع العلماء على أن تفسير القرآن الكريم من فروض الكفايات من أجل العلوم الشرعية، وقالوا: إن شرف العلم إما بشرف موضوعه وإما بشرف غرضه وإما بشدة الحاجة إليه والتفسير تجتمع فيه هذه الأمور الثلاثة فحاز الشرف من جميع جوانبه.

فالعلم يكون شريفا بشرف موضوعه وموضوع التفسير هو القرآن الكريم فهو أشرف شيء، وكذلك بشرف غرضه أي الهدف من هذا العلم أي ما هو الهدف الذي يسعى إليه الإنسان فلذلك قالوا: صناعة الطب أشرف من صناعة الكنس، وذلك لأن غرض الطب إفادة الصحة كي يصح بدن الإنسان، وهذا الغرض أهم من فائدة الكنس الذي هو شيء مفيد ولكن فائدته تنظيف المكان، فهذه الفائدة أقل أهمية من فائدة أن يكون الإنسان صحيحا ليس مريضا، فالغرض من تفسير القرآن الكريم هو الاعتصام بالعروة الوثقى والوصول إلى السعادة الحقيقية، وهذا أعظم الأغراض.

وكذلك النوع الثالث من الشرف هو شرف العلم بشدة الحاجة إليه، فكلما

كان الناس أحوج إلى هذا العلم كلما كان أفضل وأشرف، وتفسير القرآن الكريم الناس تشتد حاجتهم إليه لأن كل كمال ديني أو دنيوي عاجل أو آجل مفتقر إلى العلم بكتاب الله تعالى، وكل العلوم الإسلامية متوقفة على العلم بكتاب الله تعالى فهو أصل العلوم الإسلامية ومنبعها، فهذا كله بين فضل التفسير وشرفه.

مَن يطلُبُ التَّعريفَ ليسَ يتعَبُ لأَنَّه الْمَعنَى الَّذي يُرَكَّبُ
فالأَصلُ: ما يُبنَى عليهِ الغَيرُ فاحفَظهُ يا نَجيبُ فَهْوَ خَيرُ
وَعَرَّفُوا الْمُرادَ بالتَّفسيرِ بالكَشفِ والتَّبيينِ والتَّنويرِ

أي الذي يطلب تعريف أصول التفسير ليسَ يتعَبُ، أي: لن يتعب في الوصول إلى معنى أصول التفسير، لأنه المعنى الذي يركب، من تعريف أصول وهي جمع أصل والأصل ما بني عليه غيره وتعريف تفسير القرآن الكريم وهو: العلم بمعاني القرآن الكريم.

ثم ذكر الناظم تعريف التفسير لغة فقال هو الكشف والتبيين والتنوير

وقيلَ بالتَّأويلِ في التَّرادُفِ وهْوَ الذي له اختيارا قد قُفِي

سبق أنه قد قال بعض العلماء: التفسير مرادف للتأويل.

وجُملَةُ التَّعريفِ بالتَّركيبِ مَعلومَةٌ للنَّاظِرِ اللَّبيبِ

لأصول التفسير معنى لغوي مركب من تعريف كلمة أصول لغة وتعريف كلمة التفسير لغة.

ولأصول التفسير معنى اصطلاحي باعتباره لقبا على علم مخصوص وهو ما

وضحه في الأبيات التالية:

وَهْـوَ القَواعِـدُ الـتي تكـونُ مُعَـوَّلَ التَّفسـيرِ لا ظُنـونُ

لأَجـلِ أَن يُصَحَّـحَ التَّفسـيرُ ويَبعُـدَ التَّحريـفُ والتَّقصـيرُ

أي أصول تفسير القرآن الكريم هي القواعد التي يعتمد عليها في تفسير القرآن الكريم، أي القواعد التي يعتمد عليها أو يعول عليها في كشف معاني القرآن الكريم والتبيين عنها لأجل أن يصحح المعنى، أي يفهم المعنى الصحيح، ونبعد عن القرآن الكريم التحريف، ونبعد عنه التقصير في فهم المراد منه.

مَصادِرُ التَّفسيرِ وأَنواعُهُ

مَصــادِرُ التَّفســيرِ للعَيــانِ ... مــا كانَ بِالْمأثــورِ والبُرهــانِ
والأَخــذُ بالمأثــورِ فيــه أصــلُ ... بِـشَرطِ أن يَصِـحَّ فيــه النَّقــلُ
أنواعُــهُ تكــونُ مــن ثَلاثَــه ... مَشــهورَةٌ بالنَّقــلِ والوِراثَــه
فخَــيرُ مــا يُفَــسَّرُ القــرآنُ ... بِمِثلِــهِ لِيَبــدُوَ البَيــانُ
ثــم الذي يُفَــسِّرُ الرَّســولُ ... لِيَســهُلَ الطَّريــقُ والوُصــولُ
ثــم الذي أتى عــنِ الصَّحابَــةِ ... أُولِيْ النُّــهَىٰ والفَهــمِ والنَّجابَــةِ
وثَــانِيَ الْمصــادرِ التــلاد ... وهْــوَ الذي يكــونُ باجتِهــادِ
وربّمــا يدعونــهُ بالــرَّأْيِّ ... وإن تُــرِد فخُــذ هُديــتَ رَأيِي
إن كانَ ذا الــرَّأيُ علىٰ الأصــولِ ... فإنَّــهُ المحمــودُ للفُحــولِ
وإن يكُــن بالــرَّأيِ ذلــكَ العِمِّيْ ... فإنَّــهُ المَذمــومُ كُلَّ الذَّمِّ

أي إن مصادر التفسير نوعان، المصدر الأساسي: وهو التفسير بالمأثور أو بالأثر، والمصدر الثاني: هو التفسير بالرأي والاجتهاد، فالتفسير بالمأثور هذا هو الأصل في التفسير، بشرط أن يصحَّ فيه النقل بأن يكون عندنا نقل ثابت عن النبي ﷺ إذا كان تفسيرا نبويا، أو عن الصحابي أو التابعي إذا كان تفسيرا عن الصحابي أو التابعي.

ثم أخبر أن أنواع التفسير بالمأثور ثلاثة أنواع مشهورة:

الأول: تفسير القرآن بالقرآن: بمعنى أنه أحيانا تجمل الآية في موضع وتفسر في موضع آخر، أو يختصر الكلام في موضع ويفصل ويبسط في موضع آخر، فيقول: تفسير القرآن بالقرآن هذا أولى ما يستعمل في التفسير، أن تنظر إلى الموضع المجمل وتبحث عنه في مكان آخر في القرآن الكريم إذا وجدته مفصلا فيه، فهذا تفسير القرآن بالقرآن.

وفي الحقيقة كلمة تفسير القرآن بالقرآن تأتي بهذا المعنى أنه أحيانا يكون الكلام مجملا في موضع ومفصلا في موضع فنحمل المجمل على المفصل، وهذا من معاني تفسير القرآن بالقرآن، وهناك نوع آخر يدخل في تفسير القرآن بالقرآن أو استعمال آخر وهو تتبع استعمالات اللفظة الواحدة في المواضع المتعددة من كتاب الله تعالى، ونفسر اللفظة في موضع، بما استعملت به اللفظة في موضع آخر، فننظر إلى استعمال الألفاظ في القرآن الكريم، فهذه اللفظة كيف تستعمل في كتاب الله تعالى؟ فإذا وجدناها استعملت بمعنى في موضع فنستعمل اللفظة بنفس المعنى في الموضع الآخر، وهذا الأسلوب هو الذي اتبعه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى في كتابه العظيم الذي هو كتاب: (أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن).

فمن أمثلة ذلك: اختلاف الفقهاء في موضوع: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور:٣١]. فما المقصود بزينة المرأة التي نهيت عن إبدائها؟

البعض يقول: ظاهر الزينة هو الوجه والكفان، فالمعنى يكون ﴿وَلَا يُبْدِينَ

زِينَتَهُنَّ ﴾ [النور:٣١] أي أجزاء بدنهن ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور:٣١] أي إلا الوجه والكفان، والبعض يقول: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور:٣١] هذا أي ظاهر الثياب، أي لا تبدي إلا ما ظهر من الثياب، فعلى المرأة أن تستر وجهها وكفيها وجميع بدنها، ولا تبدي إلا ما ظهر من الثياب، فالثياب تبدي طول المرأة أو قصرها، ومثلا نحافتها أو سمنها، أو كذا، فهذا معفو عنه لا تستطيع المرأة أن تستر هذا فلا تبدي إلا ما أظهرته الثياب، لكن ما عدا ذلك فإنها عليها أن تخفي بدنها.

فالشيخ الأمين الشنقيطي-رحمه الله-ومن سار على طريقته في تفسير القرآن بالقرآن فيقول مثلا: نتتبع لفظ الزينة، فهذان القولان مأثوران عن الصحابة ابن عباس ومن وافقه يقولون: «إلا ما ظهر منها الوجه والكفان»، وابن مسعود ومن وافقه يقولون: «ظاهر الثياب» فيقول الشيخ الشنقيطي: ننظر إلى لفظ الزينة في المواضع الأخرى هل تستعمل بمعنى الجزء من الشيء أو بمعنى ما هو خارج عن الشيء؟

فقال: إن لفظ الزينة في كتاب الله تعالى في المواضع الأخرى نجد أن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ﴾ [الكهف:٧]. فإذن زينة الأرض ليست جزءا منها وإنما ما عليها، أي شيء خارجي، ومثلا قوله تعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾ [الصافات:٦]. فالكواكب زينة للسماء، فالكواكب ليست جزءا من السماء وإنما هي شيء خارجي، وهكذا.

فيقول: إذن الزينة لا تأتي بمعنى الجزء من الشيء في استعمالات لفظ الزينة في القرآن الكريم في المواضع الأخرى. فيقول: إذن هذا يؤيد تفسير ابن مسعود أن

الزينة هي الثياب وليست الوجه والكفين؛ لأن زينة الأرض تكون ما عليها، وزينة السماء الكواكب، فزينة المرأة تكون الثياب والأشياء الخارجية لا تكون جزءا من بدنها.

لكن من العلماء من قال: إن هذه الطريقة لا نستطيع أن نقول: إنها من باب تفسير القرآن بالقرآن الذي هو مقدم على تفسير النبي ﷺ. فهم قالوا: إن تفسير القرآن بالقرآن هذا يُقدَّم على تفسير القرآنِ بالسنة، ثم يأتي بعدهما تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين. فقالوا: تفسير القرآن بالقرآن الذي هو مقدم هذا هو أن تجمل القصة في موضع، وتفصل في موضع، فهذا يكون تفسير القرآن بالقرآن بطريقة ظاهرة وواضحة، لكن مسألة تتبع استعمالات اللفظة في المواضع المختلفة فهذا يدخل في باب التفسير بالرأي، وليس في باب التفسير بالقرآن. فهذا يكون محل اجتهاد ونظر؛ لأنه ليس بالضرورة أن اللفظة تستعمل في كل القرآن الكريم بنفس المعنى، فكثيرا ما تأتي اللفظة في القرآن الكريم بمعنيين مختلفين، أي لفظ (التأويل) مثلا ورد في القرآن بمعانٍ مختلفة، ولفظ (الأُمَّة) ورد في القرآن بمعانٍ مختلفة مثلا: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف:٤٥] أي: بعد مدة من الزمن، و(أمَّة) تأتي أيضا بمعنى: أمة الدعوة، وأمة البلاغ.

وليس القصد هو مناقشة المثال، فهو فقط من باب ضرب المثال للتقريب، والقصد أن نقول: إن الصواب أن هذه الطريقة تعتبر داخلة في باب التفسير بالرأي، وليست في باب التفسير بالقرآن؛ لأنها مبنية على أن اللفظة لا تستعمل في القرآن إلا بمعنى واحد في جميع المواضع، وهذا ليس بصحيح كما ذكرنا لفظ (الأمة)، ولفظ (التأويل)، فهناك ألفاظ كثيرة استعملت في القرآن الكريم بمعانٍ

متعددة، فلا يلزم بالضرورة أنهم إذا اختلفوا في تفسير لفظة في معنىً أن نحملها قسرا على استعمال اللفظة في موضع آخر، فربما كانت اللفظة هنا بمعنى، وفي الموضع الآخر بمعنى آخر.

فإذن هذه الطريقة مختلفٌ في إدخالها في تفسير القرآن بالقرآن، لكن الشيء المقطوع بأنه من باب تفسير القرآن بالقرآن أن يكون نفس القصة أو نفس الموضوع أجمل في موضع وفصل في موضع، فنحمل المجمل على المفصل.

النوع الثاني: تفسير القرآن بالسنة إذا لم يجد الإنسان تفسير الآية في موضع آخر من القرآن فإنه يطلبه في سنة النبي ﷺ فإنها شارحة للقرآن وموضحة له.

النوع الثالث: تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين إذا لم يجد تفسير الآية أيضا في السنة فإنه يرجع إلى أقوال الصحابة رضي الله عنهم؛ وذلك أنهم أدرى الناس بتفسير القرآن الكريم لما شاهدوا من القرائن والأحوال عند نزوله فهم يعلمون أسباب نزول القرآن الكريم، وعايشوها وسمعوا تفسير القرآن الكريم من النبي ﷺ، ولما اختصهم الله تعالى به من الفهم ولأن الله رضي عنهم وأثنى عليهم، ففهمهم للقرآن أصح فهم، ولأنهم أهل اللغة العربية قبل طروء اللحن والعجمة، فتفسيرهم للقرآن الكريم من جهة اللغة فهم أعلم الناس بلغة العرب، وأعلم الناس بسنة النبي ﷺ، وأعلم الناس بأسباب نزول القرآن وترتيبه وناسخه ومنسوخه، فيرجع إليهم في تفسير القرآن الكريم، فهذه الأنواع هي التفسير بالمأثور.

وثَانِيَ المْصادرِ التِّلادِ ... وهْوَ الذي يكونُ باجتِهادِ

التِّلادِ: التَّالِدُ والتَّلِيدُ والتِّلادُ هو: القديم، وعكسه (الطريف) وهو: المحدث، والمال التلاد هو المال القديم المحفوظ عند الإنسان، والطريف هو المحدث فيقول: وبعد المصادر التلاد (وهي المأثورة) تأتي المصادر الاجتهادية.

و ربّما يدعونهُ بالرَّأْيِّ وإن تُرِد فخُذ هُديتَ رَأيِي

والتفسير بالاجتهاد ربما يسمى بالتفسير بالرأي.

إن كانَ ذا الرَّأيُ على الأصولِ فإنَّهُ المحمودُ للفُحولِ

وإن يكُن بالرَّأيِ ذلكَ العِمِّيْ فإنَّهُ المَذمومُ كُلَّ الذَّمِّ

فيقول: التفسير بالرأي ينقسم إلى قسمين: فهناك تفسير بالرأي محمود، وتفسير بالرأي مذموم.

واختصر الكلام بأن التفسير بالرأي المحمود هو الذي يوافق الأصول، ويوافق النصوص، ويكون إعمالا للاجتهاد في فهم مراد الله تعالى من أجل التوفيق بين الآيات الكريمة المختلفة، والربط بين الآيات وسنة النبي ﷺ، وليس الرأي المذموم، فالرأي المذموم هو معارضة القرآن الكريم بالرأي وإخراج الآية عن سياقها، وتفسير الآية بمعنىً تصبح به معارضة للآيات الأخرى، ومعارضة لحديث النبي ﷺ.

وموضوع التفسير بالرأي فيه كلام طويل على أساس أنه وردت نصوص فيها الوعيد لمن قال في القرآن برأيه، فقد قال ﷺ: «**مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ**». رواه أبو داود والترمذي والنسائي، لكن قالوا في تفسيره: إنه الرأي

الذي لا دليل عليه، وأما الرأي الذي يسنده البرهان ويسنده الدليل، أي أن يعمل الإنسان رأيه في اجتهاده وفهمه في محاولة الوصول إلى مراد الله تعالى بما يوافق النصوص والأدلة، فهذا يكون رأيا صحيحا.

قال الزركشي: «لا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل أي من غير الاعتماد على الأدلة والنصوص، لكن إذا استعمل رأيه في محاولة الوصول إلى مراد الله تعالى بما يوافق النصوص والأدلة فهذا يكون محمودا».

شُروطُ الْمُفَسِّرِ

وجُملَـةُ الـشُّروطِ للمُفَـسِّرِ أَن يَعلَـمَ التَّوحيـدَ للتَّبَـصُّرِ
وَلْيَتَّـقِ التَّحريـفَ فيـهِ والْهَـوىٰ ومَـن يَكُـنْ مُحَرِّفـاً فقَـد هَوىٰ
ولْيَعلَـمِ التَّفسـيرَ والأُصـولا وجُملَـةَ الحديـثِ والنُّقـولا
وأَن يُجيـدَ النَّحـوَ واللُّغـاتِ يُمَـيِّزُ الَّذيـن ثـمَّ الَّـلاتِي
ويَنبَـغي أن يَلـزَمَ الآدابـا بِكَونِهـا للطَّالبـينَ بابـا
فَلْيُخلِصَـنَّ عامِـلاً خَليقـا وَلْيَنصَـحِ العَـدُوَّ والصَّديقـا

هذه هي الشروط الواجب توافرها في المفسر، فقال:

أَن يَعلَمَ التَّوحيدَ أي: أن يكون صحيح العقيدة حتى يتبصر، وحتى لا يفسر القرآن الكريم فيلوي أعناق الآيات الكريمة من أجل نصرة العقائد الفاسدة كما فعل بعض المفسرين من المعتزلة والرافضة والجهمية، يلوون أعناق الآيات حتى تؤيد العقائد الباطلة. فيشترط في المفسر أن يكون سليم المعتقد.

وَلْيَتَّقِ التَّحريفَ فيهِ والْهَوى فيجتنب تحريف القرآن الكريم، ويبتعد عن اتِّباع الهوى، فلا يكون له هوى يحمله على محاولة تفسير الآية بما يوافقه هو، بل لا بد أن يكون مجردا عن الأهواء، ويكون غرضه من التفسير الوصول إلى الحق، والوصول إلى مراد الله سبحانه وتعالى.

قوله: **(ومَن يَكُنْ مُحَرِّفًا فقَد هَوى)** فالتحريف هو التأويل الفاسد، أي ألا

يكون محرفا، أي: ممن يصرف اللفظ عن المعنى المتبادر إلى معنىً محتملٍ مرجوحٍ بغير دليل أو بغير قرينة، وإنما من أجل اتباع الهوى حتى يوافق هواه ويحلل ما يشتهي تحليله.

ولْيَعلَمِ التَّفسيرَ والأُصولا وجُملَةَ الحديثِ والنُّقولا

أي يشترط في المفسر أن يكون عالما بتفسير من سبقه (المأثور) من تفسير النبي ﷺ للآيات التي فسرها، وتفسير الصحابة رضي الله عنهم والتابعين للقرآن الكريم فيكون عالما بذلك، وأن يعلم الأصول فيكون عالما بالقواعد التي لا بد للمفسر أن يعلمها، وأن يكون عالما بحديث النبي ﷺ، وبالنقول التي يحتاج إليها في تفسير القرآن الكريم.

(وأن يجيد النحو واللغات) فيشترط في المفسر أن يكون عالما بالنحو وعالما باللغة العربية؛ لأن القرآن الكريم أنزل بلسان عربي مبين، فلا بد أن يكون عالما بالنحو وعالما باللغة، واللغة طبعا تشمل: علوم اللغة بما فيها الصرف وبما فيها البلاغة والبيان، ومعاني المفردات، فلا بد وأن يكون عالما بهذا.

ثم قال: **(يُمَيِّزُ اللذين ثمَّ اللاتِي)** العلم بالأدوات، يسمونها الأدوات التي يحتاج إليها المفسر، وهي معاني الأدوات، وتكلم عنها السيوطي فعقد لها بابا كبيرا في الأدوات مثل الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة، وأسماء الاستفهام، ونحو ذلك مما يكثر استعماله في القرآن الكريم، فلا بد وأن يكون عالما بمعاني هذه الأدوات، وباستعمالاتها المختلفة، أي مثلا (ما) متى تكون استفهامية، ومتى تكون شرطية، ومتى تكون نافية؟ لأن كل استعمال من هذه الاستعمالات

يُحَوِّل معنى الآية إلى معنىً آخر، فهي نفس الأداة تأتي باستعمالات متعددة، وكل استعمال له شروط وله ضوابط.

فحتى لا يأتي في موضع، تكون فيه (ما) مثلا شرطية فيجعلها موصولة، أو استفهامية فيجعلها شرطية، فيخل بالتفسير، فلا بد أن يكون عالما بالأدوات مثل العلم باللذين والعلم باللاتي، فضرب مثالا بالأدوات.

(ويَنبَغي أن يَلزَمَ الآدابا) فلا بد للمفسر أن يكون ملتزما بالآداب الشرعية، فمن هذه الآداب أن يكون مخلصا لله تعالى، وأن يكون عاملا بالقرآن الكريم، وأن يكون (خليقا) أي: أن يكون متحليا بحسن الخلق، وأن يكون ناصحا للعدو والصديق أي راغبا في هداية الناس ونفعهم، أي حتى العدو يريد أن ينصح له ويأخذ بيده إلى طريق النجاة وطريق الهداية.

أَسبابُ الاختِلافِ في التَّفسيرِ

وجُملَـةُ الأسـبابِ في الخِـلافِ مَبذولَـةٌ تُعَـدُّ للمُـوافِي
مِثـلُ القِـراءَاتِ إذا تَعَـدَّدَت وأوجُـهِ الإعـرابِ إن تَـرَدَّدَت
ولِاحتِمـالِ اللَّفـظِ في مُـرادِهِ بِجُملَـةِ المعـاني لِاعتِـدادِهِ
وهٰكـذا الإطـلاقُ والتَّقييـدُ وَبُلْغَـةِ الدَّليـلِ ذا أَكيـدُ
والنَّسـخُ والإحـكامُ والإظهـارُ حيـثُ المُـرادُ ثُمَّـةَ الإضمـارُ
كَـذا الخُصـوصُ بعـدَهُ العُمـومُ كَي تَكمُـلَ الأَسـبابُ والفُهـومُ

هناك أسباب أدت إلى اختلاف المفسرين: **(مِثلُ القِراءَاتِ إذا تَعَدَّدَت...**

فمن أسباب اختلاف المفسرين في تفسير آيات القرآن الكريم أحيانا أن تختلف القراءات القرآنية، فكلٌّ يفسر الآية على حسب القراءة التي عنده مما يؤدي إلى اختلاف التفسير، أي مثلا في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾ [البقرة:١٨٤]. كان ابن عباس رضي الله عنهما يقرؤها: (**وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**) ف (**يُطِيقُونَهُ**) أي: يقدرون عليه، و(**يُطَوَّقُونَهُ**) أي: يتجشمون ويشق عليهم، أي مثل الطوق في عنق الإنسان، فهذا يكون شيئا شاقا وفيه حرج ومشقة، أما (يطيق) بمعنى: يقدر.

فلذلك المفسرون الذين أخذوا بالقراءة المشهورة ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ

﴿فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾ [البقرة:١٨٤] قالوا: هذه الآية منسوخة، أي القادرون على الصيام يجوز لهم أن يفطروا ويطعموا عن كل يوم مسكينا، إذن إذا فسرنا الآية بهذا التفسير تكون الآية منسوخة وليست محكمة، وبعض الصحابة فسر الآية كذلك، وقال: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾ [البقرة:١٨٤] هذه كانت رخصة في أول الأمر للقادرين على الصيام، خَيَّرهم الله بين أن يصوموا وبين أن يفطروا ويطعموا عن كل يوم مسكينا، ثم نسخ الله تعالى هذا بالآية التي بعدها.

فابن عباس كان يقرأ: (وَعَلَى الَّذِينَ يُطَوَّقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ) أي: يتجشمونه ويشق عليهم، ولا يستطيعون الصيام ﴿فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾ [البقرة:١٨٤] فتفسير الآية هنا على الذين لا يستطيعون الصيام ولا يقدرون عليه أن يطعموا عن كل يوم مسكينا، فبهذا المعنى تكون هذه الآية محكمة وليست منسوخة، ولذلك ابن عباس قال: «إنها ليست بمنسوخة، هي في الشيخ الكبير والمرأة العجوز والحامل والمرضع، يفطرون ويطعمون عن كل يوم مسكينا»؛ لأنه فسَّر كلمة (يُطَوَّقُونَهُ) التي هي بمعنى: يتجشمونه ويشق عليهم ولا يستطيعونه فقال: إنها ليست بمنسوخة، والذين قالوا: ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ [البقرة:١٨٤] أي: يقدرون عليه، قالوا: إنها منسوخة. فاختلف التفسير لاختلاف القراءات القرآنية المتعددة، و كما بينا من قبل أن القراءات القرآنية الكريمة لا تتعارض، وإنما الخلاف بينها خلاف تنوع، أي الآية تصبح دالة على أكثر من معنى، فكل قراءة كأنها آية مستقلة، هذه تفيد معنى وهذه تفيد معنى وليس بين المعنيين تعارض.

.... وأوجُـهِ الإعـرابِ إن تَـرَدَّدَت

فمن أسباب الاختلاف أحيانا اختلافهم في أوجه الإعراب، فيؤدي إلى اختلاف

تفسير الآية تبعا لاختلاف أوجه الإعراب، فأحيانا الآية الكريمة تكون محتملة لأكثر من وجه من وجوه الإعراب، وإذا أعربتها بطريقة فسرتها به، وإذا أعربتها بطريقة أخرى فسرتها تفسيرا آخر.

ولاِحتِمالِ اللفظِ في مُرادِهِ بِجُملَةِ المعاني لاِعتِدادِهِ

فمن أسباب اختلاف المفسرين أن اللفظ أحيانا يكون محتملا لأكثر من معنى، فكل واحد من المفسرين يفسره بأحد المعاني التي يحتملها.

وبهذه المناسبة ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن معظم اختلاف المفسرين من الصحابة رضي الله عنهم هو اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد، فقال: «إن الآية الكريمة تكون محتملة معاني كثيرة، وكلها حق فيفهم كل مفسرٍ منهم معنى من المعاني التي أرادها الله تعالى، فيقول: هذه الآية معناها كذا، والثاني يقول: معناها كذا، والثالث يقول: معناها كذا، وتكون المعاني كلها صحيحة لأنها ليس بينها تعارض، كلها معناها حقة، وقد أرادها الله تعالى».

فيقول شيخ الإسلام رحمه الله: إن من أصول التفسير أن تفسير الصحابة رضي الله عنهم هو من باب تنوع العبارات وتنوع الألفاظ، وكلها معان حقة أرادها الله سبحانه وتعالى، وكل منهم عبر بمعنى أو عبر بأسلوب، فأحيانا يكونون جميعا يقصدون معنى واحدا ولكن تنوعت تعبيراتهم عنه، وأحيانا يقصدون معاني مختلفة، لكنها اختلاف تنوع وليس اختلاف تضاد، فتكون المعاني كلها صحيحة، وكلها مرادة، فأحيانا اللفظ يحتمل أكثر من معنى وكل منهم يفهمه بمعنى ويفسر الآية بناء عليه.

وهكـذا الإِطـلاقُ والتَّقييـدُ وَبُلْغَـةِ الدَّليـلِ ذا أَكيـدُ

فأحدهم يقول: هذه مطلقة والآخر يقول: مقيدة، وقالوا في تعريف المطلق من ضمن تعريفاته: اللفظ المتناول لجميع ما يصلح له لا دفعة؛ لأن العام هو اللفظ المتناول لجميع ما يصلح له دفعة، فالعام اللفظ الذي يتناول جميع ما يصلح له، يصلح لمعان عديدة، ويتناول جميع ما يصلح له، أما المطلق فإنه اللفظ الذي يتناول جميع ما يصلح له لكن ليست كلها في نفس الوقت، أي هو يتناولها كلها لكن المراد واحد منه.

فمثلا النكرة في سياق النفي تعم، وذلك مثل لو قال شخص: (لم يحضر رجل) فكل الرجال يدخلون في هذا الاستعمال فكلهم نفينا عنهم الحضور، فهذا يكون من جنس العام، لكن إذا قلت: (حضر رجل)، فالمراد أن رجلا واحدا محددا الذي حضر، فلفظه مطلق يتناول جميع الرجال لكن ليسوا دفعة واحدة، أي يتناولهم جميعا كل واحد منهم يمكن أن يكون هو المقصود، لكن هو المقصود واحد فقط وليس كل الرجال، أي لا يصلح في المطلق أن تحذف اللفظ وتضع مكانه لفظة (كلّ)، فإذا قلت: (لم يحضر رجل) أي: لم يحضر أي رجل، أو: كلُّ الرجال لم يحضروا؛ لأنها نكرة في سياق النفي فتعمُّ، لكن إذا قلت: (حضر رجل) فهو واحد فقط الذي حضر، لكنه مطلق غير مقيّد باسمٍ أو وصفٍ، فيمكن أن يكون زيدا ويمكن أن يكون عمرا. لكن لا يمكن أن يكون زيدا وعمرا في نفس الوقت، بل أحدهما فقط، وهكذا.

فالقصد أن المطلق هذا يحتاج إلى تقييد، فأحيانا شخص يقول: هذا الآية

مطلقة، وشخص يقول: بل هي مقيدة، والمراد بها شيء محدد معين ورد في موضع آخر، مثل اختلافهم مثلا في الكفارات فأحيانا يقول: ﴿فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾ [النساء:٩٢] ولا يقيدها بمؤمنة، وتكون وردت (تحرير رقبة مؤمنة) في موضع آخر، فهناك شخص يُجري المطلق على إطلاقه ولا يقيده، فيقول: (رقبة) أي: مؤمنة أو غير مؤمنة، والبعض يقول: نحمل المطلق على المقيد في الآية الأخرى ونقول: رقبة مؤمنة، وهكذا.

قوله: (وبلغة الدليل) فأيضا من أسباب الاختلاف بلوغ الدليل لأحدهم وعدم بلوغه إلى الآخر، فأحيانا يكون هناك دليل يؤدي إلى تفسير الآية بمعنى معين، وهذا الدليل لم يبلغ بعض المفسرين، فلم يفهموا هذا المعنى من الآية لعدم وصول الدليل إليهم بينما بلغ هذا الدليل بعض المفسرين ففسروا الآية بمقتضاه.

والنَّسخُ والإِحكامُ والإِظهارُ حيثُ المُرادُ ثُمَّةَ الإِضمارُ

(ثُمَّة) أي: هناك، فيقول: (النسخ) أي اختلافهم في كون الآية منسوخة أو غير منسوخة يؤدي إلى اختلافهم في التفسير، فبعضهم يقول: هي منسوخة وبعضهم يقول: ليست منسوخة، وأحيانا يكون الأمر اجتهاديا ليس مقطوعا به، فيختلفون في نسخ الآية أو عدم نسخها.

(والإحكام) وهو كون الآية محكمة أو متشابهة، أي: هل هذه الآية من قسم المحكم الذي لا يحتمل إلا معنى واحدا، أو هي من قسم المتشابه الذي يحتمل أكثر من معنى، فأحيانا يختلفون في هذا.

و(الإظهار والإضمار) أي: هل هناك مضمر أي مقدر؟ فأحيانا بعض المفسرين

يقول: هذه الآية فيها محذوف مقدر، فالإضمار هو: التقدير، فيقول: إن الآية هنا فيها لفظ محذوف مضمر يحتاج إلى أن نقدره، ثم يجتهدون في تعيين هذا المضمر، وقد يختلفون في أي المضمرات أريد، والبعض يقول: ليس هناك إضمار بل هي على ظاهرها وليس هناك حذف ولا تقدير، فكلها من أسباب اختلاف المفسرين.

كَـذا الخصـوصُ بعـدَهُ العُمـومُ كَي تَكمُـلَ الأَسـبابُ والفُهـومُ

قد شرحنا الخاص والعام، فبعضهم يقول أحيانا: هذه الآية عامة وبعضهم يقول: بل هي خاصة.

وقال: **(كَي تَكمُلَ الأَسبابُ والفُهومُ)** أي: وبهذا تكتمل أسباب اختلاف المفسرين.

أَسَاليبُ التَّفسيرِ

تَعَــدَّدَ التَّفســيرُ بالأُســلوبِ فـالأَوَّلُ التَّحليـلُ للمَطلـوبِ
وبَعـدَهُ التَّفسـيرُ بالإجمـالِ والثَّالِــثُ الْمُقــارَنُ الْمِثــالِي
والرّابـعُ: التفسـيرُ بالْمَوضـوعِ ورُبَّمـا التَّنويـعُ فيـه رُوعِـي

هناك عدة أساليب لتفسير القرآن الكريم، وهي:

التفسير التحليلي وهو أول أسلوب من هذه الأساليب، حيث يتتبع فيه المفسر الآيات الكريمة حسب ترتيبها في المصحف، ويبين ما يتعلق بكل آية، من معاني ألفاظها، وما دلت عليه من الأحكام، فيشرح معاني الألفاظ على حدة، ثمَّ المعنى الإجمالي للآية، وما يستفاد ويستنبط منها من الفوائد والأحكام، فهذا يسمى التفسير التحليلي، مثل معظم كتب التفسير القديمة، فقد كانت سائرة على هذا النمط: تفسير ابن جرير، وتفسير ابن كثير، فكلها تسير على هذه الطريقة.

و التفسير التحليلي نجد فيه كل مفسر على حسب اختصاصه يكون اهتمامه بنوع من أنواع علوم القرآن الكريم.

وما يستفاد منه من الحكم التي لأجلها تعددت تفسيرات القرآن الكريم، أن المفسر إذا كان من الفقهاء مثلا فإنه يعنى عناية شديدة عند تفسيره للقرآن الكريم باستنباط الأحكام الفقهية من القرآن الكريم، وبيان دلالة الآيات على الأحكام الفقهية مثل تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن الكريم) كان يعنى عناية كبيرة

لأنه رجل فقيه، فكان يعنى بالأحكام القرآنية والدلالة الفقهية للآيات.

وبعض المفسرين يكون من علماء النحو، متخصص في النحو والصرف واللغة العربية، مثل أبي حيان الأندلسي فقد كان من أئمة النحاة، فيعنى في تفسيره بالإعراب فكل آية يتكلم عن إعرابها، وما فيها من مشكلات إعرابية، ويتوسع في هذا الباب.

وبعض المفسرين يكون مهتما بالبلاغة مثل الزمخشري رغم أنه كان معتزلي الاعتقاد، ولا بد لمن قرأ في تفسيره المسمى بالكشاف أن يتفطن لما فيه من البدع الاعتقادية، لكن من جهة البلاغة لعله أفضل التفسيرات التي اعتنت ببلاغة القرآن الكريم، وما فيه من التشبيهات والاستعارات والكنايات، فيعنى بها ويبينها ويوضحها، وهكذا.

وكذلك إن كان المفسر معتنيا بالقراءات فإنه يعتني في تفسيره بذكر ما ورد في الآية الكريمة من قراءات قرآنية، ويفسر المراد على حسب كل قراءة من هذه القراءات. فكل تفسير له ميول معينة، ويتميز في جانب معين.

لكن بصفة عامة التفسير التحليلي هو تتبع آيات القرآن الكريم من أولها إلى آخرها وكل آية يتناولها فيشرح معاني المفردات على حدة، ثم معاني التراكيب ومعاني الجمل، والمعنى الإجمالي للآية المستفاد منها من أحكام.

وبَعــدَهُ التَّفســيرُ بالإِجمــالِ والثَّالِــثُ الْمُقــارَنُ الْمِثــالِي

التفسير الإجمالي: وهو النوع الثاني من أساليب التفسير، وهو شرح معاني القرآن الكريم إجمالا، فبعض المفسرين تفسيرهم تفسير إجمالي للقرآن الكريم مثل

مثلا طريقة الشيخ السعدي في تفسيره المسمى ب (تيسير الكريم المنان) فهذا تفسير إجمالي للقرآن الكريم، فأصحاب التفسير الإجمالي للقرآن الكريم أحيانا يتناولون عدة آيات وأحيانا كل آية على حدة ثم يعطيك المعنى الإجمالي لهذه الآيات، فهذه الآيات الكريمة تفيد كذا وكذا، وأهم ما يستفاد من هذه الآيات ويعطيك المعنى الإجمالي لها، لكنه لن يفيد في الغوص والتدقيق في معاني كل لفظة على حدة من ألفاظ القرآن الكريم، واستعمالات كل لفظة على حدة ثم استعمالات كل تركيب وكل جملة على حدة، فلا يعتني بهذا وإنما يوصل إليك المعنى الإجمالي لهذه الآيات الكريمة.

التفسير المقارن: وهذا النوع الثالث، هو المقارنة بين عدة تفاسير للآية الواحدة من خلال إيراد ما ذهب إليه المفسرون في النص المتناول، آية أو وحدة من الآيات المترابطة فيما بينها، ثم الموازنة بين آرائهم،

والرّابـعُ: التفسـيرُ بالْمَوضـوعِ ورُبَّمـا التَّنويـعُ فيـه رُوعِي

التفسير الموضوعي: وهذا النوع الرابع من أساليب تفسير للقرآن الكريم، وهو جمع الآيات التي تتكلم عن موضوع واحد وتناولها في مكان واحد، وهذه طريقة جديدة مستحدثة في تفسير القرآن الكريم، أن شخصا مثلا يجمع آيات الصلاة في القرآن الكريم، فكل الآيات التي تتكلم عن الصلاة يجمعها في مكان واحد وينظر إليها مجتمعة ويفسرها مجتمعة، ومثلا آيات الحجاب في القرآن الكريم يجمع كل الآيات التي تناولت موضوع الحجاب ويتناولها، ومثلا الآيات التي تناولت قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم، فيجمع كل الآيات التي تناولت هذا الموضوع في مكان واحد ويفسرها.

..... ورُبَّمــا التَّنويــعُ فيــه رُوعِي

هذا الأسلوب الذي هو أسلوب التفسير الموضوعي له ثلاثة أنواع:

❁ النوع الأول: تتبع كلمة من كلمات القرآن الكريم وجمع ما ورد فيها من آيات أو مشتقاتها، ثم يقوم المفسر بتفسيرها واستنباط دلالاتها واستعمالات القرآن الكريم لها، أحيانا التفسير الموضوعي يكون قائما على كلمة واحدة، فيتناول مثلا كلمة (الأمة) في القرآن الكريم، ومثلا كلمة (الجاهلية) جاءت في أربعة مواضع في القرآن الكريم، فيجمع المواضع ويتناولها ويدرسها، وهكذا.

❁ النوع الثاني: جمع الآيات القرآنية التي تتناول قضية واحدة بأساليب مختلفة عرضا وتحليلا ومناقشة وتعليقا وبيان حِكَم القرآن أو حُكْم القرآن فيها، أي يبين الأحكام القرآنية والحكم والفوائد المتعلقة بهذه القضية الواحدة فيجمع كل ما يتعلق بها من آيات.

❁ النوع الثالث: تحديد الموضوع الذي تتناوله سورة قرآنية واحدة، ثم دراسة هذا الموضوع من خلال تلك السورة وحدها، أي يأتي مثلا إلى سورة من سور القرآن الكريم، فيقول: هذه السورة تناولت الموضوع الفلاني، ثم يتناول هذا الموضوع من خلال هذه السورة المحددة.

أي مثلا عندنا سورة التوبة تناولت موضوع: المنافقين وصفات المنافقين، فيقول: سورة التوبة (سورة براءة) الموضوع الأساسي لهذه السورة هو: صفات المنافقين، فيتناول هذا الموضوع من خلال موضوع صفات المنافقين من خلال سورة التوبة، والآن الرسائل الجامعية كثير منها يتبع هذه الطريقة، فمثلا طالب

يتخصص في هذا المجال فيجعل موضوع رسالة ماجستير أو دكتوراه صفات المنافقين من خلال سورة التوبة، أو مثلا سورة الحجرات موضوعها الأساسي هو الآداب والأخلاق، فيقولون مثلا: الآداب والأخلاق من خلال سورة الحجرات، ويتناول هذا الموضوع من خلال هذه السورة، ويدرس كيف تناولت هذه السورة الكريمة هذا الموضوع، ويبين هذه المعاني، فهذه الأساليب التي اتبعها المفسرون في تفسير القرآن الكريم.

الْخِتامُ

وفي الخِتـامِ: أَفضَـلُ السَّـلامِ   على النَّــبِيِّ الخاتَــمِ الإِمــامِ
وآلِهِ   وصَحبِــهِ   الأَخيــارِ   وتابِــعٍ على الطَّريــق ســارِي
بالِغَــةً   أبياتُهــا   اثنتــينِ   مِـنَ الْمِئـاتِ دافِعـًا للمَيـنِ

ختم المؤلف –حفظه الله–منظومته بالسلام على النبي ﷺ وآله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، وأخبر أن أبيات هذه المنظومة بلغت مائتي بيت، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا وإياكم بهذا الشرح، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع

١-أسرار ترتيب القرآن (ط الاعتصام): جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. تحقيق: عبد القادر أحمد عطا.

٢-التبيان في آداب حملة القرآن (ط. المنهاج): يحي بن شرف الدين النووي أبو زكريا محي الدين، تحقيق: محمد شادي مصطفى عربش.

٣- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز: عبد الرحمن بن إسماعيل ابن أبي شامة.

٤- القطع والائتناف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق: عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي.

٥- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي.

٦- البرهان في توجيه متشابه القرآن: محمد بن حمزة الكرماني.

٧- الإتقان في علوم القرآن (ط. الرسالة): جلال الدين السيوطي.

٨- جمال القراء وكمال الإقراء: السخاوي علم الدين.

٩- دراسات لأسلوب القرآن الكريم: محمد عبد الخالق عضيمة.

١٠- رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة: شعبان محمد إسماعيل.

١١- مناهل العرفان في علوم القرآن (ط. الحلبي): محمد عبد العظيم الزقاني.

١٦- مرشد الخلان إلى معرفة عد آي القرآن شرح وتوجيه نظم الفرائد الحسان: عبد الرزاق علي إبراهيم موسى.

فهرس

مقدمة الشارح ٥
نبذة عن مؤلف النظم الحبير في علوم القرءان وأصول التفسير: ٦
الخير الكثير ٨
شرح النظم الحبير في علوم القرءان وأصول التفسير ٨
فَصلٌ في الوَحيِ ٢٦
تَعريفُ القُرآنِ وأَسماؤُهُ ٤٢
أسماء القرآن الكريم ٤٩
نُزُولُ القُرآنِ ٥١
مَعرِفَةُ أَوَّلِ ما نَزَلَ وآخِرُ مَا نَزَلَ ٧١
الْمَكِّي والْمَدَنِي ٨٧
أَسبابُ النُّزُولُ ٩٩
حُفَّاظُ القُرآنِ مِنَ الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم ١١١
كُتَّابُ الْوَحْيِ ١٢٢
جَمعُ القُرآنِ الكَريمِ ١٢٤

الأَحرُفُ السَّبْعَةُ..... ١٣٥
القراءات والقراء..... ١٦٩
سُوَرُ القُرآنِ وآياتُهُ..... ١٩٤
الْمُحكَمُ وَالْمُتَشابِهُ فِي القُرْآنِ..... ٢٠٦
الْمُتَشابِهُ فِي آياتِ الصِّفاتِ..... ٢١١
الإِعْجازُ فِي القُرآنِ..... ٢١٣
أَمثالُ القُرآنِ..... ٢٢٥
أَقْسَامُ القُرْآنِ..... ٢٣١
أُصولُ التَّفسيرِ..... ٢٣٩
مَصادِرُ التَّفسيرِ وأَنواعُهُ..... ٢٤٦
شُروطُ الْمُفَسِّرِ..... ٢٥٣
أَسبابُ الاختِلافِ في التَّفسيرِ..... ٢٥٦
أَسَاليبُ التَّفسيرِ..... ٢٦٢
الْخِتامُ..... ٢٦٧
المراجع..... ٢٦٨